

# مجلة جامعة الطائف

الأداب والتربية

مجلة علمية محكمة

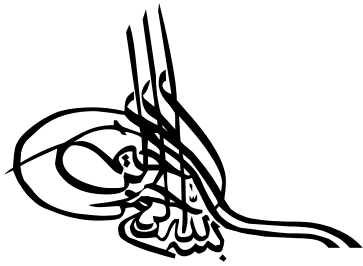
المجلد الأول - العدد الثاني

ذو الحجة ١٤٣٠ هـ - ديسمبر ٢٠٠٩ م

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٧٤٣  
ردمد: ٤٧٦٧-١٦٥٨

الآراء الواردة في المجلة لا تمثل بالضرورة وجهة نظر الجامعة  
ولا أسرة تحرير المجلة، بل تمثل وجهة نظر الباحثين.

**الطباعة:**  
مطابع السروات بجدة  
**التصميم**  
الأعمال الثقافية  
[jedoffice@gmail.com](mailto:jedoffice@gmail.com)





# مجلة جامعة الطائف

المجلد الأول - العدد الثاني ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

## هيئة التحرير

### رئيس هيئة التحرير

أ. د. عالي سرحان القرشي

### أمين التحرير

أ. د. سعود عبد الله الروقي

### أعضاء هيئة التحرير

أ. د. مصطفى يس السعدني أ. د. حسن البنا محمود

د. جابر محمد عبد الله

### الإعداد الفني

عادل سعود الروقي سلمان علي السليمان



## محتويات العدد

- قواعد النشر باللغة العربية .....

### الأبحاث

#### ● علوم الشريعة

- الذين تكلموا في المهدي رواية ودراسة ..... د. يحيى بن عبد الله الثمالي ١٢  
تصرفات الأب في مال الابن في فقه المذاهب الأربعة ..... د. عبد الله عيضة المالكى ٥٥  
أحكام العوض في الشفعة ..... د. جميل بن حبيب اللويحق ٩١

#### ● اللغة العربية وآدابها

- سورة القمر - دراسة أسلوبية ..... د. عبد الحميد أحمد هنداوي ١٣١  
الخلافا في جواز تقديم جواب الشرط على الفعل والأداة -  
عرض ودراسة ..... د. علي بن الحسن بن هاشم السرحاني ١٧١  
قناع عنترية في الشعر السعودي المعاصر ..... د. محمد مشعل الطويرقي ١٩٣  
الجناس والتجليات الأسلوبية في شعر أمل دنقل ..... د. محمد عبد الرحمن عطا الله ٢٢٥

#### ● القسم الإنجليزي

- قراءة بعديات استعمارية لأعمال سليكو الرئيسية ..... د. يحيى كامل السيد ٧







# علوم الشريعة





# الذين تكلموا في المهد رواية ودراية

د. يحيى بن عبد الله الثمالي

الأستاذ المشارك بجامعة الطائف  
كلية المعلمين - قسم الدراسات الإسلامية



## الملخص

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.  
 وبعد: فإن هذا البحث (الذين تكلموا في المهدي رواية ودراسة) يعالج قضية يكثر الكلام عنها على ألسنة الناس، وترد في الحديث الشريف والآثار، وكلام أهل العلم، وهي تلك الروايات الواردة في عدد الذين تكلموا في المهدي، وأسماءهم، وأزمانهم، ومدى ثبوت ذلك من عدمه.  
 وهذا البحث يورد تلك الأسماء التي تكلم أصحابها وهم في المهدي، ويراعي البحث الدراسة النقدية لتلك المرويات، ويبين الصحيح من غيره، مع اتفاق الجميع على أن عيسى عليه السلام واحد منهم، وقد شهد القرآن له بذلك فلا مجال للدراسة والنقد، كذلك ما ورد في الصحيحين البخاري ومسلم، من أخبار أولئك الذين تكلموا في المهدي، وهم: غلام جريج، وغلّام أصحاب الأخدود، وابن المرأة التي قالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، ثم بقية من وردت عنهم الأحاديث والأخبار بذلك، كابن ماشطة ابنة فرعون، وغيرهم، مما سيرد في البحث، مع التنبيه على الثابت من عدمه، مع بيان أن عدد من ورد أنهم تكلموا في المهدي قد بلغ (١٢) نفساً.  
 كذلك اهتم البحث بإبراز بعض الدروس والفوائد، والأحكام المستنبطة من قصص هؤلاء المتكلمين في المهدي، نسأل الله التوفيق والتسديد.



## المقدمة

الحمد لله وحده لا شريك لله، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسوله، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن هذا القرآن العظيم الذي خصَّ الله به هذه الأمة المرحومة، قد اشتمل على كل ما تحتاجه البشرية أجمع في أمور دينها ودنياها، فهو كتاب هداية وإرشاد إلى طريق الحق والسداد، كما وصفه من تكلم به حين قال: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾<sup>(١)</sup> وأخبر أنه ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾<sup>(٢)</sup> وأودع فيه البيان الشافي لأسباب الهداية والتوفيق، وطرق الغواية والضلال والعياذ بالله، وجعله مشتملاً على الأوامر والنواهي، والأحكام والآداب، والقصص والأخبار، وبين فيه ما يترتب على كل ما سبق من الثواب والعقاب.

وإن مما جاء في القرآن، بل وكثر: القصص والأخبار، وما دار بين الأنبياء وأقوامهم، ونهاية كل فريق، وهو ما عُرف بعدُ عند أهل العلم بـ(القصص القرآني) وكل ذلك عن الأقوام السابقين، وكذا الشأن في سنة النبي ﷺ المكمل للقرآن، ففيها ما في الكتاب، مما سبق ذكره، حتى القصص عن الأقوام السابقين، وما سيقع في آخر الزمان، ونهاية الأيام.

والقصّة كما هو معلوم = أسلوب تربوي مهم أولاه القرآن الكريم عناية خاصة، فحفلت الكثير من سوره بعدد من القصص كما تقدم، بل سُميت سورة من سوره بسورة القصص، وإن أول ما يندرج في القصص: القصص فهي من جملة القصص<sup>(٣)</sup>، ومن أول ما يتبادر عند إطلاقها للمشابهة في المبنى، بل أخبر سبحانه بأنه إنما يقص علينا أحسن القصص، كما في أول سورة يوسف ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكما اهتم القرآن الكريم بالقصص، كذلك اهتمت به السنة، ففي السنة عشرات القصص التي كان النبي ﷺ يعالج بها الكثير من المواقف، وأذكر لذلك مثلاً واحداً، يقول خباب بن الأرت: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال «كان الرجل فيمن قبلكم يحضر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمشرك فيؤوض على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»<sup>(٥)</sup> إلى غير ذلك من القصص الكثيرة في السنة المطهرة<sup>(٦)</sup>، بل جاء أن النبي ﷺ قال معلقاً على قصة

موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما»<sup>(٧)</sup> وما ذاك إلا لما لها من وقع عجيب على النفوس.

لذا أقول: لا يظن ظاناً أن هذا القصص الذي اشتمل عليه كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ أنه مسوق لمجرد التسلية والتشهي بذكر ما كان وما يكون، تعالى الله أن يكون في كلامه ووحيه شيء لا فائدة منه، بل إن هذا القصص له فوائد وحكم بالغة، تدرك عند التأمل، ويحصل بها عند التدبر تذكر واعتبار، وقد قال سبحانه وتعالى في خاتمة سورة يوسف وهي السورة الوحيدة من سور القرآن المشتملة على قصة واحدة بهذا الطول، وبهذا السياق والبيان والسرد العجيب ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾<sup>(٨)</sup> لكن من الذي يستفيد من تلك القصص ويحصل له بها الإدكار؟ إنهم طلاب الحق أولوا الألباب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وقد كان بعض من سلف يقول (القصص جند من جنود الله).

وقد جاءت إشارة في القرآن الكريم بتبين من خلالها شيء من فائدة القصص حين قال ربنا سبحانه ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِهِيَ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٩)</sup> وهذا وإن كان الخطاب للنبي صلوات الله وسلامه عليه، إلا أنه شامل لأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، فتأمل هذه الآية تدرك سراً عجيباً من وراء القصص القرآني، وأعظم ما فيها قضية الثبات إلى الممات وهو أعظم شيء يحتاج إليه كل مسلم في هذه الحياة إلى أن يلقي الله تعالى، ولا شك أن من يقف على أخبار السالفين من المؤمنين وما جرى لهم وعاقبة أمرهم يحصل له شيء من التسلي والترويح عن النفوس، والصبر ومُصابرة النفوس، وقد قالت الخنساء رضي الله عنها:

ولولا كثرة الباكين حولي  
على إخوانهم لقتلت نفسي

وفائدة أخرى، وهي: التأسي بأهل الخير والصلاح ممن درج على الخير في حياته مما قص الله علينا خبره، وتأمل قول الله تعالى بعد أن ذكر الأنبياء وشيئاً من محاجة إبراهيم لقومه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمُ افْتَدِرْ﴾<sup>(١٠)</sup> وفي آية أخرى يقول سبحانه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾<sup>(١١)</sup>.

وأقول أخيراً: إنه ليس من شك في أن التربية بالقصة الحقيقية الهادفة له أعظم الأثر على السامع المتلقي، إذا أحسن فهم ما دلت عليه من دروس وعبر<sup>(١٢)</sup>.

وإن بحثنا هذا الذي نُورد فيه (الذين تكلموا في المهدي) عبارة عن قصص حقيقية وقعت، عن أقوام سابقين، ليست من نسج الخيال، ولا من أساطير الأولين، التي توارثوها كابراً عن كابر،



تحمل في طياتها حكماً وأسراراً، ودروساً وعبراً، لمن أحسن توظيفها لهذا المقصد، مع ما فيها من الاطلاع على بعض أحوال من سبق في غابر الأزمان، وبعض هذه القصص جاء بها القرآن، وبعض آخر جاء ذكرها في سنة النبي ﷺ كما سيأتي بيانه مفصلاً.

وقبل الشروع في ذكر أخبار هؤلاء الذين تكلموا في المهدي وهم صغار، أود أن أشير إلى أن الله تبارك وتعالى له الحكمة البالغة في كل ما خلق، وذراً، وبراً، له سنن يجريها في خليقته لا تتغير ولا تتبدل، إلا ما كان له من وراء تغيير تلك السنن من حكم وغايات وأسرار، ربما فقها بعض العباد، وربما جهلوا أو جهلوا بعضها.

وإن من سننه في خلقه سبحانه وتعالى: أن المخلوق من بني آدم لا يتكلم عند ولادته، ولا بعدها إلا بعد حين، وإنما يصرخ ويبكي، إعلماً لمن حوله بحاجته الضرورية المتمثلة في جلب نفع إليه، أو دفع ضرر عنه.

وذلك من أعظم الأدلة على حاجة هذا الضعيف المسكين لغيره من بني جنسه، ولخالقه ومولاه قبل كل أحد، وصدق الله سبحانه حينما صور هذه المرحلة الصعبة من حياة الإنسان بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (١٣).

ورحم الله هذا المخلوق الضعيف بأن يسر له جميع الأسباب والوسائل، التي تُعينه في هذه المرحلة، فالأم تربي وترعى، والأب يكده من أجله وينصب، والكل بذلك في غاية الفرح والسرور، حتى يُصبح هذا المخلوق بشراً سوياً مختاراً مريداً قادراً فاعلاً، فيبدأ مرحلة أخرى في هذه الحياة، ويخلف أباه وأمه في تلك الوظيفة، وهذه سنة الله في خلقه.

وعوداً على بدء، وأمام معجزة عجيبة تحولت بها السنن، وانخرقت لها العادة، ألا وهي نطق المولود في مهده قبل حين الكلام ووقته المعتاد، والله على كل شيء قدير = نجد أن هذه السنة قد تغيرت لحكمة إلهية لعدد من المخلوقين من بني آدم، منهم النبي، ومنهم غير النبي، وترتب على التحول في هذه السنة تحول في الأفكار والمفاهيم والتصرفات والأفعال، وكلها في حقيقة الأمر خادمة للقضية الكبرى التي من أجلها خلقت الخليقة، الإ وهي (توحيد الله جل وعلا).

- فعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام تكلم في المهدي، وقال: إني عبد الله... مع ما حصل من كلامه من رفع تهمة اتهمت بها أمه الطاهرة المطهرة كما هو معلوم، وتلك ضرورة لا بد من دفعها عمّن رُمي بها بغير حق، وحفظ الدين والعرض من الضرورات التي حفظتها الشرائع بأجمعها كما هو معلوم.

- والغلام الصغير الذي تكلم في المهدي، المذكور في قصة الغلام والساحر، الذي أمر أمه أن تُلقي بنفسها في النار وأخبرها أنها على الحق، مما يؤكد هذه القضية (قضية التوحيد وإسلام الوجه لله تعالى) فإنه بهذا الكلام ثبتت أمه وطمأنها، ومعجزة أخرى لغير أمه تجلت في بيان الحق وإظهاره لمن شهد هذه الواقعة العجيبة، على لسان هذا الصغير، الذي لا يُحسن الكلام، ولا يرتاب أحد شهد هذا المشهد أن هذا من لطف الله بالمؤمنين الصادقين، مع ما في قصة الغلام حين قتله الملك من بيان لهذه الحقيقة الكبرى، فلما تجلت وظهرت أسلم الناس، ووجدوا الله جل وعلا، فعند ذلك خُدت الأحاديث، وأوقدت فيها النيران، وقُذِف فيها الموحدون ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(١٤)</sup> وقد ذكر الله سبحانه تفاصيل هذه الحادثة الأليمة في سورة البروج، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

- وغلام جريج الراهب الذي أنطقه الذي أنطق كل شيء، وشهد على براءة هذا العابد مما رُمي به، بعد أن شهد الناس عليه بالباطل، وطافوا به في المدينة، وشاع واشتهر عند العامة والخاصة: أن هذا الراهب يختلي الدنيا بالدين، ويخادع العالمين، مما يجعل الناس لا يثقون به ولا بما يحمله من مبادئ وقيم.

- وشاهد نبي الله يوسف على نبيينا وعليه الصلاة والسلام، على القول بأنه كان في المهدي صغيراً، فيه ما في الذي قبله تماماً، مع الفارق الكبير بين حال الراهب وحال يوسف على نبيينا وعليه الصلاة والسلام، ولا شك أن هذا الحفظ الإلهي لهذا النبي، من قبل أن يوحى إليه، وعصمته من هذه الكبيرة مما يجعل الناس بعد ذلك له معظمين، ولما يقوله سامعين، ولما يدعوهم إليه قابلين، وقد حصل هذا والحمد لله رب العالمين، والعالم كله في ذلك الزمان شهد هذه الواقعة وانتشر فيه خبرها، ولو قيل: إن هذه القصة لم يكن لها أي انتشار عالمي، فلا أقل من أن يكون من سيبت إليهم هذا النبي فيما بعد ويدعوهم إلى التوحيد والإسلام، لا شك أنهم تسامعوا بخبرها وخبر براءة يوسف مما رُمي به، فكشف الله لهم وجلا الغمّة.

فانظر إلى ما ذكرته هنا يتبين لك ما ذكر من قبل من كون الحكمة ظاهرة جلية من نطق هؤلاء في المهدي وحال الصغر، والحمد لله على ما أرشد ووفق.

وليعلم القارئ الكريم أن العلماء ذكروا عددا ممن تكلم في المهدي، حتى قال العلامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢): تكلم في المهدي جماعة، نظم شيخنا - يعني السيوطي - رحمه الله تعالى أسماءهم في كتابه قلائد الفوائد، فقال:

تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ  
وَمُبرئُ جُريجِ ثم شاهد يوسف  
ومُبرئُ جُريجِ ثم شاهد يوسف  
وطفلُ لَدَى الْأَخْدُودِ يَرويه مُسلم  
يُقالُ لها تَزَنِي ولا تَتَكَلَّم  
وماشطة في عَهْدِ فرعون طفلها  
وموسى وعيسى والخليل ومريم  
وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم  
يقال لها تزني ولا تتكلم  
وفي زمن الهادي المبارك يُختم<sup>(١٥)</sup>

وقال المناوي (ت ١٠٢١): تكلم في المهدي نحو عشرة<sup>(١٦)</sup>.

وعند النظر والتحقيق: نجد أن بعض هؤلاء الذين تكلموا في المهدي قد صحت الأخبار بأنهم تكلموا في المهدي، لا ريب عندنا في ذلك، وهم:

- ١- عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وخبره بذلك في القرآن.
  - ٢- غلام جريج الراهب، وخبره في الصحيحين.
  - ٣- ابن المرأة الذي قالت اللهم اجعل ابني مثله، وخبره في الصحيحين.
  - ٤- غلام أصحاب الأخدود، وخبره في صحيح مسلم.
- وأما:
- ٥- ابن ماشطة ابنة فرعون، فخبره في ابن ماجه، وأحمد، وغيرهما، وصححه الحاكم، وابن حبان، وقال ابن كثير: لا بأس به.

وأما:

- ٦- إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وخبره بذلك في بعض كتب التفسير، ولا يثبت مثله، كما سيأتي.
- ٧- شاهد يوسف، وخبره محل خلاف بين أهل العلم كما سيأتي بيانه.
- ٨- موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ذكره بعضهم، ولم أجد لذلك مستنداً.
- ٩- يحيى بن زكريا، خبره بذلك في بعض كتب التفسير، كما سيأتي، وتوقف ابن حجر في ثبوته.
- ١٠- مريم ذكرها بعضهم، ولم أجد لذلك مستنداً، كما سيأتي.
- ١١- نبينا محمد ﷺ روي في ذلك خبر لا يثبت مثله.
- ١٢- مبارك اليمامة، في زمن نبينا محمد ﷺ وخبره لا يصح.

لذا رأيت أن يكون إيراد هؤلاء الذين تكلموا في المهدي في هذا البحث على الترتيب السابق ذكره، من حيث ثبوت أخبارهم وعدمها.

وغرضي من كتابة هذا البحث، وجمع هذه المرويّات، التنبيه على ما صح وثبت، مما لم يثبت ولم يصح، خاصة وأن الناس دائماً يتناقلون مثل هذه الأخبار منسوبة إلى النبي ﷺ ولا شك

عندي أن مثل هذا العمل فيه دفاع عن حديث النبي ﷺ وإسهاماً في بيان ضرورة التثبيت في نقل الأخبار، ونسبة القول إلى النبي ﷺ.

وعن الدراسات في هذا الموضوع فإنني لم أر كتابات تشفي غليلاً، وإنما رأيت كتيبات في ذكر بعض من ورد أنهم تكلموا في المهدي، وهي على ما فيها من فائدة إلا أنني أرى أنها لا تفي بالمقصود، كما تقدم، وهذه الكتيبات هي:

- السبعة الذين تكلموا في المهدي. د. مصطفى مراد، دار الفجر الحديث، القاهرة.
  - هؤلاء تكلموا في المهدي، أبو أسامة محي الدين، ط الأولى، ١٤١٥، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة.
  - الثلاثة الذين تكلموا في المهدي، عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة الساعي الرياضي.
  - ثلاثة تكلموا في المهدي، محمد موفق سليم، دار الهدى، الرياض.
- يسر الله وأعان على إتمام المقصود، وبيان الحق، والله هو الموفق وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الطائف ١٠/٥/١٤٢٩هـ

**تمهيد :**

قبل الشروع في المقصود أود أن أذكر بإيجاز ما قالوه في المراد بالمهد، فأقول: قال ابن فارس: الميم، والهاء، والذال، كلمة تدل على توطئة وتسهيل للشيء، ومنه المهد، ومهدت الأمر: وطأته، والمهاد: الوطاء من كل شيء<sup>(١٧)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنه: المهد: مضجع الصبي في رضاعه<sup>(١٨)</sup> وكذا قال الطبري<sup>(١٩)</sup>.

والأصل أن الفعل (مَهَدَ) بمعنى التسوية، ومنه طريق ممهدة، أي لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، صالحة للسير عليها، وفي التنزيل ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي صالحة للعيش والسكنى عليها والانتقال في نواحيها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾<sup>(٢٠)</sup>. ومنه أيضاً مهدت الفراش مهدياً: أي بسطته، ووطأته<sup>(٢١)</sup>.

وقال الطبري في قوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ بعد أن أورد القراءتين في مهدياً، ومهاداً، قال: وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك، أنه إنما اختاره من أجل أن المهاد اسم الموضع، وأن المهد الفعل، قال: وهو مثل الفرش والفراش<sup>(٢٢)</sup>.

قال ابن منظور: ومهدُ الصبي موضعه الذي يُهَيَأُ له، ويُوطَأُ لينام فيه<sup>(٢٣)</sup>.

وبهذا يتبين لنا: أن المهد موضع الصبي الرضيع الذي ينام فيه، وهو مخصوص بالرضيع لملازمته له، وعدم تحوله عنه، فإذا ما أطلق المهد استقيد منه معرفة سن صاحبه، وأنه صغير لا يستطيع الانتقال، ولا يحسن الكلام. وإلى سياق البحث:

**١ - عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام**

مما لا خلاف فيه: أن نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام تكلم في المهد صغيراً، وهو الوحيد من بني آدم الذي صرح القرآن الكريم بأنه تكلم في المهد، وهذه المعجزة له معدودة من أعظم الخوارق والآيات، ولكونه قد حملته أمه بلا أب - على غير معهود سابق، كما قال الله عنهم ﴿كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾<sup>(٢٤)</sup> - أجرى الله على يديه معجزات هي دلائل على أنه ﴿آيَةٌ لِلنَّاسِ﴾<sup>(٢٥)</sup> مخلوق بأمر الله تعالى، وقدرته، جعله الله وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ومن تلك المعجزات: كلامه في المهد صغيراً، وفي هذه المعجزة برهان على صدق أمه أنها حملته بكلمة من الله، ولذا لما تكلم حينما أشارت إليه انقطعوا بعد ذلك عن تهمتها بما يسوء، وإشارة أيضاً إلى صدقه فيما سيخبر به بعد ذلك من أمر النبوة والرسالة.

وقد جاء في ذكر هذه المعجزة وبيانها آيات عدة في كتاب الله تعالى، أولها قوله تعالى ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصُّلَيْبِ﴾<sup>(٢٦)</sup> وغيرها من الآيات بهذا المعنى<sup>(٢٧)</sup>.

وأما الأحاديث التي دلت على كلامه عليه الصلاة والسلام في المهدي فهي كثيرة، أورد منها حديث الشفاعة المشهور، وأما الأحاديث الأخرى التي ذكر فيها هذا النبي الكريم ﷺ وغيره ممن تكلم في المهدي، فسترد في أخبارهم كما سيأتي بيانه، وحديث الشفاعة هو الآتي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة العظمى، وفيه «فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهدي صبياً اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد»<sup>(٢٨)</sup>.

### معجزات نبي الله عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

- ذكر الله تبارك وتعالى معجزات هذا النبي المبارك بقوله ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾<sup>(٢٩)</sup>.

### الكلام الذي تكلم به في المهدي:

- ذكر القرآن الكريم الكلام الذي تكلم به عيسى بن مريم عليه السلام، وهو على النحو التالي:
- ١- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ فخاطبهم بوصف العبودية، وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلهاً، أو ابناً للإله، وتعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى المدعين أتباعه.
  - ٢- ﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ أي: قضى أن يؤتيني الكتاب، وهو الإنجيل، وهو مع ذلك مصدقاً لما بين يديه من التوراة، وكأن الإنجيل مكمل للتوراة، وناسخ لبعض ما فيها ﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٣٠)</sup> فكلاهما كتابان لعيسى وقومه، حتى قيل: إن التوراة كتاب الأحكام والعبادات، والإنجيل كتاب المواعظ والنصائح والعبر.
  - ٣- ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ وهذا مما لا إشكال فيه، فهو من أولي العزم من الرسل، وهذه الثلاث فيها تكميل لنفسه، فهو عبد نبي مرسل، وما بعدها فيها تكميل لغيره من بني الإنسان.
  - ٤- ﴿وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: في أي مكان، وأي زمان، فالبركة جعلها الله في تعليمه الخير، والدعوة إليه، والنهي عن الشر، فكل من جالسه أو اجتمع به نالته بركته، وسعد بمصاحبته.

٥- ﴿ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ وهذه فيها القيام بحقوق الله التي الصلاة أعظمها بعد توحيد الله جل وعلا، والقيام بحقوق العباد التي من أجلها الزكاة، وهذه التكاليف لا تنقطع مادام العبد حياً.

٦- ﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَيْكَ ﴾ وهذا حق خاص لأقرب الناس إليه، بعد الحق العام، والبر اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

٧- ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أي: ومع كل ما سبق لست متكبراً على الله، ولا مترفعاً على عباده، ومن حصل له ما سبق لم يكن شقيماً بوجه من الوجوه.

٨- ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ فلما تم له الكمال، ومحامد الخصال، قال هذا القول الذي فيه السلامة يوم الولادة، فإن الشيطان لم يقربه حين وُلِدَ، والسلامة في الحياة وعند الموت فلن يتخبطه الشيطان، والسلامة عند البعث فلا تناله أهوال البعث والحشر، ولا شدائده، صلوات الله وسلامه عليه<sup>(٢١)</sup>.

قال ابن كثير: وهذه الأوقات الثلاثة أشد ما يكون على الإنسان، فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر، فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه، ويصير إلى الآخر، ولا يدري ما بين يديه، ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الأحشاء، وفارق لينها وضمها، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمومها، وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ وبين دار القرار، وصار بعد الدور والتصور إلى عرصة الأموات سكان القبور، وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور، فمن مسرور محبوب، ومن محزون ومثبور، وما بين جبير وكسير، وفريق في الجنة وفريق في السعير<sup>(٢٢)</sup>. ولهذا ناسب ذكر السلامة والدعاء بها في هذه المواطن الثلاثة، نسأل الله الكريم من فضله.

### فوائد، ولطائف:

- روى المنذري عن أحمد بن يحيى، أنه قال: ذكر الله عز وجل لعيسى آيتين: تكليمه الناس في المهد، فهذه معجزة، والأخرى نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلاً ابن ثلاث وثلاثين سنة، يكلم أمة محمد، فهذه الآية الثانية<sup>(٢٣)</sup> وستأتي في الفائدة الآتية.

- صرح القرآن الكريم، وثبت في السنة المطهرة: بأن عيسى لم يموت الموتة التي كتبت على بني آدم، بل رفعه الله من الأرض إليه حياً، قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي سَكِّ مَمْنَهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْنَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وسينزل في آخر الزمان

ببلاد الشام، حكماً عدلاً مقسطاً، يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل المسيح الدجال، ولا يقبل من الناس غير الإيمان والانقياد لشريعة الإسلام الخاتمة التي جاء بها محمد ﷺ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢٥)</sup> ويمكن في الأرض ما شاء الله تعالى، ثم يموت هو ومن معه من المؤمنين، ولا يبقى في الأرض من يقول الله، وإنما يبقى شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة.

-أورد الأمدي: أن النصراري مع كثرتهم، كثرة تخرج عن الحصر، لم ينقلوا كلام المسيح في المهد، مع أنه أعجب حادث حدث في الأرض، ومن أعظم ما تتوفر الدواعي على نقله وإشاعته، ونقلوا ما دون ذلك من معجزاته<sup>(٢٦)</sup>.

-حكى عن مجاهد، قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت أنا وعيسى، حدثني وحدتته، فإذا شغلني عنه إنسان سح في بطني وأنا أسمع<sup>(٢٧)</sup>.

قال العيني: واختلفوا هل كان نبياً في وقت كلامه؟ فقيل: نعم، لظهور المعجزة، وقيل: لا، وإنما جعل ذلك تأسيساً لنبوته<sup>(٢٨)</sup>.

-هناك قضايا ذكرها أهل العلم فيما يتعلق بزمن حمل مريم عليها السلام لعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وسنّه حين رُفع من الأرض، وسنّه حين نُزوله إلى الأرض، وغير ذلك من الأخبار التي لا يُثبت النقاد مثلها، تُروى وتطوى، ولا يترتب عليها كبير فائدة، أعرضت عن تفصيلاتها لعدم الفائدة من ذلك.

## ٢- غلام جريج الراهب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يُقال له جريج، كان يصلّي جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تُمتّه حتى تُربيه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته، فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه، وسبّوه، فتوضأ، وصلى، ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي. قالوا: نبني لك صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة تُرضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، قال أبو هريرة: كأنني أنظر إلى النبي ﷺ يمص أصبعه، ثم مرّ بأمه فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلاً. فقالت أمه: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنت، ولم تفعل»<sup>(٢٩)</sup>.



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «ما تكلم مولود في صغره، إلا عيسى، وصاحب جريج»<sup>(٤٠)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لم يتكلم في المهد إلا عيسى بن مريم، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة بنت فرعون»<sup>(٤١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: تكلم أربعة صغار: عيسى بن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون<sup>(٤٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عيسى، وصاحب يوسف، وصاحب جريج، يعني تكلموا في المهد<sup>(٤٣)</sup>.  
وعن سعيد بن جبير، قال: تكلم في المهد أربعة: عيسى، وصاحب يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة ابنة فرعون<sup>(٤٤)</sup>.

### روايات قصة جريج:

الحديث الأول الطويل في قصة جريج العابد، رواية الصحيح كما تقدم تخريجه، وبعد اطلاعي على روايات آخر لهذا الحديث؛ رأيت أن أسوق هذا الحديث بمجموع رواياته، على أن تكون الرواية الزائدة فيها زيادة معنى، جاعلاً كل رواية بين قوسين، معزوة إلى من أوردتها، وليس بلازم أن تكون جميع تلك الروايات ثابتة، لكنني أحببت أن يقف القارئ على كل ما ورد بشأن هذه القصة العجيبة، وذلك على النحو الآتي:

«كان رجل في بني إسرائيل تاجراً، وكان ينقص مرة، ويزيد أخرى، قال: ما في هذه التجارة خير، أتمس تجارة هي خير من هذه، فبنى صومعة، وترهب فيها، وكان يُقال له: جريج»<sup>(٤٥)</sup>  
«فأنته أمه فقالت»<sup>(٤٦)</sup> «أي بني أشرف علي أكلمك أنا أمك، أشرف علي»<sup>(٤٧)</sup> «فيشرف عليها، فيكلمها»<sup>(٤٨)</sup> «تأتيه كل يوم بعشائه»<sup>(٤٩)</sup> «فأنته أمه وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يارب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يارب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته»<sup>(٥٠)</sup> قال: اللهم أمي وصلاتي، فقالت: يا جريج، قال: اللهم أمي وصلاتي، فقالت: «فغضبت»<sup>(٥١)</sup>  
«فقالت: أبيت أن تطلع إلي وجهك»<sup>(٥٢)</sup> «اللهم إن هذا جريج، وأنه ابني، وإني كلمته فأبى أن يكلمني، اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات»<sup>(٥٣)</sup> وفي رواية «حتى ينظر في أعين المومسات»<sup>(٥٤)</sup> وفي رواية «لا أمأتي الله حتى أراك مع المومسات»<sup>(٥٥)</sup> «ولو دعت عليه أن يُفْتَنَ لُفُتَنَ»<sup>(٥٦)</sup> «والذي نفسي بيده لو دعت الله أن يخزيه لأخزاه، ولكنها دعت أن ينظر فنظر»<sup>(٥٧)</sup> «ولو كان جريج الراهب فقيهاً عالماً لعلم أن إجابة أمه أفضل من عبادة ربه»<sup>(٥٨)</sup> «فتذاكر بنوا إسرائيل جريجاً وعبادته،

وكانت امرأة بغية يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها<sup>(٥٩)</sup> وفي رواية أنها «بنت ملك القرية»<sup>(٦٠)</sup> «وكان راع يرعى بقرأ، وكانت امرأة ترعى غنماً، فأجنهما الليل عند صومعة جريج، فقال الراعي: يا جريج تُدخلنا هذه الصومعة هذه الليلة، فقال: نعم، فواقع الرجل المرأة فحملت، وكانت امرأة لا زوج لها»<sup>(٦١)</sup> فولدت، فقيل لها: ممّن هذا الولد؟ قالت: من جريج «وكان أهل القرية يعظمون الزنى إعظاماً شديداً»<sup>(٦٢)</sup> «وكان من زنى منهم قُتل»<sup>(٦٣)</sup> «فبعث الملك أعوانه إليه»<sup>(٦٤)</sup> «فجاؤوا بفئوسهم، ومساحيهم، فنادوه، فصادفوه يصلي، فلم يكلمهم»<sup>(٦٥)</sup> «فجعل يقول: يا رب قومي وصلاتي»<sup>(٦٦)</sup> «فأشعلوا النار في صومعته في جوانبها الأربع»<sup>(٦٧)</sup> «وأخذوا يهدمون ديره»<sup>(٦٨)</sup> «فجعل يسألهم: ويلكم، مالكم، فلم يُجيبوه، فلما رأى ذلك أخذ الحبل فتدلى، فجعلوا يجئون أنفه، ويضربونه، ويقولون: مرّائي مخادع الناس»<sup>(٦٩)</sup> قالوا: «زيت بهذه البغية»<sup>(٧٠)</sup> «فتبسم»<sup>(٧١)</sup> «فجعلوا في عنقه وعتقها حبلاً، وجعلوا يطوفون بهما في الناس»<sup>(٧٢)</sup> «فلما مروا به نحو بيت الزواني خرجن ينظرن، فتبسم، فقالوا: لمّ يضحك حتى مر بالزواني»<sup>(٧٣)</sup> «وهن ينظرن إليه»<sup>(٧٤)</sup> «فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى»<sup>(٧٥)</sup> «فقال له الملك: ويحك يا جريج، كنا نراك خير الناس، فأحببت هذه، اذهبوا به فاصلبوه»<sup>(٧٦)</sup> وفي رواية «فقال له الملك: إنك قد جعلت نفسك عابداً، ثم تهتك حرم الناس، وتتعاطى مالا يحل لك؟ قال: أي شيء فعلت؟ قال: إنك قد زנית بامرأة كذا، فقال: لم أفعل. فلم يصدقوه، وحلف على ذلك، فلم يصدقوه، فقال: ردوني إلى أمي، فردوه إلى أمه، فقال لها: يا أماه إنك قد دعوتني الله علي، فاستجاب الله دعائك، فادعي الله أن يكشف عني بدعائك، فقالت أمه: اللهم إن كان جريج إنما أخذته بدعوتي فاكشف عنه»<sup>(٧٧)</sup> و«سالهم أن يُنظروه، فأنظروه، فرأى في المنام من أمره أن يطعن في بطن المرأة فيقول: أيتها السخلة من أبوك؟»<sup>(٧٨)</sup> «فرجع جريج إلى الملك، فقال: أين هذه المرأة؟ وأين الصبي؟ فجاؤا بالمرأة والصبي، فسألوهما فقالت: بلى هذا الذي فعل بي فوضع جريج يديه على رأس الصبي»<sup>(٧٩)</sup> «ثم مسح رأس الصبي»<sup>(٨٠)</sup> وفي رواية «أتى الصبي فطعن في بطنه»<sup>(٨١)</sup> «وقال: يا بابوس، من أبوك؟ قال: راعي الغنم»<sup>(٨٢)</sup> «الراعي الذي كان يأوي معها إلى ديرك»<sup>(٨٣)</sup> «صهيب الراعي»<sup>(٨٤)</sup> «راعي البقر»<sup>(٨٥)</sup> وفي رواية «فأتى بالمرأة والصبي، وفمه في ثديها، فقال له جريج: يا غلام من أبوك؟ فنزع الغلام فاه من الثدي، وقال: أبي راعي الضأن»<sup>(٨٦)</sup> وفي رواية «ثم مشى إلى شجرة فأخذ منها غصناً، ثم أتى الغلام وهو في مهده، فضربه بذلك الغصن، وقال: يا طاغية من أبوك»<sup>(٨٧)</sup> وفي رواية «أن المرأة كانت حاملاً، لم تضع حملها بعد، فقال لها أين أصابك؟ قالت: تحت شجرتك، وكانت الشجرة تحت صومعته، قال جريج: اخرجوني إلى تلك الشجرة، ثم قال: يا شجرة أسألك بالذي خلقتك أن تخبريني من زنى بهذه المرأة، فقال كل غصن منها:

راعي الظأن، ثم طعن بأصبعه في بطنها، وقال: يا غلام من أبوك؟ فتأدى من بطنها: أبي راعي الظأن، فاعتذر الملك إلى جريج الراهب، وقال له: ائذن لي أن أبني صومعتك بالذهب؟ قال: لا، قال: فبالفضة؟ قال: لا، ولكن بالطين كما كان، فبنوها بالطين كما كانت»<sup>(٨٨)</sup> «فلما سمعت المرأة ذلك اعترفت، وقالت: قد صدقت، وكنت كاذبة، وإنما فعل بي فلان الراعي»<sup>(٨٩)</sup> «فسبح الناس، وعجبوا»<sup>(٩٠)</sup> «فأعظموا الراهب بعد ذلك وأجلوه»<sup>(٩١)</sup> «فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به»<sup>(٩٢)</sup> «فأبرأ الله جريجاً، وأعظم الناس أمر جريج»<sup>(٩٣)</sup> «فقالوا له: بالله ممّ ضحكت؟ فقال: ما ضحكت إلا من دعوة دعيتها علي أمي»<sup>(٩٤)</sup> وفي رواية «فما الذي تبسمت، قال: أمراً عرفته، أدركتني دعوة أمي، ثم أخبرهم»<sup>(٩٥)</sup>.

### تأريخ هذه القصة :

- يرى ابن حجر أن جريجاً هذا كان بعد عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وأنه من أتباعه، لأنهم هم الذين ابتدعوا الترهيب، وحبس النفس في الصوامع<sup>(٩٦)</sup>.

### غريب الروايات :

- الصَّومعة هي: البناء المرتفع المحدد أعلاه، ووزنها فوعلة، من صُمعت إذا دُققت؛ لأنها دقيقة الرأس<sup>(٩٧)</sup>.

- والمومسات، والمواميس، والمياميس: جمع مومسة، وهي الزانية، المجاهرة بالزنا<sup>(٩٨)</sup>.  
- وقوله «يا بابوس» قال القزاز: هو الصغير، وقال ابن بطال: الرضيع، واختلف هل هو عربي، أو معرب. قال الشاعر:  
حنّت قلوصي إلى بابوسها جزعاً<sup>(٩٩)</sup>.

### مختلف الروايات :

- قوله «لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة» مع أنه جاء في روايات ثابتة أن غير هؤلاء الثلاثة تكلموا في المهدي وهم صغار إشكال، وقد أجاب عن هذا الإشكال جماعة من أهل العلم.  
قال النووي: قوله ﷺ «لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة» فذكرهم، وليس فيهم الصبي الذي كان مع المرأة، في حديث الساحر والراهب... وجوابه: أن ذلك الصبي لم يكن في المهدي، بل كان أكبر من صاحب المهدي، وإن كان صغيراً<sup>(١٠٠)</sup>.

وقال ابن حجر: قال القرطبي: في هذا الحصر نظر، إلا أن يُحمل على أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك، وفيه بُعد، ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيداً بالمهدي، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهدي، لكنه يعكّر عليه أن في رواية ابن قتيبة أن الصبي الذي

طرحته أمه في الأخدود كان ابن سبعة أشهر، وصرّح بالمهد في حديث أبي هريرة، وفيه تعقب على النووي في قول: إن صاحب الأخدود لم يكن في المهدي<sup>(١٠١)</sup>.  
- من تأمل الروايات السابقة وجد فيها نوعاً من الاختلاف، فقد جاء أنه مسح رأس الصبي، وجاء أنه وضع أصبعه على بطن أمه، ونحو ذلك مما روي، وعن ذلك يقول ابن حجر: ويجمع بين هذا الاختلاف، بوقوع جميع ما ذكر، بأنه مسح رأس الصبي، ووضع أصبعه على بطن أمه، وطمعنه بأصبعه، وضربه بطرف العصا التي كانت معه<sup>(١٠٢)</sup>.

## فقه الروايات:

### مسألة:

أورد البخاري هذا الحديث (أي الحديث الأول حديث أبي هريرة) في صحيحه، في كتاب العمل في الصلاة، وبوب عليه بقوله: باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة.  
والمعنى: هل يجب إجابتها أم لا، وإذا وجبت هل تبطل الصلاة أو لا، في المسألتين خلاف، ولذلك لم يذكر البخاري جواب الشرط، كذا قال ابن حجر<sup>(١٠٣)</sup>.  
قال النووي: قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها، لأنه كان في صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة أمه وبرها واجب، وعقوقها حرام<sup>(١٠٤)</sup>.  
وقال ابن حجر: في الحديث إثارة إجابة الأم على صلاة التطوع، لأن الاستمرار فيها نافلة، وإجابة الأم وبرها واجب<sup>(١٠٥)</sup>.

وقال أيضاً: وهذا إذا حمل على إطلاقه استفيد منه جواز قطع الصلاة مطلقاً لإجابة نداء الأم نفلًا كانت أو فرضاً، وهو وجه في مذهب الشافعي، حكاه الروياني، وقال النووي تبعاً لغيره: هذا محمول على أنه كان مباحاً في شرعهم، وفيه نظر... والأصح عند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلًا وعلم تأذي الوالد بالترك وجبت الإجابة، وإلا فلا، وإن كانت فرضاً وضاق الوقت لم تجب الإجابة، وإن لم يضق وجب عند إمام الحرمين، وخالفه غيره لأنها تلزم بالشروع، وعند المالكية: أن إجابة الوالد في النفل أفضل من التماذي فيها، وحكى القاضي أبو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الأب، وعن ابن أبي شيبه من مرسل محمد بن المنكدر ما يشهد له، وبه قال مكحول، وقيل: إنه لم يقل به من السلف غيره<sup>(١٠٦)</sup>.

وعن يزيد بن حوشب النهري، عن أبيه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول «لو كان جريج الراهب فقيهاً عالماً لعلم أن إجابة أمه أفضل من عبادة ربه»<sup>(١٠٧)</sup>.

**مسألة:**

قال ابن حجر: والذي يظهر من ترديده في قوله (أمي، وصلاتي) أن الكلام عنده يقطع الصلاة فلذلك لم يجبهها<sup>(١٠٨)</sup>.

**مسألة:**

قال ابن بطال: سبب دعاء أم جريج على ولدها: أن الكلام في الصلاة كان في شرعهم مباحاً، فلما أثر استمراره في صلاته ومناجاته، على إجابتها دعت عليه لتأخير حقها<sup>(١٠٩)</sup>.

**مسألة:**

قال النووي قال العلماء: كان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها، ثم يعود إلى صلاته، فلعله خشي أنها تدعوه إلى مفارقة صومعته، والعود إلى الدنيا، ومتعلقاتها<sup>(١١٠)</sup>.  
وتعقب ابن حجر هذا القول، بقوله: فيه نظر، لما تقدم من أنها تأتيه فيكلمها، والظاهر أنها كانت تشتاق إليه وتزوره، وتقتنع برؤيته وتكليمه، وكأنه إنما لم يخفف ثم يجيبها لأنه خشي أن ينقطع خشوعه<sup>(١١١)</sup>.

**آداب الروايات.**

في هذه الروايات لهذا الحديث مع ما سبق في فقهه، جملة من الآداب، وهي:

- إشارة إلى عظيم حق الوالدين، وخاصة الأم، وشؤم العقوق<sup>(١١٢)</sup>.
- أن دعاء الوالدين لولدهما وعليه مستجاب، وقد جاء في ذلك أحاديث ثابتات، فهل من مذكر<sup>(١١٣)</sup>.
- شناعة الزنا وشؤمه على صاحبه، كيف لا وقد قرنه الله في كتابه بقتل النفس بغير حق، وقد قال العيني: وأصل هذه المطالبة (أي مطالبة الملك لجريج) أن أهل تلك البلدة كانوا يعظمون أمر الزنا (كما تقدم في رواية) فظهر أمر تلك المرأة في البلد، فلما وضعت حملها أخبر الملك أن امرأة قد ولدت من الزنا فدعاها، فقال لها: من أين لك هذا الولد؟ قالت: من جريج الراهب<sup>(١١٤)</sup>.
- إن الله يدافع عن الذين آمنوا، فقد أنطق الله هذا الغلام في مهده معلناً براءة هذا العابد على رؤوس الأشهاد.
- إذا أراد الأعداء تدمير أمة مسلمة، ضربوها في صميمها = في علمائها وعبادها ودعاتها، وصورهم بصورة تنافي الأخلاق والآداب والقيم، وحينئذ لا تسلم عن (فقد الثقة) واتساع الهوة بين الناس وعلماؤهم، فانتصر الله للحق ودافع عن المؤمنين، فبرأ الله هذا المتهم البريء (جريج العابد) مما ألصق به، وأطمأن الناس إليه، وإلى ما يحمله من تدين في أصله، وإن

كان الترهّب ليس من الدين في شيء كما قال الله تعالى عن أهل الكتاب ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١١٥)</sup> وليس القصد هنا دعوة الناس إلى أن يسلكوا هذا السلوك المخالف لسنة الأنبياء (أعني الترهّب) نعوذ بالله من البدع وأهلها، وإنما الغرض هنا الإشارة إلى مداواة الله عن المظلومين، وخاصة إذا كانوا من أهل الإيمان والتقوى.

### ٣- الطفل الذي كانت ترضعه أمه، فقالت: اللهم اجعل ابني مثل فلان، فقال: اللهم لا تجعلني مثله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «بينما امرأة ترضع ابنها إذ مرّ بها راكب وهي ترضعه، فقالت: اللهم لا تُتم ابني حتى يكون مثل هذا، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم رجع في الشدي، ثم مرّ بامرأة تُجرّر، ويُلمب بها، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقال: اللهم اجعلني مثلها. فقال: أما الراكب فإنه كافر، وأما المرأة، فإنهم يقولون: تزني، وتقول: حسبي الله، ويقولون: تسرق، وتقول: حسبي الله»<sup>(١١٦)</sup>.

### روايات أخرى لهذه القصة.

وقد جاء في رواية أن هذه المرأة «من بني إسرائيل»<sup>(١١٧)</sup> وأن هذا الراكب الذي مرّ بها كان راكباً «على دابة فارهة، وشارة حسنة»<sup>(١١٨)</sup> وأن هذا «الراكب جبارٌ من الجبابرة»<sup>(١١٩)</sup> وفي رواية أنه كان «كافراً»<sup>(١٢٠)</sup> «وأما الجارية السوداء فهي مؤمنة»<sup>(١٢١)</sup> وفي رواية «مرّوا بجيفة حبشية، أو زنجية تُجرّ»<sup>(١٢٢)</sup> وفي رواية قال أبو هريرة (فكأنني انظر إلى رسول الله ﷺ يحكي ارتضاعه بأصبغه السبابة)<sup>(١٢٣)</sup> وفي رواية «اللهم أمتني ميتة هذه الحبشية»<sup>(١٢٤)</sup>.

### فوائد وعبر.

في هذا الحديث:

- كراهية أن يتمنى المسلم الهيئة والمكانة الدنيوية لمن لم يعلم حاله الدينية، وخاصة إذا كان الباعث على هذا التمني = الدنيا وزخرفها وزينتها وجمالها فحسب، دون نظر إلى أمور صالحة يمكن أن تتحقق على يد من أعطي من الدنيا ما يستطيع به أن يخدم دينه، وفي الحديث «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء»<sup>(١٢٥)</sup> فانظر كيف أن التمني هنا بالنية الصالحة كان سبباً في

أجر عظيم بغير عمل، وكيف أن التمني لمجرد الدنيا فحسب قد ألحق بصاحبه بلاء عظيمًا. قال الإمام النووي على قوله «اللهم اجعلني مثلها»: أي اللهم اجعلني سالمًا من المعاصي، كما هي سالمة، وليس المراد مثلها في النسبة إلى باطل تكون منه بريئاً<sup>(١٣٦)</sup>.  
- في هذه القصة العجيبة إشارة إلى أن البريء قد يُتهم بما هو منه بريء، ويعاقب بهذه التهمة وربما كانت العقوبة الموت، فيعذب أو يُقتل مظلوماً، والله في ذلك حكم بالغه، فقد يكون هذا البلاء الذي تعرّض له المخلوق تطهيراً له مما اقتترف، وتكفيراً له عن سيئاته، وربما كان ذلك رفعة لدرجاته في الآخرة، وكم من مظلوم بريء حل به مثل ما حل بهذه المرأة المسكينة، وقد جاء في الحديث «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»<sup>(١٣٧)</sup> وفي حديث آخر «يودُّ أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قُرُضت في الدنيا بالمقاريض»<sup>(١٣٨)</sup>.

- في هذا الحديث أن البشر طُبعوا على إيثار الأولاد على الأنفس بالخير، وذلك أن هذه المرأة طلبت الخير لابنها، ودفع الشر عنه، ولم تذكر نفسها<sup>(١٣٩)</sup>.

- وفي هذا الحديث أيضاً أن هذه الكلمة العظيمة (حسبي الله) كانت معروفة في الأمم السابقة، وقد قال ابن عباس: كان آخر قول إبراهيم حين القي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل<sup>(١٤٠)</sup> وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقول هذه الكلمة إن تولى قومه عنه، ولم يستجيبوا له، فقال له ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلَّ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾<sup>(١٤١)</sup> وفي الحديث «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات، كفاه الله ما أهمه صادقاً بها أو كاذباً»<sup>(١٤٢)</sup> وفي الأثر «فإذا غلب عليك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»<sup>(١٤٣)</sup>.

#### ٤- غلام أصحاب الأخدود.

عن صُهيب بن سنان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يُعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربته، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك قل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم

أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ علي، وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك؟ فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجئى بالغلام، فقال له الملك: أي بُني قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص، وتقل وتقل؟ فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجئى بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعى بالمشار، فوضع المشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيئ بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيئ بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نذر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نذر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، ففرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك، فقيل له: رأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك جذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فحُذت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها، أو قيل له: افتحتم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمّه اصبري فإنك على الحق»<sup>(١٢٤)</sup>.



**غريب الرواية :**

- الأكمة: الذي خُلق أعمى.
- والمشار مهموز في رواية الأكثرين، ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء، ورُوي المنشار بالنون، وهما لغتان صحيحتان.
- وذروة الجبل: أعلاه.
- والقُرُقور: السفينة الصغيرة، وقيل: الكبيرة.
- وكبد القوس: مقبضها عند الرمي.
- ونزل بك حذر: أي ما كنت تخاف وتحذر.
- والأخدود: الشق العظيم في الأرض.
- وتقااست: توقفت، ولزمت موضعها، وكرهت الدخول في النار<sup>(١٣٥)</sup>.

**روايات أخرى للحديث :**

عند الترمذي: قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين، وعنده أيضاً: فقال بعضهم: إن تلك الدابة أسداً، وعنده كذلك: فأما الغلام فإنه دُفن، فيُذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب، وأصبغه على صُدغته كما وضعها حين قُتل<sup>(١٣٦)</sup>.

وفي رواية الضحاك عن ابن عباس: فإذا حية عظيمة قطعت على الناس طريقهم، وأن اسم الغلام: عبد الله بن ثامر، وأن الصبي قال لأمه: يا أمي أثبتني على ما أنتني عليه، فإنما هي غُمِيضَةٌ<sup>(١٣٧)</sup> وفي رواية: امضي ولا تاتقي<sup>(١٣٨)</sup>.

**أصحاب الأخدود، مكانهم، وزمانهم.**

- عن علي رضي الله عنه أنهم ناس بمذارع اليمن<sup>(١٣٩)</sup>.
- وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنهم ناس من بني إسرائيل، وكذا قال الضحاك<sup>(١٤٠)</sup>.
- وعن مجاهد: أنهم بنجران<sup>(١٤١)</sup>.
- ويذكر القرطبي: أن هؤلاء القوم كانوا بنجران، في الفترة بين عيسى ونبينا محمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه<sup>(١٤٢)</sup> وفي رواية الضحاك عن ابن عباس، قال: كان ملك بنجران<sup>(١٤٣)</sup>.
- ونقل بعضهم عن الضحاك: أنهم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث النبي ﷺ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً<sup>(١٤٤)</sup>.
- وحكي عن مقاتل: أن أصحاب الأخدود ثلاثة: واحد بنجران، والثاني بالشام، والثالث بفارس، أما الذي بالشام فأنطونيانوس الرومي، والذي بفارس يختصر، والذي بأرض العرب يوسف بن ذي نواس، فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام قرآناً، وأنزل قرآناً في الذي بنجران<sup>(١٤٥)</sup>.

وحكى القرطبي: إنه قتل منهم عشرين ألفاً، وعن وهب بن منبه: اثني عشر ألفاً، وقال الكلبي: كان أصحاب الأخدود سبعين ألفاً<sup>(١٤٦)</sup>.

### دروس وعبر:

في هذا الحديث:

- إثبات كرامات الأولياء الذين آمنوا وكانوا يتقون، ومن ذلك إجابة الدعاء، ومداداة الأكمه والأبرص وسائر المرضى، وكل ذلك وقع للغلام<sup>(١٤٧)</sup>.
- وجواز الكذب إذا كان سبباً للانتصار والرفعة، كما في الحروب وغيرها، أو كان به دفع شر وضرر محقق عن النفس أو الغير<sup>(١٤٨)</sup>.
- وفيه: فضل البحث عن الحق، والسعي في تحصيله، وأن من اجتهد طالباً للصواب سده الله وأيده، وقد قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١٤٩)</sup> فهذا الغلام اجتهد في تحري الحق، فهداه الله تعالى له، وكان صدقه مع ربه سبباً لحسن خاتمته.
- وفيه: فضل التوحيد واليقين بأن مسبب الأسباب هو الله تعالى، وهذا ظاهر في كلام الغلام حين قال: (إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله) فنسب الشفاء لله، وأعلمهم أن ما فعله إنما هو سبب، وقد يتحقق أثره وقد يتخلف، وكل ذلك بأمره تعالى.
- وقال القرطبي: قال علماؤنا: أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة ما كان يلقاه من وحد قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك، وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها؛ ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظيم صبره، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نُشر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى، ورسخ الإيمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار، ولم يرجعوا عن دينهم<sup>(١٥٠)</sup>.
- وهنا مسألة، وهي: هل يجب على الإنسان أن يصبر، ولا يرجع عن الحق ولو قُتل؟ أم أنه عند الإكراه يجوز له أن يكفر بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان على معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ وكيف نفهم ما وقع للغلام وغيره من المقتولين في هذا الحديث.
- وللجواب عن ذلك نقول: أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن نطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان<sup>(١٥١)</sup>.

وأما ما ورد في هذا الحديث فإنه شرع لمن قبلنا، وهل كانت لهم رخصة النطق بكلمة الكفر عند الإكراه، أم أن الرخصة خاصة بهذه الأمة، فتكون من الأصار والأغلال التي كانت على من كان قبلنا، هذا الأخير هو الظاهر.

وقد قال ابن العربي المالكي بعد أن أورد هذا الحديث: والذي يختص به من الأحكام هاهنا: أن المرأة والغلام صبرا على العذاب من القتل والصلب، وإلقاء النفس في النار دون الإيمان، وهذا منسوخ عندنا<sup>(١٥٢)</sup>.

قال القرطبي المالكي: قلت: ليس بمنسوخ عندنا، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه، وصلب دينه أولى، قال الله تعالى مخبراً عن لقمان ﴿يَبْنِيْ أَقْرَبَ الصَّكُوَّةِ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(١٥٣)</sup> وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عن سلطان جائر» خرجه الترمذي، وقال حديث حسن<sup>(١٥٤)</sup>، وروى ابن سنجر محمد بن سنجر، عن أمية مولاة النبي ﷺ قالت: كنت أوضئ النبي ﷺ فأتاه رجل فقال: أوصني، قال «لا تُشرك بالله شيئاً وإن قُطعت أو حُرقت بالنار» الحديث<sup>(١٥٥)</sup>. قال علماؤنا: ولقد أمتحن كثير من أصحاب النبي ﷺ بالقتل والصلب والتعذيب الشديد، فصبروا ولم يلتفتوا إلى شيء من ذلك، وكيفيك قصة عاصم وخبيب<sup>(١٥٦)</sup>، وأصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق، وغير ذلك<sup>(١٥٧)</sup>.

قلت: عنى ابن العربي أن وجوب ذلك وتحتمه وعدم الرخصة هو المنسوخ، أما كون ذلك لمن استطاعه هو الأفضل فهذا لا ريب فيه، وقد قال ابن العربي رحمه الله تعالى: إن الكفر وإن كان بالإكراه جائزاً عند العلماء فإن من صبر على البلاء ولم يُفتتن حتى قُتل فإنه شهيد، ولا خلاف في ذلك، وعليه تدل آثار الشريعة التي يطول سردها، وإنما وقع الإذن رخصة من الله رفقاً بالخلق، وإبقاء عليهم، ولما في هذه الشريعة من السماحة ونفي الحرج ووضع الإصر<sup>(١٥٨)</sup>.

وقد نقل القرطبي إجماع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختر القتل أنه أعظم أجراً عند الله ممن اختار الرخصة<sup>(١٥٩)</sup>.

- ومسألة أخرى: وهي: هل للإنسان أن يتسبب في قتل نفسه كما فعل الغلام حين أعلم الملك بالكيفية التي يستطيع بها قتله، بعد أن عجز الملك عن قتله.  
قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر هذه القصة: وفيها أن الغلام أمر بقتل نفسه لأجل

مصلحة ظهور الدين، ولهذا جوز الأئمة الأربعة: أن ينغمس المسلم في صف الكفار، وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه، إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين<sup>(١٦٠)</sup>.

وقال ابن القيم: وهذا يُحمد -يعني الانغماس في العدو، وأن يُستشهد في سبيل الله تعالى- إذا تضمن مصلحة للجيش والإسلام، كحال الغلام الذي أمر الملك بقتله ليتوصل بذلك إلى إسلام الناس<sup>(١٦١)</sup>.

- وفي هذه القصة العظيمة: حسن حيلة هذا الغلام، حين أمر الملك بجمع الناس في صعيد واحد، وهو يهدف من وراء هذا الجمع إلى أمر عظيم خفي على الملك، وهو مشاهد الجميع وسماعهم لأمر التوحيد ظاهراً (بسم الله رب الغلام) فكانت النتيجة أن (قال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام) وهذه من السياسات المستحسنة.

- وخاتمة عبر هذه القصة: أن الكفر والظلم سبب لطمس البصيرة، وذهاب الفكر وقلة الوعي، فانظر إلى الملك حين اتهم الغلام حينما رآه يداوي أصحاب الأمراض المستعصية بأنه ساحر، وقد بلغ من قوة سحره أن يفعل هذه الخوارق، ولم يلتفت إلى شيء آخر، بل لم يفكر فيه، وكذلك لم يدرك لماذا أمره الغلام بأن يجمع الناس في مكان واحد عند قتله، ولا شك أن هذا كله تغيير للعقل، وتعطيل للفكر، مما ينشأ عنه = عدم إدراك للحقائق على ما هي عليه، وجريان وراء الظواهر والرسوم المعتادة، وذلك يسبب لصاحبه: التخبط في الحياة على غير هدى وبصيرة ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(١٦٢)</sup> ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾<sup>(١٦٣)</sup>.

### ٥- ابن ماشطة بنت فرعون.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون، وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدري من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها فقال: يا فلانة، وإن لك رب غيري؟ قالت: نعم. ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تُلقي هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحبُّ أن تجمع عظامي، وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفتنا، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً، إلى أن انتهت ذلك إلى صبي لها مُرضع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه اهتمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فافتحمت<sup>(١٦٤)</sup>.

### رواية أخرى لهذه القصة.

عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ أنه ليلة أسري به وجد ريحاً طيبة، فقال «يا جبريل ما هذه الريح الطيبة؟» قال: هذه ريح قبر الماشطة وابنيها وزوجها، قال: وكان بدء ذلك أن الخضر كان من أشرف بني إسرائيل، وكان ممره براهب في صومعته، فيطلع عليه الراهب، فيعلمه الإسلام، فلما بلغ الخضر زوجته أبوه امرأة، فعلمها الخضر، وأخذ عليها ألا تعلمه أحداً، وكان لا يقرب النساء، فطلقها، ثم زوجته أبوه أخرى، فعلمها، وأخذ عليها ألا تعلمه أحداً، فكتمت إحداهما، وأفضت عليه الأخرى، فانطلق هارباً حتى أتى جزيرة في البحر، فأقبل رجلان يحتلبان فرأياه، فكتم أحدهما وأفضى الآخر، وقال: قد رأيت الخضر، فقال: ومن رأه معك؟ قال: فلان، فسئل فكتم، وكان في دينهم أن من كذب قُتل، قال: فتزوج المرأة الكاتمة، فبينما هي تمشط ابنة فرعون إذ سقط المشط، فقالت: تعس فرعون، فأخبرت أباه، وكان للمرأة ابنان وزوج، فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما، فأبيا، فقال: إني قاتلكما، فقالا: إحساناً منك إلينا إن قتلنا أن تجعلنا في بيت، ففعل، فلما أسري بالنبي ﷺ وجد ريحاً طيبة، فسأل جبريل فأخبره<sup>(١٦٥)</sup>.

وفي رواية «يا أمته اثبتي فإنك على الحق»<sup>(١٦٦)</sup> وفي رواية «اصبري يا أمه فإنك على الحق، ثم ألقيت مع ولدها»<sup>(١٦٧)</sup> وعند ابن عساكر «فدعا ببقرة من نحاس، وأخذ بعض ولدها فرمى به في البقرة وهي تغلي، ثم قال: ترجعين؟ قالت: لا، فأخذ الولد الآخر، حتى ألقى أولادها أجمعين، ثم قال لها: ترجعين؟ قالت: لا، فأمر بها، قالت: إن لي حاجة؟ فقال: وما هي؟ قالت: إذا ألقيتني في البقرة فأمر بالبقرة أن تحمل ثم تكفأ في بيتي الذي على باب المدينة، وتُحَي البقرة، وتهدم البيت علينا حتى يكون قبورنا، فقال: نعم إن لك علينا حقاً، قال: ففعل بها ذلك»<sup>(١٦٨)</sup>.

### غريب الروايات:

- الماشطة: هي التي تمشط الشعر.

- المدرى: هو المشط.

- بَقْرَة من نحاس: أي قِدرًا كبيرة واسعة، سماها بقرة مأخوذاً من التبقر وهو: التوسع، أو كان شيئاً يسع بقرة تامة بتوالها، وفي رواية ابن حبان، والبيهقي في الشعب (نقرة من نحاس): والنقرة: القطعة المذابة<sup>(١٦٩)</sup>.

## ٦- نبي الله وكنيته إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

قال ابن حجر: ذكر البغوي في تفسيره أن إبراهيم الخليل تكلم في المهدي<sup>(١٧٠)</sup>.  
وقال العلامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢): تكلم في المهدي جماعة، نظم شيخنا -يعني السيوطي- رحمه الله تعالى أسماءهم في كتابه قلائد الفوائد، فقال:  
تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَموسى وعيسى والخليل ومريم<sup>(١٧١)</sup>

وقال المناوي (ت ١٠٢١) وهو يعدد بعض من تكلم في المهدي: منهم: إبراهيم الخليل<sup>(١٧٢)</sup>.  
قلت: لم أجد في تفسير البغوي تصريحاً منه بأن الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام تكلم في المهدي، لكنني وجدت خبراً أورده البغوي في قصة إبراهيم ومحاجته لقومه في آيات سورة الأنعام، عن محمد بن إسحاق مفاده أن إبراهيم الخليل تكلم بعد خمسة عشر شهراً من ولادته، وذلك أن أمه أودعته مغارة قريباً من دارها، وكانت تراقبه كل وقت، بعد أن أمر النمرود بقتل الغلمان حين أخبره كهنته بأنه سيولد غلام يكون زوال ملكك على يديه، وأن هذا الغلام قد حملت به أمه، وأن الخليل بعد هذه المدة المذكورة التي لبثها في المغارة قال لأمه حين جاءت إليه: أخرجيني فأخرجته... إلى آخر ما قال<sup>(١٧٣)</sup>، في خبر دون ثبوته خرط القتاد.

## ٧- شاهد يوسف.

قال الله تعالى ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢١﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾<sup>(١٧٤)</sup>.

وانظر ما سبق من الأخبار في خبر غلام جريج الراهب، ففيها ذكر لهذا الشاهد.  
وقد اختلف العلماء والمفسرون في هذا الشاهد -بعد اتفاقهم على أنه من أهل المرأة- على ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه صبي في المهدي، حكاه ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(١٧٥)</sup>، وكذا قال سعيد بن جبير<sup>(١٧٦)</sup> وهلال بن يساف<sup>(١٧٧)</sup> وقال الضحاك: صبي أنطقه الله<sup>(١٧٨)</sup> وقال أيضاً: يزعمون أنه كان صبياً في الدار<sup>(١٧٩)</sup>.

والقول الثاني، أنه رجل، قال ابن عباس: ذو لحية<sup>(١٨١)</sup> وقال أيضاً: كان من خاصة الملك<sup>(١٨٢)</sup> وقال مجاهد: رجل<sup>(١٨٣)</sup> وقال قتادة: رجل حكيم من أهلها<sup>(١٨٤)</sup> وقال عكرمة: ما كان بصبي، ولكن كان رجلاً حكيماً<sup>(١٨٥)</sup>.

والقول الثالث: أنه كان من أمر الله، ولم يكن إنسياً، وهذا محكي عن مجاهد<sup>(١٨٦)</sup> واستغرب ابن كثير هذا القول<sup>(١٨٧)</sup>.

واختار الطبري -رحمه الله- القول الأول، فقال بعد أن ذكر ما قيل في شاهد يوسف: والصواب من القول في ذلك قول من قال: كان صبياً في المهد؛ للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر من تكلم في المهد، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف<sup>(١٨٨)</sup>.

### دروس وعبر.

في هذا القصص العجيب آية وعبرة وعظة تتمثل في دفاع الله عن الذين آمنوا، فقد صرف الله عن هذا النبي -الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن- السوء والفحشاء، وجعله من عباده المخلصين، ولما اتهمته امرأة العزيز بما هو بريء منه، هياً الله جل وعلا من أهل بيتها من يقيم البرهان بالقرينة على براءة هذا النبي الكريم العفيف، مما رمته به، ورضي الحاضرون بشهادته، وسلّموا لحكمه، فقدّ القميص من دُبر دليل على أن يوسف كان هارباً منها، وأنها هي التي طلبته، حتى أمسكت بقميصه، وهو هارب فانشق القميص، ولو كان القد من قبل، لقليل: إنه كان مُقبلاً عليها طالباً لها، وهي تدفعه عن الوصول إليها، ومع هذه المدافعة حصل للقميص ما حصل من هذا الجانب، فبطل قولها حين كان القد من دُبر، ودلت القرينة على كيدها ومكرها، وأنها هي المُرَاوِدَةُ، وقالوا ليوسف: أعرض عن هذا الحادث الأليم، وتناسه، ولا تخبر به أحداً، طلباً للستر، وقالوا للمرأة: استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين (وكأن زوجها عذرهما لأنها رأت ما لا صبر لها عنه)<sup>(١٨٩)</sup> لكن الخبر شاع واشتهر، وحصل ما قصّه الله في سورة يوسف، مما يطول ذكره، وكان النصر ليوسف، والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين.

### ٨- نبي الله يحيى بن زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

قال ابن حجر في الفتح: زعم الضحاك في تفسيره أن يحيى تكلم في المهد، أخرج الثعلبي فإن ثبت صاروا سبعة<sup>(١٨٩)</sup>.

وقال العيني: قال الضحاك: تكلم في المهد ستة: شاهد يوسف عليه الصلاة والسلام، وابن ماشطة فرعون، وعيسى، ويحيى عليهما الصلاة والسلام، وصاحب جريج، وصاحب الأخدود<sup>(١٩٠)</sup>.

وقال المناوي (ت ١٠٢١) وهو يعدد بعض من تكلم في المهد: منهم: إبراهيم الخليل، ويحيى<sup>(١٩١)</sup>.

قلت: وهذه أقاويل لا دليل عليها.

**٩- موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام.**

قال العلامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢): تكلم في المهد جماعة، نظم شيخنا -يعني السيوطي- رحمه الله تعالى أسماءهم في كتابه قلائد الفوائد، فقال:  
تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَمُوسَى وَعِيسَى وَالْخَلِيلُ وَمَرْيَمُ<sup>(١٩٢)</sup>  
وقال المناوي (ت ١٠٢١): تكلم في المهد نحو عشرة، منهم: إبراهيم الخليل، ويحيى، ومريم، وموسى<sup>(١٩٣)</sup>.  
ولم أجد لما ذكره مُستنداً.

**١٠- مريم عليها السلام.**

وقال العلامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢): تكلم في المهد جماعة، نظم شيخنا -يعني السيوطي- رحمه الله تعالى أسماءهم في كتابه قلائد الفوائد، فقال:  
تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَمُوسَى وَعِيسَى وَالْخَلِيلُ وَمَرْيَمُ<sup>(١٩٤)</sup>  
وقال المناوي (ت ١٠٢١): تكلم في المهد نحو عشرة، منهم: إبراهيم الخليل، ويحيى، ومريم<sup>(١٩٥)</sup>.  
ولم أجد لما ذكره مُستنداً.

**١١- خاتم الأنبياء محمد ﷺ.**

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله رأيتك في المهد تناغي القمر، وتشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال. قال: إني كنت أحدثه ويحدثني، ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته يسجد تحت الكرسي<sup>(١٩٦)</sup>.  
والمناغاة: المحادثة. وناغت الأم صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة<sup>(١٩٧)</sup>.  
قال ابن حجر: وفي سير الواقدي أن النبي ﷺ تكلم أوائل ما وُلد<sup>(١٩٨)</sup>.  
وقال السيوطي: وذكر ابن سبع في الخصائص: أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة، وأن أول كلام تكلم به أن قال: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً<sup>(١٩٩)</sup>.  
قلت: روى البيهقي بسنده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كانت حليلة بنت أبي ذؤيب التي أرضعت النبي ﷺ تُحدِّثُ أَنَّهَا لما فطمت رسول الله ﷺ تكلم، قالت: سمعته يقول كلاماً عجباً، سمعته يقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً<sup>(٢٠٠)</sup>.  
قلت: وهذه الأخبار ونحوها لا تثبت.



**١٢- مبارك اليمامة.**

عن مُعْرَض بن عبد الله بن مُعْرَض بن مُعَيْقِب اليماني، عن أبيه، عن جده، قال: حججت حجة الوداع، فدخلت داراً بمكة، فرأيت فيها رسول الله ﷺ ووجهه مثل دائرة القمر، وسمعت منه عجباً جاءه رجل من أهل اليمامة بسلام يوم وُلد، وقد نُفِّه في خرقة، فقال له رسول الله ﷺ «يا غلام، من أنا؟» قال: أنت رسول الله، قال «صدقت، بارك الله فيك» قال: ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبَّ، قال: قال أبي: فكنا نسميه مبارك اليمامة<sup>(٢٠١)</sup>.

قال ابن حجر: وقد تكلم في زمن النبي ﷺ مبارك اليمامة، وقصته في دلائل النبوة للبيهقي، من حديث مُعْرَض، والله أعلم<sup>(٢٠٢)</sup>.

قلت: وهذا خبر لا يثبت مثله كما تراه في تخريجه.

وبهذا ينتهي ما تمكنت من إيراده، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه غير ذلك فأسال الله معافاته ومغفرته، ورحم الله امرأً وجد خللاً فنبه إليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## الإحالات والهوامش

- (١) الإسراء (٩). (٢) فصلت (٤٤).
- (٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس القصص بالفتح جمع قصة كما يظنه بعض العامة، فإن ذلك يُقال في قصص بالكسر وأحد قصّة، وجمعه قصص بالكسر... والمراد: الكلام الذي هو أحسن القصص، وهو عام في كل ما قصه الله، ويدخل في ذلك قصة يوسف. وقد أطال رحمه الله في تقرير ذلك، فانظره في: مجموع الفتاوى: ١٩/١٧ وما بعدها.
- (٤) يوسف (٣).
- (٥) البخاري (٣٦١٢، ٦٩٤٣) وأبو داود (٢٦٤٩) والنسائي (٥٣٢٠) وأحمد في المسند (٢٠٥٦٨، ٢٦٦٧٥).
- (٦) ومن أحسن من كتب في ذلك جمعاً واستخراجاً للعبير والفوائد من القصص في السنة النبوية: مشهور حسن سلمان في كتابه (من قصص الماضين) وهو مطبوع متداول.
- (٧) البخاري (٤٧٢٥). (٨) يوسف (١١١). (٩) هود (١٢٠). (١٠) الأنعام (٩٠).
- (١١) الممتحنة (٤).
- (١٢) انظر على سبيل المثال: الكتاب الجيد في هذا الباب كأنموذج فريد في استخراج الدروس والعبير من القصص القرآني، للدكتور ناصر العمر (آيات للسائلين، تفسير تحليلي موضوعي لسورة يوسف) جزاه الله خيراً على ما بذل فيه من جهد مشكور.
- (١٣) الروم (٥٤). (١٤) البروج (٨).
- (١٥) سبيل الهدى والرشاد: ٣٤٩/١، وانظر: روح المعاني للأوسى: ٧٢٢/٢١، فقد عزي هذا النظم للسيوطي.
- (١٦) فيض القدير: ٢٩٤/٥. (١٧) معجم مقاييس اللغة: ٢٨٠/٥.
- (١٨) ابن جرير في تفسيره: ٢٧١/٣. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا جرج، عن ابن عباس، به.
- (١٩) الطبري في تفسيره: ٢٧١/٣. (٢٠) الملك (١٥).
- (٢١) لسان العرب: ٤١٠-٤١١/٣. (٢٢) الطبري في تفسيره: ١٧٤/١٦.
- (٢٣) لسان العرب: ٤١٠-٤١١/٣. (٢٤) مريم (٢٩). (٢٥) مريم (٢١).
- (٢٦) آل عمران (٤٦). (٢٧) انظر: المائدة (١١٠) مريم (٢٩-٣٣).
- (٢٨) البخاري (٤٧١٢) حدثنا محمد بن مقاتل.
- والترمذي (٢٤٣٤) أخبرنا سويد بن نصر.
- محمد بن مقاتل، وسويد بن نصر، كلاهما عن عبد الله بن المبارك.
- ومسلم (١٩٤) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، قالوا: حدثنا محمد بن بشر.
- وأحمد في المسند (٩٣٤٠) حدثنا يحيى بن سعيد.
- عبد الله بن المبارك، ومحمد بن بشر، ويحيى بن سعيد، كلهم عن أبي حيان التميمي، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة، به.
- (٢٩) آل عمران (٤٩). (٣٠) آل عمران (٥٠).
- (٣١) انظر: تيسير الكريم الرحمن: ٤٤١-٤٤٢. (٣٢) البداية والنهاية: ٤٦/٢.
- (٣٣) لسان العرب: ٦٠٠/١١. (٣٤) النساء (١٥٦-١٥٧).
- (٣٥) النساء (١٥٩). (٣٦) الأحكام في أصول الأحكام: ٥٨/٢.
- (٣٧) معالم التنزيل للبيهقي: ٣٥٢/١. (٣٨) عمدة القاري: ٢٤/١٦.
- (٣٩) البخاري في صحيحه (٢٢٥٣) حدثنا مسلم بن إبراهيم.

- ومسلم في صحيحه (٢٥٥٠).
- وابن أبي الدنيا في: مجابوا الدعوة (١).
- مسلم، وابن أبي الدنيا، كلاهما عن زهير بن حرب.
- وابن حبان في صحيحه (٦٤٨٩) أخبرنا مظهر بن يحيى بن ثابت بواسط الشيخ الصالح، حدثنا عبد الله بن إسحاق الناقد.
- زهير بن حرب، وعبد الله بن إسحاق الناقد، كلاهما عن يزيد بن هارون.
- وأحمد في المسند (٨٠١٠) ثنا وهب بن جرير.
- وأحمد في المسند (٨٠١٠).
- وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٢١، ٦٩٨٤) حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة.
- أحمد بن حنبل، ويحيى بن محمد بن قزعة، كلاهما عن حسين بن محمد المروزي.
- والبيهقي في الشعب (٧٨٧٩) أخبرنا أبو الخير جامع بن أحمد الوكيل المحمد آبادي، من أصل سماعه، نا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمد آبادي، نا عثمان بن سعيد الدارمي، نا موسى بن إسماعيل.
- مسلم بن إبراهيم، ويزيد بن هارون، ووهب بن جرير، وحسين بن محمد المروزي، وموسى بن إسماعيل، كلهم عن جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين.
- ومسلم (٢٥٥٠).
- والبيهقي في الشعب (٧٨٧٨) من طرق إلى أبي يعلى.
- مسلم، وأبو يعلى، كلاهما عن شيبان بن فروخ.
- وأحمد في المسند (٩٢١٩) حدثنا يحيى بن سعيد.
- والبيهقي في الشعب (٧٨٧٨) من طرق إلى أبي يعلى، نا هدبة.
- شيبان بن فروخ، ويحيى بن سعيد، وهديبة، وكلهم عن سليمان بن المغيرة، نا حميد بن هلال.
- وأحمد في المسند (٨٧٦٨) حدثنا عفان، حدثنا حماد، أنبأنا ثابت.
- حميد، وثابت، كلاهما عن أبي رافع.
- والطبراني في مسند الشاميين (١٢٩٢) حدثني عبد الله بن العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي، حدثني أبي، أخبرني أبي، ثنا ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن الحسن.
- محمد بن سيرين، وأبو رافع، والحسن، كلهم عن أبي هريرة، به.
- وليس عند الطبراني والبيهقي في الشعب (٧٨٧٨) سوى خبر جريج، وعند الطبراني في آخره: قال رسول الله ﷺ «فهو أحد الثلاثة الذين تكلموا في المهدي».
- ولفظ ابن أبي حاتم مختصر جداً.
- وقال الدارقطني في العلل: ١٤/١٠: اختلف في رفعه، رواه جرير بن حازم، وعمران بن خالد، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه أيوب، ويونس بن عبيد، عن ابن سيرين موقوفاً، ورفع صحیح، وكان ابن عون ربما وقف المرفوع.
- ورواه:
- الطبراني في الكبير: ٢٢٤/١٨ (٥٥٨) والأوسط (٧٤٩٨) حدثنا محمد بن شعيب الأصبهاني، ثنا عبد الرحمن بن سلمة الرازي، نا أبو زهير عبد الرحمن بن مغرا، قال: قال المفضل بن فضالة: تذاكرنا البر عند أبي حرب بن أبي السود الديلي، قال أبو حرب: تذاكرنا البر عند عمران بن حصين، فقال عمران بن حصين: تذاكرنا البر عند رسول الله ﷺ فأنشأ يحدثنا، فذكره.

لكن ليس فيه إلا ذكر جريح فقط، وفي آخره: فزعم أبو حرب، أنه لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وشاهد يوسف، وصاحب جريح.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن مفضل بن فضالة، وهو أخو المبارك، إلا أبو زهير، لا يروى عن عمران إلا بهذا الإسناد.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٤٥/٨: رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، وفيه المفضل بن فضالة، وثقه ابن حبان، وغيره، وضعفه جماعة، فإسناده حسن.

(٤٠) ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٢٢) حدثنا أبي، ثنا أحمد بن شعيب الحراني، ثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن محمد بن شرحبيل، عن أبي هريرة، به.

(٤١) الحاكم في المستدرک: ٦٥٠/٢ (٤١٦١) حدثنا أبو الطيب محمد بن محمد الشعيري، حدثنا السري بن خزيمة، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، حدثنا محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، به.

- وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور: ١٩٩/٢.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٤٢) أحمد في المسند (٢٨١٧).

- والحاكم في مستدرکه: ٥٢٨/٢ (٢٨٢٥) ومن طريقه البيهقي في الشعب (١٦٣٦) حدثني محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي.

أحمد بن حنبل، والحسين بن الفضل البجلي، كلاهما عن عفان بن مسلم.

- وأحمد في المسند (٢٨١٧).

- والطبراني في الكبير: ٤٥٠/١١ (١٢٢٧٩) ومن طريقه الضياء في المختارة: ٢٧٧/١٠ (٢٩١) ثنا أبو مسلم الكشي.

أحمد، وأبو مسلم الكشي، كلاهما عن أبي عمر الضرير حفص بن عمر.

- وأحمد في المسند (٢٨١٧) حدثنا حسن بن موسى.

- وأحمد في المسند (٢٨١٧).

- وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢٥١٧) ومن طريق الضياء في المختارة: ٢٧٥/١٠ (٢٨٨).

- وابن حبان في صحيحه (٢٩٠٤) أخبرنا الحسن بن سفيان.

أحمد، وأبو يعلى، والحسن بن سفيان، كلهم عن هديبة بن خالد.

- وابن حبان في صحيحه (٢٩٠٣) أخبرنا جعفر بن محمد بن صليح بواسط، حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري، حدثنا يزيد بن هارون.

- والطبري في تفسيره: ١٩٣/١٢: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا العلاء بن عبد الجبار.

- والطبراني في الكبير: ٤٥٠/١١ (١٢٢٧٩) ومن طريقه الضياء في المختارة: ٢٧٧/١٠ (٢٩١) حدثنا أبو معن ثابت بن نعيم الهوجي، ثنا آدم بن أبي إياس، وحدثنا محمد بن النضر الأزدي، ثنا أبو نصر التمار.

عفان بن مسلم، وأبو عمر الضرير، وحسن بن موسى، وهديبة بن خالد، ويزيد بن هارون، والعلاء بن عبد الجبار، وآدم بن أبي إياس، وأبو نصر التمار، كلهم عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال ابن كثير في تفسيره: ١٦/٢: إسناد لا بأس به، ولم يخرجه.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦٥/١: رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، لكنه اختلط.

وجاء عند الحاكم أن هذا من كلام النبي ﷺ وعند الطبري (تكلم أربعة في المهدي، وهم صفار).

- (٤٣) الطبري في تفسيره: ١٩٢/١٢: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، به.
- (٤٤) غريب الحديث للخطابي: ٢٥٢/١. (٤٥) أحمد (٩٣١٩). (٤٦) مسلم (٢٥٥٠).
- (٤٧) أحمد (٨٧٦٨). (٤٨) الطبراني في الكبير: ١٨ (٥٥٨) والأوسط (٧٤٩٨).
- (٤٩) الطبراني في مسند الشاميين (١٢٩٢). (٥٠) مسلم (٢٥٥٠).
- (٥١) عبد الرزاق في المصنف (٢٠١٢٧). (٥٢) فتح الباري: ٤٨١/٦.
- (٥٣) أحمد (٩٣١٩). (٥٤) الطبراني في مسند الشاميين (١٢٩٢).
- (٥٥) عبد الرزاق في المصنف (٢٠١٢٧). (٥٦) مسلم (٢٥٥٠).
- (٥٧) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٦/٤. (٥٨) سيأتي تخريجه.
- (٥٩) مسلم (٢٥٥٠). (٦٠) الطبراني في الكبير: ١٨ (٥٥٨) والأوسط (٧٤٩٨).
- (٦١) الطبراني في مسند الشاميين (١٢٩٢).
- (٦٢) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٦/٤. تشبيه الغافلين: ٦٩١/٢.
- (٦٣) أحمد (٨٧٦٨). (٦٤) تشبيه الغافلين: ٦٩١/٢. (٦٥) مسلم (٢٥٥٠).
- (٦٦) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٦/٤.
- (٦٧) الطبراني في مسند الشاميين (١٢٩٢). (٦٨) مسلم (٢٥٥٠).
- (٦٩) الطبراني في الكبير: ١٨ (٥٥٨) والأوسط (٧٤٩٨) وأحمد (٨٧٦٨).
- (٧٠) مسلم (٢٥٥٠). (٧١) مسلم (٢٥٥٠). (٧٢) أحمد (٨٧٦٨).
- (٧٣) فتح الباري: ٤٨٢/٦. (٧٤) البخاري في الأدب المفرد (٣٣). (٧٥) مسلم (٢٥٥٠).
- (٧٦) فتح الباري: ٤٨١/٦. (٧٧) تشبيه الغافلين: ٦٩١/٢.
- (٧٨) ابن المبارك في البر والصلة، من مرسل الحسن، كما في فتح الباري: ٤٨١/٦.
- (٧٩) تشبيه الغافلين: ٦٩١/٢. (٨٠) مسلم (٢٥٥٠). (٨١) مسلم (٢٥٥٠).
- (٨٢) البخاري (١٢٠٦). (٨٣) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٦/٤.
- (٨٤) غوامض الأسماء المهمة: ٥٦٩/٢. (٨٥) البخاري في الأدب المفرد (٣٣).
- (٨٦) فتح الباري: ٤٨٢/٦. (٨٧) الطبراني في الكبير: ١٨ (٥٥٨) والأوسط (٧٤٩٨).
- (٨٨) تشبيه الغافلين: ٦٩١/٢. (٨٩) تشبيه الغافلين: ٦٩١/٢. (٩٠) فتح الباري: ٤٨٢/٦.
- (٩١) غوامض الأسماء المهمة: ٥٦٩/٢. (٩٢) فتح الباري: ٤٨٢/٦.
- (٩٤) فتح الباري: ٤٨٢/٦. (٩٥) البخاري في الأدب المفرد (٣٣).
- (٩٦) فتح الباري: ٤٨٠/٦. (٩٧) فتح الباري: ٤٨٠/٦.
- (٩٨) شرح مسلم للنووي: ١٠٥/١٦، فتح الباري: ٧٨/٣، ٤٨١/٦.
- (٩٩) فتح الباري: ٧٨/٣. (١٠٠) شرح مسلم: ١٠٦/١٦. (١٠١) فتح الباري: ٤٨٠/٦.
- (١٠٢) فتح الباري: ٤٨٢/٦. (١٠٣) فتح الباري: ٧٨/٣. (١٠٤) شرح مسلم: ١٠٥/١٦.
- (١٠٥) فتح الباري: ٤٨٢/٦. (١٠٦) فتح الباري: ٤٨٢-٤٨٣.
- (١٠٧) البيهقي في شعب الإيمان (٧٨٨٠) أخبرنا علي بن أحمد بن عيدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار.
- الخطيب في تاريخ بغداد: ٣/١٢: أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن أبي سليمان الحراني، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان.
- أحمد بن عبيد الصفار، وأحمد بن جعفر بن حمدان، كلاهما عن أبي العباس محمد بن يونس بن موسى القرشي، حدثنا الحكم بن الريان البشكري، حدثنا ليث بن سعد، حدثني يزيد بن حوشب الفهري، به.

- والحسن بن سفيان، كما في فتح الباري: ٨٧/٣، ٤٨٢/٦.  
قال البيهقي: هذا إسناد مجهول.
- وقال ابن حجر بعد أن ذكره في الفتح: ٧٨/٣؛ ويزيد هذا مجهول.
- وانظر: نوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٧٩/٢، ٢٢٤/٢، ٨/٤.
- (١٠٨) فتح الباري: ٧٨/٣، (١٠٩) فتح الباري: ٧٨/٣، (١١٠) شرح مسلم: ١٠٥/١٦.
- (١١١) فتح الباري: ٤٨٢/٦، (١١٢) انظر: شرح مسلم: ١٠٨/١٦، (١١٣) المصدر السابق.
- (١١٤) عمدة القاري: ٣٩/١٣، (١١٥) الحديد (٢٧).
- (١١٦) البخاري (٣٤٦٦) حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب.
- وابن حبان في صحيحه (٦٤٨٨) أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف، حدثنا محمد بن رافع، حدثنا شبابة، حدثي ورقاء.
- شعيب، وورقاء، كلاهما عن أبي الزناد، عن عبد الرحمن.
- وأحمد في المسند (٩١٢٤) ثنا هودبة، قال: ثنا عوف، عن خلاص بن عمر الهجري.
- عبد الرحمن، وخلاص، كلاهما عن أبي هريرة، به.
- وانظر تمام تخريجه في حديث جريح الذي قبل هذا.
- (١١٧) البخاري (٣٤٣٦)، (١١٨) البخاري (٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠).
- (١١٩) البخاري (٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠).
- (١٢٠) أبو يعلى في مسنده (٦٢٨٩) وابن حبان (٦٤٨٨).
- (١٢١) أحمد في المسند (٢٣١٩)، (١٢٢) أحمد في المسند (٩١٢٤).
- (١٢٣) مسلم (٢٥٥٠) وأحمد في المسند (٨٠٥٧)، (١٢٤) أحمد في المسند (٩١٢٤).
- (١٢٥) الترمذي في سننه (٢٣٢٥) وأحمد في المسند (١٧٥٧٠) وقال الترمذي: حسن صحيح.
- (١٢٦) شرح مسلم: ١٠٨/١٦، (١٢٧) مسلم (٢٩٩٩) وأحمد في المسند (١٨٤٥٥، ١٨٤٦٠).
- (١٢٨) الترمذي (٢٤٠٢) وقال: غريب. (١٢٩) فتح الباري: ٤٨٤/٦.
- (١٣٠) البخاري (٤٥٦٤)، (١٣١) التوبة (١٢٩)، (١٣٢) أبو داود (٥٠٨١).
- (١٣٣) أبو داود (٣٦٢٧) وأحمد في المسند (٢٣٤٦٣).
- (١٣٤) مسلم (٣٠٠٥).
- وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٨٧).
- وابن حبان في صحيحه (٨٧٢) أخبرنا الحسن بن سفيان.
- مسلم، وابن أبي عاصم، والحسن بن سفيان، كلهم عن هدا بن خالد. وعند ابن أبي عاصم، وابن حبان: هدبة بن خالد، وكلاهما واحد.
- والنسائي في الكبرى (١١٦٦١) أنا أحمد بن سليمان.
- وأحمد في المسند (٢٣٩٧٦).
- والبخاري في مسنده (البحر الزخار ٢٠٩٠) حدثنا عمرو بن علي.
- والبيهقي في الشعب (١٦٣٤) أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصنعاني.
- أحمد بن سليمان، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن علي، ومحمد بن إسحاق الصنعاني، كلهم عن عفان بن مسلم.
- والطبري في تفسيره: ١٣٣/٣٠؛ حدثني محمد بن معمر، قال: ثني حرمي بن عمارة.
- والطبراني في الكبير: ٤٣/٨ (٧٢٢٠) حدثنا محمد بن محمد التمار البصري، ثنا علي بن عثمان اللاحق.

- هداب بن خالد، وعفان بن مسلم، وحرمي بن عمارة، وعلي بن عثمان، كلهم عن حماد بن سلمة.
- والترمذي (٢٢٤٠) حدثنا محمود بن غيلان، وعبد بن حميد، المعنى واحد، قالوا: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر.
- حماد بن سلمة، ومعمر، كلاهما عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.
- وابن أبي شيبة في مسنده (٤٩١) نا أحمد بن عبد الله، أنا هشيم، أنا عبد الحميد بن جعفر، عن الحسين بن محمد الأنصاري، عن رجل من النمر بن قاسط.
- عبد الرحمن بن أبي ليلى، والرجل من النمر بن قاسط، كلاهما عن صهيب بن سنان، به.
- ورواه عبد بن حميد، وابن مردويه، كما في الدر المنثور: ٤٦٩/٨، وطريق عبد بن حميد تقدم في الترمذي.
- (١٣٥) شرح مسلم: ١٨/٣٢٠-٣٢١. (١٣٦) الترمذي (٣٢٤٠).
- (١٣٧) البغوي في تفسيره: ٤/٤٦٩، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/١٨٧.
- (١٣٨) رواه الطبري في تفسيره: ٣٠/١٣٢. (١٣٩) رواه الطبري في تفسيره: ٣٠/١٣٢.
- (١٤٠) رواه الطبري في تفسيره: ٣٠/١٣٢. (١٤١) رواه الطبري في تفسيره: ٣٠/١٣٢.
- (١٤٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/١٨٥. (١٤٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/١٨٧.
- (١٤٤) الماوردي في النكت والعيون: ٦/٢٤٢، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/١٨٧.
- (١٤٥) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/١٨٩.
- (١٤٦) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/١٨٩.
- (١٤٧) شرح مسلم: ١٨/٣٢٠-٣٢١، النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٥/١.
- (١٤٨) شرح مسلم: ١٨/٣٢٠-٣٢١. (١٤٩) العنكبوت (٦٩).
- (١٥٠) الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/١٩١. (١٥١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٢/٤٣٥.
- (١٥٢) أحكام القرآن: ٤/١٩١٦، وينظر: أحكام القرآن له: ٣/١١٦٥. (١٥٣) لقمان (١٧).
- (١٥٤) الترمذي (٢١٧٤) ورواه أبو داود (٤٣٤٤) وابن ماجه (٤٠١١) وأحمد في المسند (١٠٧٥٩، ١١١٩٣).
- وروي من حديث أبي أمامة عند ابن ماجه (٤٠١٢) وأحمد في المسند (٢١٦٥٤، ٢١٧٠٤) والدارمي في سننه (١٧٨٥).
- ومن حديث طارق بن شهاب عند أحمد في المسند (١٨٢٤٩، ١٨٣٥١) والنسائي (٤٢٠٩).
- (١٥٥) ابن أبي عاصم في الأحاد والمتاني (٣٤٤٧) والطبراني في الكبير: ٢٤ (٤٧٩).
- وروي من حديث أم أيمن عند عبد بن حميد (١٥٩٤) وانظر: الإصابة: ١٢/١٤١.
- (١٥٦) روى قسطنطين البخاري في صحيحه (٣٠٤٥، ٣٣٨٩، ٤٠٨٦، ٧٤٠٢) وأحمد في المسند (٧٨٦٩، ٨٠٣٥).
- (١٥٧) الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/١٩٢، وانظر: المفهم شرح صحيح مسلم: ٧/٤٢٦.
- (١٥٨) أحكام القرآن: ٣/١١٧٩. (١٥٩) الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٤٤٤.
- (١٦٠) مجموع الفتاوى: ٢٨/٥٤٠، الفتاوى الكبرى: ٣/٥٤٤، وانظر: الاستقامة له: ٢/٣٢٢.
- (١٦١) الفروسية المحمدية: ٢٦٣، وانظر: زاد المعاد: ٣/١٨٩.
- (١٦٢) الصف (٥). (١٦٣) النساء (١٥٥).
- (١٦٤) أحمد في المسند (٢٨١٧).
- والحاكم في مستدركه: ٢/٥٢٨ (٢٨٣٥) ومن طريقه البيهقي في الشعب (١٦٣٦) حدثني محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي.
- أحمد بن حنبل، والحسين بن الفضل البجلي، كلاهما عن عفان بن مسلم.
- وأحمد في المسند (٢٨١٧).
- والطبراني في الكبير: ١١/٥٠ (١٢٢٧٩) ومن طريقه الضياء في المختارة: ١٠/٢٧٧ (٢٩١) ثنا أبو مسلم الكشي.
- أحمد، وأبو مسلم الكشي، كلاهما عن أبي عمر الضرير حفص بن عمر.

- وأحمد في المسند (٢٨١٧) حدثنا حسن بن موسى.
- وأحمد في المسند (٢٨١٧).
- وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢٥١٧) ومن طريقه الضياء في المختارة: ٢٧٥/١٠ (٢٨٨) والذهبي في سير أعلام النبلاء: ١١٣/٦.
- وابن حبان في صحيحه (٢٩٠٤) أخبرنا الحسن بن سفيان.
- أحمد، وأبو يعلى، والحسن بن سفيان، كلهم عن هدية بن خالد.
- وابن حبان في صحيحه (٢٩٠٢) أخبرنا جعفر بن محمد بن صليح بواسط، حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري، حدثنا يزيد بن هارون.
- والطبراني في الكبير: ٤٥٠/١١ (١٢٢٧٩) ومن طريقه الضياء في المختارة: ٢٧٧/١٠ (٢٩١) حدثنا أبو معن ثابت بن نعيم الهوجي، ثنا آدم بن أبي إياس، وحدثنا محمد بن النضر الأزدي، ثنا أبو نصر التمار.
- عفان بن مسلم، وأبو عمر الضرير، وحسن بن موسى، وهدية بن خالد، ويزيد بن هارون، وأدم بن أبي إياس، وأبو نصر التمار، كلهم عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
- قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
- وقال ابن كثير في تفسيره: ١٦/٢: إسناد لا بأس به، ولم يخرجه.
- وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦٥/١: رواه أحمد، والبخاري، والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، لكنه اختلط. وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٢٠/١٦.
- (١٦٥) ابن ماجة (٤٠٣٠) حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، به.
- ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤١٩/١٦ في ترجمة الخضر مطولاً، من طريق أبي بكر بن أبي داود، نا حسين بن علي بن مهران، نا عامر بن فرات، عن أسباط، عن السدي، به.
- قال البوصيري: هذا إسناد فيه مقال، سعيد بن بشير قال البخاري: يتكلمون في حفظه، وهو يحتمل، وضعفه ابن معين، وأبو مسهر، وتركه ابن مهدي.
- (١٦٦) ابن حبان (٢٩٠٢). (٦٧) الحاكم في مستدرکه: ٥٣٨/٢ (٢٨٣٥).
- (١٦٨) ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٢٠/١٦.
- (١٦٩) النهاية في غريب الحديث: ١٤٥/١، القاموس المحيط: ١٤٧/٢، لسان العرب: ٧٤/٤.
- (١٧٠) فتح الباري: ٤٨٠/٦، فيض القدير: ٢٩٤/٥.
- (١٧١) سبل الهدى والرشاد: ٢٤٩/١، وانظر: روح المعاني للألوسي: ٧٢٢/٢١، فقد عزی هذا النظم للسيوطي.
- (١٧٢) فيض القدير: ٢٩٤/٥. (١٧٣) انظر: معالم التنزيل: ٣٨/٢. (١٧٤) يوسف (٢٦-٢٨).
- (١٧٥) الطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، به.
- وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٥٠٣) حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبدة بن سليمان، عن أبي سعد البقالي، عن عكرمة، عن ابن عباس، به.
- وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور: ٥٢٥/٤.
- وقال ابن حجر في فتح الباري: ٤٨٠/٦: سنده ضعيف.
- (١٧٦) الطبري في تفسيره: ١٩٣/١٢: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا زائدة.
- والطبري في تفسيره: ١٩٣/١٢: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل.
- والطبري في تفسيره: ١٩٣/١٢: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أيوب بن جابر.



- والطبري في تفسيره: ١٩٢/١٢: حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، زائدة، وإسرائيل، وأيوب بن جابر، وأبو بكر بن عياش، كلهم عن أبي حصين.
- والطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن سالم.
- أبو حصين، وسالم، كلاهما عن سعيد، به.
- وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور: ٥٢٦/٤.
- (١٧٧) الطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن حصين، عن هلال، به.
- (١٧٨) الطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو بن محمد، عن أبي مرزوق، عن جويبر، عن الضحاك، به.
- (١٧٩) الطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، به.
- (١٨٠) تفسير ابن كثير: ٤٧٧/٢.
- (١٨١) عبد الرزاق في تفسيره: ٣٢٢/٢.
- والطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي.
- عبد الرزاق، ووكيع، كلاهما عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، به.
- (١٨٢) الطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن ابن أبي مليكة، ابن عباس، به.
- (١٨٣) الطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي.
- والطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، وكيع، وعبد الرحمن، كلاهما عن سفيان.
- والطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير.
- سفيان، وجرير، كلاهما عن منصور، عن مجاهد، به.
- (١٨٤) عبد الرزاق في تفسيره: ٣٢٢/٢: عن معمر، عن قتادة، به.
- (١٨٥) الطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي.
- والطبري في تفسيره: ١٩٤/١٢: حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا عبد الملك بن الصباح، وكيع، وعبد الملك بن الصباح، كلاهما عن عمران بن حدير، سمع عكرمة، به.
- (١٨٦) الطبري في تفسيره: ١٩٦/١٢: ثنا حفص، عن ليث، عن مجاهد، به.
- (١٨٧) تفسير ابن كثير: ٤٧٧/٢. (٨٨) الطبري في تفسيره: ١٩٦/١٢.
- (١٨٩) فتح الباري: ٤٨٠/٦، تخريج أحاديث الكشاف: ١٦٣/٢، عمدة القاري: ٢٨٤/٧، الفتح السماوي للمناوي: ٧٢١/٢.
- (١٩٠) عمدة القاري: ٣٩/١٣. (١٩١) فيض القدير: ٢٩٤/٥.
- (١٩٢) سبل الهدى والرشاد: ٣٤٩/١، وانظر: روح المعاني للألوسي: ٧٢٢/٢١، فقد عزي هذا النظم للسيوطي.
- (١٩٣) فيض القدير: ٢٩٤/٥.
- (١٩٤) سبل الهدى والرشاد: ٣٤٩/١، وانظر: روح المعاني للألوسي: ٧٢٢/٢١، فقد عزي هذا النظم للسيوطي.
- (١٩٥) فيض القدير: ٢٩٤/٥.
- (١٩٦) الأصبهاني في دلائل النبوة: ٢٢٩/١ (٢٣٨) أخبرنا حكيم بن أحمد الإسفرائيني، أنا جدي أبو الحسن الإسفرائيني.
- وأبو عثمان الصابوني في المآتين، كما في الخصائص للسيوطي: ٥٣/١، وكنز العمال (٢١٨٢٨) ومن طريقه ابن عساكر

- في تاريخ دمشق: ٣٥٩/٤: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الطيب.
- والخطيب البغدادي في التاريخ، كما في الخصائص للسيوطي: ٥٢/١، وكنز العمال (٢١٨٢٨) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٥٩/٤: من طريق أبي الحسن بن علي بن أبي بكر الطرازي.
- والبيهقي في دلائل النبوة، كما في الخصائص للسيوطي: ٥٢/١، وكنز العمال (٢١٨٢٨) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٥٩/٤: أنا أبو عبد الله الحافظ.
- أبو الحسن الإسفرائيني، وعبد الله بن أحمد بن علي بن الطيب، أبو الحسن بن علي بن أبي بكر الطرازي، وأبو عبد الله الحافظ، كلهم عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصب، نا أحمد بن شيبان، نا أحمد بن إبراهيم الحلبي، نا الهيثم بن جميل، نا زهير، عن محارب بن دثار، عن عمرو بن يثري، عن العباس، به.
- والطبراني، كما في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ٣٤٩/١.
- قال البيهقي كما في خصائص السيوطي: تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي، وهو مجهول، وقال الصابوني كما في خصائص السيوطي أيضاً: هذا حديث غريب الإسناد والمتن، في المعجزات حسن.
- وفي سياق ابن عساكر (تحت العرش) ولم أجده في المصادر التي عزوت إليها بواسطة.
- (١٩٧) النهاية في غريب الحديث: ٨٨/٥، سبل الهدى والرشاد: ٣٤٩/١.
- (١٩٨) فتح الباري: ٤٨٠/٦. (١٩٩) الخصائص الكبرى: ٥٢/١.
- (٢٠٠) دلائل النبوة: ١٣٩/١: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العماني، قال: حدثنا محمد بن زكريا الفلابي، حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، قال: حدثني أبي، عن أبيه، سليمان بن علي، عن أبيه، علي بن عبد الله بن عباس، عن عبد الله بن عباس، به.
- (٢٠١) ابن قانع في معجم الصحابة: ١٣٤-١٣٥، ومن طريقه السلفي في الطيوريات (٤٦٥).
- والخطيب في تاريخ بغداد: ٤٤٢/٢، ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال: ٧٢-٧٣/٢٧: من طريق أبي عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم.
- والبيهقي في دلائل النبوة: ٥٩/٦: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبيد الصفار.
- والسلفي في الطيوريات (٤٦٥) حدثنا أبو عبد الله عثمان بن أحمد بن جعفر العجلي، حدثنا ابن المجدر، وأبو سهل بن زياد القطان.
- عبد الباقي بن قانع، ومحمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، وأحمد بن عبيد الصفار، وابن المجدر، وأبو سهل بن زياد القطان، كلهم عن محمد بن يونس بن موسى بن كديم الكديمي.
- وابن النجار في تاريخه، كما في البيان والتعريف للحسيني: ٨٠/٢: من طريق محمد بن يونس الكديمي.
- وابن جميع الصيداوي في معجم شيوخه: ٣٥٤، ومن طريقه الخطيب في تاريخ بغداد: ٤٤٤/٢، والبيهقي في دلائل النبوة: ٥٩/٦: حدثنا العباس بن محبوب بن عثمان بن شاصونة بن عبيد، حدثني أبي.
- والحاكم في الإكليل، كما في الإصابة: ١٨٠/٦: من طريق العباس بن محبوب بن عثمان، حدثني أبي.
- محمد بن يونس الكديمي، ومحبوب بن عثمان، كلاهما عن شاصونة بن عبيد أبو محمد اليمامي، قال: حدثني معرض بن عبد الله، به.
- قال ابن السكن كما في الإصابة: ١٨٠/٦، في ترجمة معرض بن معيقب: له حديث في أعلام النبوة لم أجده إلا عند الكديمي، عن شيخ مجهول، فلم أتشأغل بتخريجه.
- وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٦٦/٦، بعد أن ساقه عن البيهقي بهذا الإسناد: هذا الحديث مما تكلم الناس في محمد بن يونس الكديمي بسببه، وأنكروه عليه، واستغربوا شيخه هذا... على أنه روي هذا الحديث من غير طريق الكديمي، إلا أنه بإسناد غريب أيضاً. ثم أورد ابن كثير هذا الحديث من الطريق الأخرى التي ذكرتها.

قلت: محمد بن يونس الكديمي، متهم بوضع الحديث، بل كذبه بعضهم.  
قال ابن عدي: كان مع وضعه للحديث وادعائه مشايخ لم يكتب عنهم، يخلق لنفسه شيوخاً حتى كان يقول: حدثنا شاصويه بن عبيد، منصرفنا من عدن أبين، فذكر عنه حديثاً. الكامل: ٢٩٤/٦، وانظر: المجروحين لابن حبان: ٢١٢/٢-٢١٣، تاريخ بغداد: ٢/ ميزان الاعتدال: ٧٤/٤.  
ومحبوب بن عثمان بن شاصونة، مجهول كما في اللسان: ١٧/٥.  
ومعرض، وشيخه مجهولان، وكذلك شاصوية، قاله ابن حجر، كما في الإصابة: ١٨٠/٦، ولسان الميزان: ١٧/٥.  
قال البيهقي بعد أن ساقه من الطريقتين المتقدم ذكرهما: ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل، بخلافه في وقت الكلام، أخبرنا أبو القاسم زيد بن أبي هاشم العلوي بالكوفة، أنبأنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم، حدثنا إبراهيم بن عبد الله العباسي أنبأنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن بعض أشياخه، أن النبي ﷺ أتني بصبي قد شب لم يتكلم قط، قال: «من أنا؟» قال: أنت رسول الله. وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن بعض أشياخه، قال: جاءت امرأة بآبين لها إلى رسول الله ﷺ قد تحرك، فقالت: يارسول الله إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد، فقال رسول الله ﷺ «ادنيه» فأدنته منه، فقال: «من أنا؟» فقال: أنت رسول الله.  
وعلى كل حال فالحديث لا يُفْرَحُ بثبوته، والله تعالى أعلم.  
(٢٠٢) فتح الباري: ٤٨٠/٦.

## المصادر والمراجع

- الآحاد والمثاني، لأحمد بن عمر بن الضحاك ابن أبي عاصم، تحقيق د باسم الجوابرة، ط الأولى، ١٤١١، دار الراجعية، الرياض.
- الأحاديث المختارة، للمقدسي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، ط الأولى، ١٤١٠، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
- أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة.
- الأدب المفرد، للبخاري، المطبوع مع فضل الله الصمد، ترقيم محب الدين الخطيب، ط الثالثة ١٤٠٧، دار الريان للتراث.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق على محمد البجاوي، الأولى، ١٤١٢، دار الجيل، بيروت.
- البداية والنهاية، لابن كثير، دقق أصوله: دكتور أحمد أبو ملحم، وزملاؤه، ط الأولى، ١٤٠٥، دار الكتب العلمية.
- البيان والتعريف، لأبي حمزة الحسيني، تحقيق سيف الدين الكاتب، ١٤٠١، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق العمري، ١٩٩٥، دار الفكر، بيروت.
- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- تفسير الطبري، ١٤٠٥، دار الفكر، بيروت.
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، الأولى، ١٤١٠، مكتبة الرشد، الرياض.
- تفسير ابن كثير، ١٤٠١، دار الفكر، بيروت.
- تنبيه الغافلين، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، ط الرابعة، ١٤١٠، دار الشروق.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، مؤسسة الرسالة.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وى الفرقان، للقرطبي، تحقيق د. عبد الله التركي، ط الأولى، ١٤٢٧، مؤسسة الرسالة.

- الخصائص الكبرى، للسيوطي، دار الكتاب العربي.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ١٩٩٣، دار الفكر، بيروت.
- دلائل النبوة، للأصبهاني، تحقيق محمد الحداد، الأولى، ١٤٠٩، دار طبية، الرياض.
- دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلنجي، ط الأولى ١٤٠٨، دار الريان للتراث، القاهرة.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالح الشامي، تحقيق عادل عبد الموجود، وزميله، ط الأولى ١٤١٤، دار الكتب العلمية.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، ١٤٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن أبي داود، لأبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.
- السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق د. عبد الغفار البنداري، وزميله، ط الأولى، ١٤١١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجه، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث.
- سنن النسائي بشرح السيوطي، وحاشية السندي، أحمد بن شعيب النسائي، حققه مكتب تحقيق التراث الإسلامي، ط الثانية، ١٤١٢، دار المعرفة بيروت، توزيع مكتبة المؤيد.
- شرح مسلم، للنووي، المطبوع مع صحيح مسلم، بتحقيق الشيخ خليل مأمون شيخا، ١٤١٤، دار المعرفة، مكتبة المؤيد.
- شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد زغلول، ط الأولى ١٤١٠، دار الكتب العلمية.
- صحيح البخاري، للبخاري، المطبوع مع فتح الباري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
- صحيح ابن حبان، لابن حبان، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن بليان) حققه شعيب الأرنؤوط، ط الأولى ١٤١٢، مؤسسة الرسالة.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- الطيوريات، للسلفي، تحقيق دسمان يحيى معالي، وزميله، الأولى، ١٤٢٥، أضواء السلف.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، للدارقطني، تحقيق د. محفوظ الرحمن السلفي، الأولى، ١٤٠٥، دار طبية، الرياض.
- عمد القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، دار إحياء التراث، بيروت.
- غريب الحديث، للخطابي، تحقيق عبد الكريم العزباوي، ١٤٠٢، جامعة أم القرى.
- غوامض الأسماء المبهمة، لابن بشكوال، تحقيق د. عز الدين السيد، وزميله، الأولى، ١٤٠٧، عالم الكتب، بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تصحيح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، دار الفكر.
- الفتح السماوي، للمناوي، تحقيق أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.
- الفروسية المحمدية، لابن القيم، تحقيق زايد بن أحمد النشيري، ط الأولى ١٤٢٨، دار عالم الفوائد.
- فيض القدير، للمناوي، الأولى، ١٢٥٦، المكتبة التجارية، مصر.
- لسان العرب، لابن منظور، الأولى، دار صادر، بيروت.
- مجابوا الدعوة، لابن أبي الدنيا.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيتمي، ط الثالثة، ١٤٠٢، دار الكتاب العربي، بيروت.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦.
- المستدرک، للحاكم، إشراف د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- مسند البزار، البحر الزخار، للبزار، حققه د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم.
- مسند الشاميين، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، ط الأولى، ١٤٠٥، دار الرسالة.

- مسند ابن أبي شيبة، تحقيق عادل العزازي، وزميله، ١٩٩٧، دار الوطن، الرياض.
- مسند أبي يعلى الموصلي، لأبي يعلى، تحقيق إرشاد الحق الأثري، ط الأولى ١٤٠٨، دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، للبوصيري، تحقيق موسى محمد علي وزميله، دار الكتب الحديثة.
- المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط الثانية ١٤٠٢، المكتب الإسلامي.
- معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وزملائه، ط الأولى ١٣٢٤، دار طيبة.
- المعجم الأوسط، للطبراني، قسم التحقيق بدار الحرمين، ١٤١٥، دار الحرمين بالقاهرة.
- معجم الصحابة، لابن قانع، تحقيق صلاح بن سالم المصراطي، الأولى، ١٤١٨، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.
- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تقيق عبد السللام هارون، دار الفكر.
- نواذر الأصول، للحكيم الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ١٩٩٢، دار الجيل، بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.



# تصرفات الأب في مال الابن في فقه المذاهب الأربعة

د. عبد الله بن عيضة المالكي  
أستاذ الفقه المساعد - جامعة الطائف





## الملخص

هذه الدراسة في تصرفات الأب في مال الابن في نظر المذاهب الفقهية الأربعة، وهذا التصرف مبني على الولاية التي هي:

تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى. وهي نوعان:  
أ- ولاية على النفس.

ب- ولاية على المال، ولكل منهما شروط،

فالآباء تختلف طباعهم وأخلاقهم:

١- فمنهم من يحسن التربية وهو مأمون.

٢- ومنهم من يسيء التربية وهو مأمون كذلك.

٣- ومنهم أيضاً من يسيء التربية إلا أنه غير مأمون.

فالأول له التصرف مطلقاً بشروطه.

والثاني له التصرف لكن تتوقف التصرفات لمصلحة الصبي الظاهرة نظراً لسوء تربيته والثالث ليس له التصرف، لأنه ليس له ولاية على نفسه فغيره من باب أولى.

ومجمل تصرفات الأب في مال ولده تكون على النحو الآتي:

١- تصرف الأب ببيع مال ولده ومال الولد إما أن يكون عقاراً أو غيره فإن كان عقاراً فالعلماء قالوا: إن وجود عقار الولد من مصالح الولد ولهذا اختلف العلماء في جواز بيع الأب عقار ولده فمنهم من أجاز ذلك مطلقاً ومنهم من فصل ذلك بشروط.

وإن كان غير عقار فإما أن يتصرف الأب لمصلحته، وإما أن يبيع مال أحد ولديه للآخر.

نفي الحالة الأولى: من العلماء من أجاز ومنهم من منع ومنهم من أجاز بشروط.

وفي الحالة الثانية: وأن كلاهما رشيد أي -الابنان- فإنه لا يجوز.

وإن كان كلاهما سفیه جاز بما لا يضر الآخر. وأما أكله من مال ولده فقد أجازته الفقهاء بالإجماع.

٢- تصرف الأب في مال ولده بالمضاربة: وهذا التصرف أجازته الفقهاء بلا خلاف.

٣- تصرف الأب في مال ولده بالقرض: فمن العلماء من أجازته بشروط ومنهم من منعه.

٤- تصرف الأب في مال ولده بالإعارة: رغم الإعارة من أنواع التبرعات إلا أنه اختلف العلماء في مدى جواز إعارة الأب مال ولده.

٥- تصرف الأب في مال ولده بالشفعة: وهذا مجمع على جوازه للأب.

٦- تصرف الأب في مال ولده بالرهن: إذا كان الولد في حاجة الدين جاز للأب أن يرهن ماله وذلك عند جمهور العلماء. والله أعلم.



## مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد  
فقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالمجتمع، الذي من أهم ركائزه الأسرة، وأهم أفراد الأسرة الأب الذي إليه يكون نسب الأبناء، والدفاع عنهم، والولاية عليهم قبل بلوغهم. وقد ظهر في زماننا هذا جيل من الأبناء تنكروا فيه للأباء تحت ذريعة حقوق الإنسان، والحقوق الشخصية، وحرية التصرف، وما إلى ذلك، ونسي الابن بل وتناسى في خضم ماديات العصر، من يجب عليه نفقتهم من الآباء ونحوهم، فأصبح مصير بعضهم هو دور العجزة ورعاية المسنين. ولونظرنا إلى الفقه الإسلامي لوجدنا أن للأب حق التصرف بالأخذ والتملك من مال ولده بضوابط شرعية منصفة، وشروط عادلة.

## الباعث على اختيار الموضوع

والباعث على اختيار هذا الموضوع فقدان الترابط الأسري في بعض المجتمعات ووجود الأبناء للأباء وعقوقهم، حيث أصبح التمرد على الآباء باسم الحرية الشخصية هو ديدن الأبناء في هذا العصر، هذا من جانب ومن جانب آخر فهناك شريحة من الآباء يجتاحهم العوز وقلة ذات اليد، فهذه دور إيواء المسنين، والجمعيات الخيرية، وضعت على قوائمها عددا ممن يطلبون الإحسان إليهم، والصدقة عليهم، رغم قدرة أبنائهم المالية، بل وغنى بعضهم المفرد مع أن الأب هو رب الأسرة والمسئول الأول عنها في الإسلام، وبالتالي فإن له حق التصرف في شؤون أبنائه خصوصا المالية في الجملة.

### منهج الباحث في البحث:

- ١- أعرض المبحث مباشرة، وأبين آراء علماء المذاهب الفقهية الأربعة.
- ٢- محاولة مقارنة آراء الفقهاء في ذلك بعرض الدليل ووجه الدلالة منه، والمناقشة، ثم بيان القول الراجح.
- ٣- الرجوع لأمهات كتب المذاهب الفقهية لأخذ رأي كل مذهب.
- ٤- عزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث والآثار الواردة.
- ٥- ذكر مصادر البحث ومراجعة. عرض فهرسة للموضوعات.

### الدراسات السابقة:

- ١- حقوق الآباء على الأبناء - طه عبد الله عفيضي/ دار المطبوعات العربية حيث بين الباحث من خلال هذه الدراسة أن من الحقوق على الأبناء لأبائهم أن يبرّوهم ويحسنوا إليهم، فيعملوا الخير لهم، ويقضوا عنهم ديونهم، وعباداتهم التي ربّما قصّروا بأدائها في الحياة، كالصلاة والصوم والحج، ودوام الاستغفار لهم، فإن ذلك حق للآباء على أبنائهم..... الخ ما ذكره الباحث.
  - ٢- الدراسة الثانية عنوانها: علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة - سعاد إبراهيم صالح/ مطبعة تهامة جدة.
- حيث تناولت الباحثة بيان عظم حقوق الآباء على الأبناء، وأن رضاهما من رضي الله تعالى، ثم بيان حقوق الأبناء على الآباء، بدءاً من اختيار أمهم، وتحسين أسمائهم، والعقيدة عنهم، والنفقة عليهم، والحضانة لهم، والنفقة، والكسوة، والحماية، وما إلى ذلك.
- ٣- الولاية على المال في الشريعة - أحمد حسب الله / معهد البحوث مصر.
- وقد بين الباحث أن الولاية يقصد بها: أن يتولى الكبير الراشد تدبير شئون القاصر الشخصية والمالية، والقاصر: من لم يستكمل أهلية الأداء؛ سواء كان فاقداً لها كصبي غير مميز ومجنون، أم ناقصها كصبي مميز ومعتوه ومحجور عليه بسفه، ثم بين أن الولاية نوعان: ولاية على النفس، وولاية على المال، والولاية على النفس: هي الإشراف على شئون القاصر الشخصية من صيانة وحفظ وتأديب وتعليم وتزويج، والولاية على المال: هي الإشراف على شئون القاصر المالية من استثمار وتصرفات كالبيع والإجارة والرهن وغيرها.

وهذه الدراسة ستضيف بيان حكم تصرفات الأب في مال الولد عند الفقهاء الأربعة ببيع، أو هبة، أو قرضاً، أو إعارة، أو شفعة، وما إلى ذلك من المعاملات المالية، وأن مال الولد

لا يخلو إما أن يكون عقاراً أو غيره فإن كان عقاراً فالعلماء قالوا: إن وجود عقار الولد هو من مصالح الولد ولهذا اختلفوا في جواز تصرف الأب فيه، فمنهم من أجاز ذلك مطلقاً، ومنهم من أجاز به بشروط، ومنهم من منع.

### تمهيد :

في تعريف الولاية وبيان أنواعها، وتصنيف الآباء في ولايتهم على الأبناء.

### أ- تعريف الولاية :

الولاية بالكسر السلطان، والولاية النصر<sup>(١)</sup>.

وقال ابن فارس: الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على القرب<sup>(٢)</sup> يقال ولي فلانا ولاية إذا نصره وأعانه.<sup>(٣)</sup>

هذا في اللغة، أما عند الفقهاء: فقد قال الجرجاني: الولاية في الشرع: تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبي<sup>(٤)</sup>.

### أنواع الولاية :

الولاية نوعان:

ولاية على النفس: وهي رعاية القاصر من ناحية التزويج والتربية والحضانة وسيأتي الحديث عنها في ثنايا البحث.

ولاية على المال: وهي تخص التصرفات التي لها علاقة بالمال.

الولاية على المال:

ولاية المال هي سلطة التصرف فيه من غير حاجة إلى إجازة أحد، وهي تثبت على الصغير من أجل حماية أمواله لعجزه عن التصرفات.

### ٢- أدلة مشروعية الولاية على المال :

شرعت الولاية على المال لأنها من باب الإعانة على البر ومن باب الإحسان ومن باب إعانة الضعيف وإغاثة اللهفان وكل ذلك حسن عقلا وشرعا<sup>(٥)</sup>.

### ٣- الولي على مال الصغير:

اتفقت كلمة الفقهاء على أن الأب هو أولى الأولياء بالولاية المالية<sup>(٦)</sup>، ولقد عللوا تقديمهم الأب بالإجماع بأن شفقة الأب فوق شفقة الكل.

ولأن الولاية ما شرعت إلا لمصلحة الصغير وليس هناك من يراعي هذه المصلحة مثل الأب، ولأن الولد جزء أبيه والإنسان شديد الحرص على رعاية نفسه وجزئه وقد قال القائل:

وإنما أولادنا بيننا ..... أكبادنا تمشي على الأرض

**٤- الشروط التي يجب توفرها في الأب حتى تثبت له الولاية على المال:**

وحتى تثبت للأب ولاية المال يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية:<sup>(٧)</sup>  
**أولاً:** أن يكون عاقلاً بالغاً حراً وذلك لأن فاقداً الأهلية أو ناقصها ليس أهلاً للولاية المالية على نفسه فلا يكون أهلاً للولاية المالي على غيره.

**ثانياً:** أن يكون مسلماً فإن كان الأب كافراً فلا تثبت له الولاية لقوله تعالى:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾<sup>(٨)</sup>

وجه الدلالة من الآية: أن أُل في كلمة الكافرين استغراقية وهي من صيغ العموم التي تستغرق جميع أفرادها، فالكافر ليس له سبيل على المؤمن ولو كان قريباً.

**ثالثاً:** أن يكون أميناً رشيداً غير مبذر وغير محجور عليه لأنه لو كان سفيهاً فإنه لا يلي أمور نفسه فلا يلي أمور غيره من باب أولى كما أن المحجور لا يلي أمور نفسه فكيف يلي أمور غيره ؟.

**رابعاً:** أن يكون الأب ظاهر العدالة لأن الفاسق لا يؤمن على المال لنفسه<sup>(٩)</sup>.

**٥- بداية الولاية المالية للأب على الصغير وانتهاءها<sup>(١٠)</sup>:**

تبتدئ الولاية المالية للأب على أولاده الصغار منذ ولادتهم حتى يبلغوا سن الرشد، وتنتهي بزوال سببها وهو الصغر وبلوغه سن الرشد في المال، ويعرف الرشد عن طريق الاختبار والتجربة، فإذا تبين بالتجربة رشده سلمت إليه أمواله وزالت الولاية عنه.

قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَأَسْتَمْتُمْ مِّنْهُمْ رِّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ..﴾<sup>(١١)</sup>

قال القرطبي: وهذه الآية خطاب للجميع في بيان كيفية دفع أموالهم.<sup>(١٢)</sup>

**٦- القاعدة العامة في تصرفات الأب في أموال ولده:**

القاعدة العامة التي أجمعت عليها آراء الفقهاء<sup>(١٣)</sup> والتي يجب على الأب العمل بها في تصرفاته بأموال ولده هي: أن لا يتصرف الأب إلا بما فيه نظر ومصصلحة للولد. ويدل على هذه

القاعدة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾<sup>(١٤)</sup>

قال القرطبي: «أي بما فيه صلاحه وتتميره وذلك بحفظ أصوله وتتمير فروعه».<sup>(١٥)</sup>

وقال أبو السعود: «أن الخطاب للأولياء والأوصياء في حفظ وتتمير مال اليتيم»<sup>(١٦)</sup>

واستدلوا لهذه القاعدة أيضاً بالحديث الذي روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول

الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار».<sup>(١٧)</sup>

وبالحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو مرفوعاً أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ليس منا من

لم يرحم صغيرنا».<sup>(١٨)</sup>

فظاهر من الحديث الأول أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن الضرر مطلقاً ومنه يتضح أن الإضرار بالصغير ليس من الرحمة في شيء فوجب التصرف في مال الصغير بالنظر والمصلحة وبما ليس فيه ضرر عليه.

وبناء على هذه القاعدة تفرعت الأحكام الآتية التي تبين حدود تصرفات الأب في مال ولده: (١٨)  
**أولاً:** أن الأب لا يجوز له مباشرة التصرفات والعقود الضارة بالولد ضرراً محضاً مثل الهبة والصدقة وسائر التبرعات أو الشراء بغبن فاحش وفي هذه الحالة يكون تصرفه باطلاً.  
**ثانياً:** أن للأب مباشرة العقود والتصرفات النافعة مثل: قبول الهبة والوصية والصدقة لأن ذلك نفع محض للولد فيملكه الأب.

**ثالثاً:** العقود والتصرفات الدائرة بين النفع والضرر مثل البيع والشراء، والإجارة وغيرها فلقد قال أكثر الفقهاء بأنه يجوز للأب مباشرتها برأيه واجتهاده لوفور شفقتة وحرصه على مصلحة ولده الصغير.

**رابعاً:** على الأب أن لا يخاطر بمال ولده الصغير وتتمثل المخاطرة بالسفر بالمال في طريق خطره دون ضرورة لذلك، أو عدم الاحتياط الكافي في السفر وما إلى ذلك.

**خامساً:** ويستحب للأب التجارة بمال الصغير بقصد تميمته لأن ذلك أولى من ترك المال تأكله الصدقة واستدلوا على ذلك بما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «من ولي يتيماً فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة» (٢٠)  
 وبما روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: «اتجروا في أموال اليتامى لئلا تأكلها الصدقة» (٢١).

فالحديث السابق وهذا الأثر يأمران الأب بالاتجار في أموال الصغير لتتميتها وحتى لا تأتي عليها الزكاة فلا تبقى منها شيئاً.

**سادساً:** إن احتاج الولد الصغير للنفقة فعلى الأب الإنفاق عليه دون إسراف ولا تبذير.

## ٧- أصناف الآباء:

الأب مقدم على جميع الأولياء لوفور شفقتة كما سبق إيضاحه، لكن الآباء ليسوا جميعاً في درجة واحدة بالنسبة للتصرف في أموال أولادهم، بل هم مختلفون بحسب صفاتهم، لأن الأب إما أن يكون حسن التدبير لكنه غير مبذر وغير متلف وغير خائن.

وإما أن يكون سيء التدبير ومبذر ومتلف غير مأمون على مال ولده.

**فالصنف الأول:** وهو أن يكون حسن التدبير غير مبذر ولا متلف: فهذا يكون مطلق التصرف في أموال ولده يتصرف فيها بجميع أنواع التصرفات التي يملكها في أمواله الشخصية ولا يستثنى



من ذلك إلا التصرفات التي هي من نوع التبرع وما في معنى التبرع لأنها تعتبر ضرراً محضاً وولاية الأب هي للمصلحة كما سبق إيضاحه.

**الصنف الثاني:** أب سيء التدبير لكنه غير مبذر وغير متلف وغير خائن وهذا تثبت له الولاية ولا تسلب عنه إلا أنه نظراً لسوء تدبيره وفساد رأيه تتوقف تصرفاته في مال صغيره على المصلحة الظاهرة فإن كانت المصلحة ظاهرة واضحة في التصرف نفذ وإلا لم ينفذ. إذاً: فالأب سيء التدبير المبذر غير مأمون على مال ولده فلا تثبت له الولاية المالية على ولده الصغير لأنه لا ولاية له على نفسه فلا ولاية له على غيره من باب أولى.

## - المبحث الأول -

### (تصرف الأب في مال ولده بالبيع ونحوه)

للأب مطلق التصرف في مال ولده بالبيع والشراء على ما تقتضي المصلحة والفائدة للولد، فلأب أن يبيع مال الصغير منقولاً كان أو عقاراً وأن يشتري له ما شاء مما فيه مصلحة في ضوء المسائل التالية:

#### أمسألة الأولى: بيع الأب عقار ولده:

وجود العقار من مصالح الولد وفوائده، لكن بيعه قد يؤدي إلى فوات مثل هذه الفوائد والمصالح، لهذا اختلفت آراء فقهاء المذاهب الإسلامية في مدى جواز بيع الأب عقار ولده فمنهم من جوز ذلك مطلقاً.

ومنهم من قيد ذلك بشروط وحالات خاصة. وفيما يلي تفصيل ذلك :

١- قال الحنفية: "إذا باع الأب عقاراً لصغير من أجنبي بمثل القيمة أو بغبن يسير ذلك على ثلاثة أوجه "

الوجه الأول: لا يجوز إذا كبر الابن، والثاني يجوز حتى ولو كبر الابن ولم يكن له أن ينقض، لأن للأب شفقة كاملة ولم يعارض هذا المعنى معنى آخر فكان هذا البيع صحيحاً نظراً لعدم وجود علة أخرى معارضة فيجوز.

وفي الوجه الثالث وهو ما إذا كان الأب فاسداً، فإن باع العقار فلا يجوز حتى لو كبر الابن كان له أن ينقض وهو المختار إلا إذا كان خيراً للصغير بأن باع بضعف قيمته<sup>(٢٢)</sup>

٢- وقال المالكية: "وللأب البيع لمال ولده المحجور له مطلقاً ربعا<sup>(٢٣)</sup> أو غيره وإن لم يذكر السبب بل وإن لم يكن له سبب لحمله على السداد عند كثير من علماء المالكية"<sup>(٢٤)</sup>

أما غير الأب من الأولياء فقد قيدوا البيع بوجود أسباب عديدة يرجع إليها في كتبهم<sup>(٢٥)</sup>

٣- وقال الشافعية: "ولا يبيع عقاره لأن العقار أسلم وانفع مما عداه إلا لحاجة من كسوة أو نفقة ونحوهما بأن لم تف غلة العقار بذلك ولم يجد من يقرضه أولم ير للمصلحة في الاقتراض أو خوف خراب ... أو غبطة ظاهرة كبيعة بزيادة على ثمن مثله وهو يجد مثله لبعضه أو خيراً منه بكله"<sup>(٢٦)</sup>

٤- وقال الحنابلة: "ولولي صغير بيع عقار لمصلحة وأنواع المصلحة كثيرة عندهم: لكونه في مكان لا غلة فيه أو هي سيرة أو له جار سوء أو ليعمر له عقاره الآخر ولو بلا ضرورة أو زيادة على ثمن مثله"<sup>(٢٧)</sup>

وبالنظر في أقوال المذاهب يرى أن كل مذهب أخذ اتجاهها معينا في إجازة بيع الأب عقار ولده على النحو التالي:

فملخص قول الحنفية أن لا يكون البيع بغبن فاحش وأن يكون البيع صادرا من أب محمود عند الناس أو على الأقل مستور الحال.

وقال المالكية أن للأب بيع عقار الصغير مطلقا وإن لم يذكر السبب أو حتى لم يكون هناك سببا ما لأن تصرف الأب لولده محمول على الشفقة والنظر والسداد .

أما الشافعية فقالوا لا يبيع عقاره إلا لحاجة أو غبطة و أخيرا الحنابلة في اصح أقوالهم: أن لا يبيع عقاره إلا لمصلحة بناء على قاعدة "أن لا يتصرف الأب إلا بما فيه نظر ومصلحة للولد" فعلى هذا الأساس يمكن القول: أن الأب الذي تتوفر فيه شروط الولاية بحيث يكون محمودا عند الناس أو على الأقل مستورا يجوز بيعه عقار ولده إن كان في هذا البيع ضرورة أو حاجة أو على الأقل مصلحة في ذلك للولد.

أما إن كان هناك ضرر أو لم تكن مصلحة في البيع فلا يجوز بيعه، لأن في ذلك تفويتا للعقار الذي فيه الفائدة الباقية والنفع الدائم للولد.

ببيع العقار فهذا شرط أساسي من شروط الولاية حيث هذا الصنف من الناس لا يصح توليته فضلا عن جواز تصرفه.

وفيما يلي تلخيص لأهم حالات الضرورة أو الحاجة أو المصلحة والغبطة التي قال العلماء في جواز بيع عقار الولد على اختلاف آرائهم وتعليلاتهم:

- ١- إذا كان الوالد بحاجة إلى كسوة أو نفقة ولم يجد مقرضا .
- ٢- نقل الخراج .
- ٣- خوف الخراب أو الهلاك ونحوه .
- ٤- حاجة عمارة أملاكه وليس له غير هذا العقار يمكنه التصرف فيه .
- ٥- دين حل أجله .
- ٦- كون العقار في مكان لا ينتفع به .
- ٧- لكون العقار نفعه قليلا وفي بيعه مصلحة وغبطة بأن يشتري له بثمنه عقارا أكثر نفعاً للولد .
- ٨- كون الدار في مكان يتضرر الغلام بالمقام فيه كسوء الجوار فيبيعه ويشتري له دار يصلح للولد الإقامة فيها .
- ٩- وكذلك إذا رأى الأب شيئا في شرائه نفع للصغير ولا يمكن شراؤه إلا ببيع عقاره .

- ١٠- لإرادة شريكه بيعا فيما لا ينقسم ولا مال له يشتري له به حصة الشريك.
- ١١- خشية انتقال العمارة عنه فيصير منفرد عنها .
- هذه من أهم الدواعي التي ذكرها الفقهاء وتبقى هناك أسباب أخرى كثيرة لا ينحصر ذكرها لكن تبقى العبرة في جواز بيع الأب عقار ولده، أن يكون في البيع حظ ومصلحة له .

### المسألة الثانية: تصرف الأب في مال ولده بالمضاربة (\*) :

ليس هناك خلاف بين الفقهاء في أن يضارب الأب بمال ولده وذلك لأن المضاربة نوع من الاتجار بمال الولد والاتجار في مال الولد مندوب إليه، وفيما يلي طائفة لأقول أرباب المذاهب في هذه المسألة:

قال الحنفية: "وله - أي للأب - أن يجعل ماله - أي الولد - مضاربة".<sup>(٢٧)</sup>

قال المالكية: "للوصي دفع مال الموصى عليه للغير يعمل فيه قراضا أو إبطاعا"<sup>(٢٨)</sup>

وسئل الإمام مالك "أفيعطي مال اليتيم مضاربة، قال نعم".<sup>(٢٩)</sup>

وقال الشافعية: "يجوز لولي الطفل والمجنون أن يقارض بمالهما".<sup>(٣٠)</sup>

وقال الحنابلة: "ولأب وغيره مضاربتة له - أي الإتجار - بماله".<sup>(٣١)</sup>

واستدلوا لذلك بما يلي:<sup>(٣٢)</sup>

أولا: بقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾<sup>(٣٣)</sup> فمقتضى هذه الآية ندب الاستثمار والمضاربة في مال الولد.

ثانيا: لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: "من ولى يتيما له فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة"<sup>(٣٤)</sup>، فلقد أمر الرسول ﷺ في هذا الحديث بالاتجار في مال اليتيم، والمضاربة هي نوع من الاتجار، ولأن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أبضعت مال محمد بن أبي بكر - رضي الله عنهما - في البحر.<sup>(٣٥)</sup>، وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى مال يتيما مضاربة.<sup>(٣٦)</sup>

ثالثا: لأن الولي نائب عن محجوره في كل ما فيه مصلحته والمضاربة فيها حظ ومصلحة له ولتكون نفقته من فاضله وربحه كما يفعل البالغون في أموالهم وأموال من يعز عليهم من أولادهم.

فمن مجموع هذه الأدلة يتضح أنه يجوز للأب أن يتجر وأن يضارب بمال ولده حتى يضمن نماءه واستثماره وبالتالي لا تأكله الصدقة - أي الزكاة.

**بعض أحكام مضاربة الأب في مال ولده:**

- ١- على الأب أن لا يتجر إلا في المواضع الآمنة ولا يدفعه إلا لأمين ولا يغري بماله، وذلك طبقاً للقاعدة السابقة في حفظ مال الولد وصيانتته. <sup>(٣٧)</sup>
- ٢- للأب مضاربتة بمال ولده بنفسه أو أن يدفعه لغيره. فإذا ضارب الأب بمال ولده بنفسه فإن الربح يكون كله للولد لأنه نماء ماله فلا يستحقه غيره إلا بعقد، الأمر الذي لم يحصل لكن يحل له الربح فيما بينه وبين الله تعالى لكن القاضي لا يصدقه فلا بد من الأَشهاد، فإن أشهد على تصرفه بأنه مضاربة جاز له الربح قضاء وإن لم يشهد لا يصدقه القاضي فلا يجيز له أخذ الربح. <sup>(٣٨)</sup>
- ٣- وللأب أن يدفع مال صغيره لمن يجز فيه مضاربة بجزء معلوم من الربح. <sup>(٣٩)</sup>
- ٤- ويجوز للأب إبطاع مال ولده لما روى عن عائشة في الحديث السابق الذكر، ولأنه إذا جاز دفعه بجزء من الربح فدفعه إلى من يوفر الربح أولى. <sup>(٤٠)</sup>

**المسألة الثالثة: تصرف الأب في مال ولده بالقرض: (\*)**

لقد اختلفت أقوال المذاهب في إقراض الأب مال ولده، فمنهم من لم يجزه مطلقاً ومنهم من أجازَه بشروط، وفيما يلي بعضاً من أقوالهم :-

**قال الحنفية:** " الوصي لا يملك إقراض مال اليتيم، والقاضي يملك، واختلفوا في الأب والأصح أن الأب بمنزلة الوصي " <sup>(٤١)</sup>

وقالوا أيضاً: " وفي الأب روايتان " :

وفي الرواية الظاهرة يقول: لا يملك الإقراض، لأنه تبرع، وليس للصغير فيه منفعة ظاهرة، وفي هذه الرواية إشارة إلى أن للأب ذلك لأنه غير متهم في حق ولده.

والظاهر أن لا يقرضه إلا ممن يملك الاسترداد منه متى شاء فهو بمنزلة القاضي في ذلك وللقاضي ولاية الإقراض في مال اليتيم لتمكنه من الاسترداد متى شاء فكذلك الأب له ذلك <sup>(٤٢)</sup>.

**وقال الشافعية:** " ولا يودع ماله ولا يقرضه من غير حاجة لأنه يخرج من يده فلم يجز " <sup>(٤٣)</sup>

**وقال الحنابلة:** " وله قرضه لمصلحته فيه " <sup>(٤٤)</sup>.

وبالنظر في أقوال المذاهب يلاحظ الآتي:

أن الرواية الظاهرة عند الحنفية تمنع إقراض مال الصغير واستدلوا على ذلك: بأن القرض نوع من التبرع، وقد عرفنا سابقاً أن عقود التبرعات ممنوعة في أموال الصغير. وكذلك لأنه ليس للصغير فيها مصلحة أو منفعة ظاهرة. <sup>(٤٥)</sup>

وفي الرواية الأخرى عندهم أنه لا يملك إقراضه إلا ممن يمكنه استرداده منه كأن يقرضه ابنه الآخر، فيسترده منه متى شاء.

**أما المشافعية والحنابلة فهم يقولون: بأنه يقرضه إذا كانت هناك حاجة أو مصلحة في إقراض ماله أقرضه وألا فلا.** <sup>(٤٦)</sup>

واعتمد هؤلاء على القاعدة التي تقول: (أن تصرف الأب في مال ولده بالمصلحة).

وبالنظر في أقوال هؤلاء العلماء وأدلتهم يمكن القول بأن القرض هو فعلا من العقود التبرعية وعلم مما سبق أن عقود التبرعات من التصرفات الضارة، الضرر المحض الممنوع منها الأب في مال ولده.

لكن قد تكون في الإقراض مصلحة أو حاجة ماسة للولد، وعليه:

فلا يمكن المنع من القرض مطلقا ولا إباحته مطلقا وأقول أنه متى احتاج الأب إلى إقراض مال ولده أقرضه وإن لم يكن في حاجة إلى مثل هذا التصرف ولا يعود بالفائدة على الولد فلا يقدم عليه. والله أعلم.

وفيما يلي الحالات التي ذكرها العلماء والتي تبيح للأب عند حصولها إقراض مال ولده.

### معنى الحظ والمصلحة في قرض مال الصبي:

١- أن يكون للولد مال في بلد فيريد الولي نقله إلى بلد آخر، فيقرضه الولي من رجل في ذلك البلد ليقترضه بدله في بلده، يقصد بذلك حفظه من الضرر والمخاطرة في نقله، أو يخاف عليه الهلاك من نهب أو غرق. <sup>(٤٧)</sup>

٢- أو يكون المال مما يتلف بتطاول مدته أو يكون حديثه خيرا من قديمة كالحنطة ونحوها فيقرضه الولي خوفا من السوس أو خوفا من أن تنقص قيمته. <sup>(٤٨)</sup>

ويمكن القياس على هذا، لكن حتى يتم القرض لا بد من توفر الشروط التالية: <sup>(٤٩)</sup>

١- لا يجوز قرض مال الولد إلا للمليء أمين وذلك حتى لا يعرضه للتلف لأن غير الأمين يجحد وغير المليء لا يمكن أخذ البديل منه.

٢- ولا يقرضه الولي لمروءة أو مكافأة لأنه لا حظ للولد في ذلك.

٣- أن لا يقرضه إلا ممن يملك الاسترداد منه متى شاء.

٤- وان أقرض الأب مال ولده ورأى أخذ الرهن عليه أخذ لأن ذلك أوثق، وإن رأى ترك الرهن لم يأخذ.

**فروع:****الفرع الأول:**

إن دعت الحاجة إلى الاقتراض للولد فيجوز ذلك للأب مثل أن يكون الولد في حاجة للنفقة عليه والكسوة أو النفقة على عقاره المتهم إذا كان له مال غائب فتوقع قدمه، أو ثمرة ينتظرها يفي بها ذلك، وإن لم يكن له شيء ينتظر فلا حظ له في الاقتراض بل يبيع عليه شيئاً من أصوله ويصرف في نفقته.<sup>(٥٠)</sup>

**الفرع الثاني**

إن الوصي لا يملك أن يقترض من مال الولد شيئاً لنفسه كما لا يشتري من نفسه ولا يبيع لها للثمة، وظاهره أن الأب له ذلك لعدم التهمة.<sup>(٥١)</sup>

**المسألة الرابعة: تصرف الأب في مال ولده بالإعارة؛<sup>(٥٢)</sup>**

رغم أن الإعارة من أنواع التبرعات إلا أنه اختلف العلماء في مدى جواز إعارة الأب مال ولده. وقد اختلفت آراء الحنفية في ذلك:

فمنهم من قال بأنه ليس لوالد الصغير أن يعير متاع ولده الصغير<sup>(٥٣)</sup>. وبعضهم قال: "أن الأب يملك إعارة مال اليتيم وذلك لعدم البديل"<sup>(٥٤)</sup>.

وبالنظر في الإعارة نجد أنها من العقود التي هي في معنى التبرع وقد عرفنا سابقاً أن عقود التبرعات ممنوعة في مال الولد لأن التبرع لا يكون إلا من المالك.

ولأنه لا فائدة للولد في إعارة ماله لعدم البديل، ولأنه قد يفوت عليه بعض مصالحه.

وكذلك لأنه إذا كانت الإعارة تعطيلاً للإجارة فإن ذلك يكون تصرفاً ضاراً ضرراً محضاً يثبت أنه لا مصلحة فيه فيبطل<sup>(٥٥)</sup>.

لكن قال بعض المحدثين بأنه يجوز أن يعير الأب مال الصغير إذا كان العرف

يجري بذلك كإعارة آلة غير معدة للاستغلال لمن جرى العرف بإعارتها له ولا يقال إن في هذه الإعارة معنى التبرع وهو ضرر، وذلك لأنه لا ضرر في هذه الإعارة حيث لا تعد الآلة للاستغلال.

ولأن هذا من باب تبادل الخدمات بين الناس في العرف فإذا أعار الأب مال الصغير اليوم استعار له غداً وهو ما أرجحه. والله أعلم.<sup>(٥٦)</sup>

**إعارة نفس الصغير :**

أما إعارة نفس الصغير فقالوا أن - للأب إعارته إذ لم يضر بالصبي وكان ذلك في تعليم الحرفة بأن دفعه إلى أستاذ ليعلمه الحرفة ويخدم أستاذه أما إذا كان بخلاف ذلك فلا يجوز<sup>(٥٧)</sup>.

**المسألة الخامسة : تصرف الأب في مال ولده بالشفعة :<sup>(٥٨)</sup>**

الشفعة تثبت للصغير والكبير وذلك لما فيها من المصلحة في إزالة الضرر، والأب يأخذ بالشفعة أو يترك حسب المصلحة ومن المتفق عليه رفع الضرر عن الصغير لهذا كان على الأب إتباع المصلحة في الأخذ بالشفعة أو تركها وهذا ما اتفقت عليه آراء المذاهب وفيما يلي أقوالهم: فقد قال محمد بن الحسن من الحنفية<sup>(٥٩)</sup> "أن الصغير والكبير في استحقاق الشفعة سواء، ثم إذا وجبت الشفعة للصغير فالذي يقوم بالطلب والأخذ من قام مقامه شرعا في استيفاء حقوقه وهو أبوه ..

وقال المالكية: "والولي أولى بالشفعة فله الأخذ بالشفعة لمحجوره السفية أو الصبي أو المجنون إذا باع شريك المحجور"<sup>(٦٠)</sup>.

وقال الشافعية: "ويأخذ له بالشفعة أو يترك بحسب المصلحة"<sup>(٦١)</sup>.

وقال الحنابلة: "... وعلم منه ثبوت الشفعة للمولى عليه لعموم الأخبار وأن الولي يملك الأخذ بها دون العفو عنها"<sup>(٦٢)</sup>.

مما سبق يتضح أن الفقهاء قد أجمعوا على أن الأب يأخذ بالشفعة لولده إن رأى في ذلك المصلحة، لكنهم اختلفوا هل له العفو وإسقاط الشفعة ؟

فقال جمهور العلماء: إن رأى في ذلك المصلحة والنظر فيجوز له إبطالها لحظ أو فقر وإلا فلا تبطل وللصبي الأخذ بها إذا بلغ.<sup>(٦٣)</sup>

أما المذهب عند الحنابلة وعند محمد وزفر من الحنفية فقالوا لاحق للأب في إبطال حق الصغير في الشفعة وذلك لأن في الأخذ تحصيلا واستبقاء للحق بخلاف الإسقاط ففيه تقويت وضرر على الصغير، فلا يجوز.<sup>(٦٤)</sup>

وأرجح الرأي الأول القائل بأن للأب ترك الشفعة لأنه قد تكون المصلحة في الترك وتصرفات الأب مضبوطة بالمصلحة، لكن متى رأى الأب الحظ في الأخذ لزمه، لأن عليه الاحتياط والأخذ بما فيه الحظ. والله أعلم .



### ومن المسائل المتعلقة بالشفعة :

١- شراء الأب دار لنفسه وابنه الصغير شفيعها فقد قالوا: بأنه إن لم يكن للصبي في الأخذ ضرر بأن وقع شراء الأب الدار بمثل القيمة أو بأكثر مقدار ما يتغابن الناس فيه لا يكون للصغير الشفعة إذا بلغ وإن كان للصغير في هذا الأخذ ضرر بأن وقع شراء الأب بأكثر من القيمة بمقدار لا يتغابن الناس فيه كان له الشفعة إذا بلغ.<sup>(٦٥)</sup>

٢- وكذلك لو باع الأب دار لنفسه وابنه الصغير شفيعها فلم يطلب الأب الشفعة للصغير، لا تبطل الشفعة للصغير حتى لو بلغ الصغير كان له أن يأخذها.<sup>(٦٦)</sup>

### المسألة السادسة : تصرف الأب في مال ولده بالرهن: <sup>(٦٧)</sup>.

إذا كان الولد في حاجة إلى الدين جاز للأب أن يرهن ماله عند جمهور العلماء فقد قال الحنفية: "وله أن يرهن ماله بدينه لأن الرهن من توابع التجارة"<sup>(٦٨)</sup>. وقال المالكية: "يجوز للأب أن يرهن مال محجور في دين استدانة على المحجور لمصلحته كالطعام"<sup>(٦٩)</sup>.

وقال الشافعية: "ولا يرهن الولي مال الصبي ولا يرتهن له إلا لضرورة أو غبطة ظاهرة"<sup>(٧٠)</sup>.

وقال الحنابلة: "وللأب أن يرتهن ماله لنفسه"<sup>(٧١)</sup>.

من الملاحظ أن كلمة الفقهاء قد اتفقت على أنه يجوز للأب أن يرهن مال ولده في دين على الولد لكن بشرط أن تدعو لذلك ضرورة أو مصلحة وقد استدلوا على ذلك بقولهم: أن في ذلك مصلحة وحظا للصغير فهو نوع من وفاء الدين الثابت على الصغير وللأب هذا الوفاء، ولأن الرهن من توابع التجارة لأن التاجر يحتاج إليه، فضلا عن ذلك هو تصرف لم يتبين ضرره حتى يقال بمنعه.<sup>(٧٢)</sup>

وفيما يلي ذكر لأهم أوجه الضرورة أو المصلحة التي يجوز فيها الرهن التي ذكرها الفقهاء في كتبهم:<sup>(٧٣)</sup>

مثال الضرورة: أن يرهن على ما يقتض لراحة النفقة أو الكسوة ليوفي ما انتظر من حلول دين، وأن يرتهن على ما يقرضه أو يبيعه مؤجلا لضرورة نهب.

ومثال أيضا في الغبطة أن يرهن ما يساوي مائة على ثمن ما اشتراه بمائة نسيئة وهو يساوي مائتين وأن يرهن على ثمن ما يبيعه نسيئة بغبطة.

### مدى جواز رهن الأب في دين عليه من مال ولده :

إذا تصرف الأب في مال ابنه بالرهن لا يخلو: إما أن يكون في دين الأب، أو في دين الابن، وهكذا سائر التصرفات، إما أن يتصرف الأب في مال الابن للابن، أو يتصرف لنفسه، وفي الصورة الثانية بناء على جواز تملك الأب من مال ولده .

وعليه فقد قال جمهور العلماء<sup>(٧٤)</sup> بجواز رهن الأب مال ابنه الصغير بدين نفسه وذلك لأن التهمة منتقبة بين الوالد وولده ولا يجوز ذلك لغير الأب .

واستدلوا أيضا بالاستحسان وذلك أن هذا الرهن وإن كان من مال الولد فهو يشبه الإيداع بل هو أقوى منه، لأن الوديعة إن هلكت تهلك غير مضمونة، والمرهون إن هلك يهلك مضمونا بالأقل من القيمة ومن الدين، وإذا كان الإيداع قد جاز مع ذلك فأولى أن يجوز الرهن . واستدلوا أيضا: بأنه مادام قد جاز للأب بيعه مال الصغير لنفسه فكذلك يجوز له رهن ماله.

وعند أبي يوسف وزفر لا يجوز للأب أن يرهن بدين عليه مال ولده .

واستدلوا بالقياس لأنه يؤدي إلى أن يوفى الأب دينه من مال الصغير وهو لا يجوز لأنه ضرر محض به<sup>(٧٥)</sup> .

### فروع :

- ١- إذا بيع الرهن في سبيل الدين ضمن الأب للود دينه .
- ٢- وإذا هلك الرهن وكانت قيمته أكبر من الدين ضمن الأب ما زاد عن الدين .

## المبحث الثاني

### ( تولي الأب طرية عقد البيع )

سأتناول في هذا المبحث مسألتين لهما علاقة كبيرة بتولي الأب طرية عقد البيع ومدى جواز ذلك له وهما:

- ١- بيع وشراء الأب مال صغيره لنفسه.
- ٢- بيع الأب مال أحد ولديه للآخر.

#### المسألة الأولى: بيع وشراء الأب مال الصغير لنفسه:

من المقرر عند جمهور العلماء أن العقود يتولاها طرفان أي عاقدان: بائع ومشتري ومؤجر ومستأجر، وذلك لأن طبيعة العقود تقتضي وجود إيجاب وقبول فيجب أن يحصل القبول من شخص والإيجاب من شخص آخر لأن كلا من الطرفين يحاول الربح من الآخر، ولا يتأتى لعاقدهما واحد أن يحقق غرضين متعارضين لشخصين مختلفين في صفقة واحدة. وعلى هذا لا يصح قيام شخص بمفرده مقام العاقدين فيتولى طرية العقد في وقت واحد حتى لا يكون مملكا ومملكا في آن واحد.<sup>(٧٦)</sup>

إلا أنه استثنى من هذا الأصل شراء الأب مال صغيره لنفسه وهذا ما نبهته في هذه المسألة، وهناك مستثنيات أخرى سيأتي ذكرها والإشارة إليها إن شاء الله تعالى.

وهذه أقوال الفقهاء في شراء أو بيع الأب مال صغيره لنفسه:

قال الحنفية: "وبيع الأب مال الصغير من نفسه جائز بمثل القيمة وبما يتغابن فيه"<sup>(٧٧)</sup> وقالوا أيضا: "في الأب - أفتينا بظاهر الرواية أنه يملك أن يبيع ماله من ابنه أو يشتري مال الابن لنفسه بشرط أن لا يتضرر به الصغير". (٧٨)

وقال المالكية: "يجوز للأب والوصي أن يبيعا عليه من أنفسهما ما لم يحاييا"<sup>(٧٩)</sup>

وقال الشافعية: "ولا يجوز لمن يلي ماله أن يبيع لهما شيئا من نفسه إلا الأب"<sup>(٨٠)</sup>

وقال الحنابلة: "... كما لا يشتري من نفسه ولا يبيع لها للثمة وظاهره أن الأب له ذلك لعدم التهمة"<sup>(٨١)</sup>

يلاحظ مما سبق أن علماء المذاهب الأربعة قد اتفقوا على أنه يجوز للأب أن يبيع أو يشتري من مال ولده لنفسه لكن بشرط: أن لا يكون في ذلك ضرر على الولد كأن يحايي الأب فيه، أو يبيع أو يشتري بغبن فاحش، فإذا ثبت ذلك فسخ.

وهذا الذي ذهب إليه جمهور العلماء، خالفهم فيه زفر من الحنفية، فقد قال بأنه لا يجوز، لأن حقوق العقد تتعلق بالعقد فلا يجوز أن يتعلق به حكمان متضادان ولأنه لا يجوز أن يكون موجبا وقابلا في عقد واحد كما لا يجوز أن يتزوج بنت عمه من نفسه. <sup>(٨٢)</sup>

ورد عليه بما يلي <sup>(٨٣)</sup>

بأن الأب يلي أمر نفسه فجاز أن يتولى طريقه العقد كما لو زوج ابنته من عبده الصغير والسيد يزوج عبده أمته.

والتهمة بين الأب وولده منتفية إذ من طبعه الشفقة عليه والميل له وترك حظ نفسه لحظه فلذلك جاز فيكون الأب أصلا في حق نفسه ونائبا عن طفله فتقوم عبارته مقام عبارتين ورأيه مقام رأيين .

وقد جاء في أشباه السيوطي أنه مما اختص به الأب ولاية المال وتولي طريقه العقد في البيع ونحوه <sup>(٨٤)</sup> **والراجح والله أعلم: هو جواز شراء أو بيع الأب مال صغيره لنفسه.**

### فرع هام:

قال فقهاء الحنفية: يجب على الأب أن يخبر القاضي في حالة الشراء ليقوم وصيا يتسلم منه الثمن ثم يسلمه إليه ليضمه إلى مال الصغير، ضمانا لنقل الثمن إلى ملكيته حتى لو هلك قبل هذا التسليم هلك على الأب، وفي حالة بيعه ماله لولده لا يقوم وضع اليد السابق مقام تسليم البيع، بل لا بد من تسلمه تسلما خاصا، بحيث ينتقل إليه ويتسلمه إذا كان بعيدا عن محل العقد، فإذا اهلك قبل ذلك هلك على الأب تقليلا للأخطار عن أموال الصغار ما أمكن. <sup>(٨٥)</sup>

### المسألة الثانية: بيع الأب مال أحد ولديه للآخر :

مما تفرع عن الاختلاف في الأصل السابق هل يتولى شخص واحد طريقه العقد، وهذه المسألة: وهي هل يجوز أن يبيع الأب مال أحد ولديه للآخر؟ إذا كان له ابنان صغيران . بناء على الأصل السابق وتقريرا عليه يمكن القول بأنه يجوز للأب مباشرة هذا النوع من العقد. فقد قال الحنفية: : ... فلا ينعقد بيع مجنون وصبي لا يعقل ولا وكيل من الجانبين إلا في الأب ووصيه والقاضي " <sup>(٨٦)</sup>

وقالوا أيضا أن الحاصل من شرح الطحاوي لا يجوز من الوصي بيع مال أحد اليتيمين من الآخر ويجوز ذلك من الأب إذا لم يفحش الغبن " <sup>(٨٧)</sup>.

وقال الشافعية: " وللأب بيع مال أحد الصغيرين للآخر، وهل يشترط أن يقول بعت واشترت كما لو باع لغيره أم يكفي أحدهما وجهان؟ " <sup>(٨٨)</sup>

يتضح إذا جواز بيع الأب مال احد ولديه للآخر لكن بشرط أن لا يفحش الغبن وأن يكون بمثل القيمة أو بغبن يسير وهو مقدار ما يتغابن الناس فيه عادة، أما إن كان البيع في غبن فاحش فلا يجوز حتى لا يتهم بالميل لأحدهما دون الآخر، والله أعلم.

وقد جاء في زيادات القاضي أبي جعفر أن الأب إذا باع مال أحد اليتيمين من الآخر لا يجوز بالاتفاق، لكن ذكر رشيد الدين في فتاوى أن القاضي في بيع مال أحد الصغيرين من الآخر مثل الوصي لا يجوز له ذلك بخلاف الأب الذي له ذلك.<sup>(٨٩)</sup>

فأنا استغرب كيف حصل القاضي أبي جعفر على هذا لاتفاق الذي يقول بعدم الجواز ولعله يقصد الوصي أو الولي غير الأب، وإلا فالمسألة ظاهرة بأن جمهور العلماء يجوز ذلك بناء على الاستثناء الحاصل وهو ما أرجحه والله تعالى اعلم.

### المبحث الثالث

#### (أكل الأب من مال ولده)

أكل الأب من مال ولده فقد اتفقت كلمة الفقهاء على جوازه ومما قالوا في ذلك:  
**قال الحنفية:** "إذا احتاج الأب إلى مال ولده فإن كان في المصر واحتاج لفقره أكل بغير شيء وإن كان في المفازة<sup>(٩٠)</sup> واحتاج إليه لانعدام الطعام فله الأكل بالقيمة<sup>(٩١)</sup>.  
 وقال ابن العربي من المالكية: "أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبدولا"<sup>(٩٢)</sup>.

**وقال الشافعية:** "إما أب أو جد فيأخذ قدر كفايته اتفاقا سواء الصحيح أو غيره"<sup>(٩٣)</sup>.  
**وقال الحنابلة:** "وإن كان الولي غنيا لم يجز له ذلك - أي الأكل - من مال المولى عليه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾<sup>(٩٤)</sup> إذا لم يكن أبا لأن الأب له أن يملك من مال ولده ما شاء"<sup>(٩٥)</sup>.

#### نلاحظ من أقوال المذاهب الآتي:

**الحنابلة** يجيزون الأكل والأخذ مطلقا، أما الحنفية: فاشتروا أن يكون الأب فقيراً، وعند **المالكية:** يأكل إذا كان الطعام مبدولا غير محرز، والشافعية قالوا: يأكل قدر كفايته ولا يزيد ويشترط أن يكون فقيرا محتاجا.<sup>(٩٦)</sup>  
 ولقد انتصر لمذهب الحنابلة القائل بجواز أكل الأب من مال ولده مطلقا أصحاب التفسير وأرباب الحديث وفيما يلي أدلتهم وأقوالهم .

فقد استدلو بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ..﴾<sup>(٩٧)</sup>

**قال المفسرون:** "في بيوتكم"<sup>(٩٨)</sup> أي: بيت ابن الرجل بيته، وفي الخبر "أنت ومالك لأبيك"<sup>(٩٧)</sup> ولأنه لم يذكر الأولاد في الآية فدل على جواز أكل الأب من مال ولده ولأن الولد كسب والده وماله كماله .

**قال القرطبي:** قال بعض العلماء هذا إذا أذنوا له، وقال آخرون أذنوا أو لم يأذنوا فله أن يأكل لأن القرابة التي بينهم هي إذن منهم .  
 واستدلوا أيضا بالأحاديث والآثار التالية:

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ " إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبة وولده من كسبه فكلوا من أموالهم. " (٩٩)

وعن جابر أن رجلا قال: " يا رسول الله إن لي مالا وولدا وإن أبي يريد أن يجتاح مالي فقال: " أنت ومالك لأبيك " (١٠٠)

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده " أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال إن أبي يريد أن يجتاح مالي فقال: أنت ومالك لوالدك إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم فكلوه هنئيا " (١٠١)

**قال الشوكاني:** " بمجموع طرق هذه الأحاديث ينتهز للاحتجاج فيدل على أن الرجل مشارك لولده في ماله فيجوز له الأكل منه سواء أذن الولد أو لم يأذن ويجوز له أيضا أن يتصرف به كما يتصرف بماله ما لم يكن ذلك على وجه السرف والسفه " (١٠٢)

**وقال الترمذي:** حديث عائشة حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم قالوا إن يد الوالد مبسوطة في مال ولده يأخذ ما شاء، وقال بعضهم لا يأخذ من ماله إلا عند الحاجة. (١٠٣)

واستدلوا بما روي عن سعيد بن المسيب أنه قال: " الوالد يأكل من مال ولده ما شاء والولد لا يأكل من مال والده إلا بإذنه " (١٠٤)

**أما القائلون بأن الأب له أن يأكل من مال ولده إذا كان فقيرا محتاج قدر كفايته.**

فقد استدلووا بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ (١٠٥)

قال القرطبي: نهى الله سبحانه وتعالى الأوصياء من أكل أموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم، فقد بين الله تعالى ما يحل لهم من أموالهم فأمر الغني بالإسماك وأباح للوصي الفقير أن يأكل من مال وليه بالمعروف. (١٠٦)

**وقال ابن العربي:** " فلا يبسط الأب على الابن في هتك حرز وأخذ مال، وإنما يأكل مسترسلا فيما لم يقع فيه حيازة ولكن بالمعروف دون فساد ولا استغنام. " (١٠٧)

قال الكسائي في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١٠٨) أطلق الله عز شأنه لولي اليتيم أن يأكل من مال اليتيم بالمعروف وهو الوسط من غير إسراف، وقال كما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال ليس لي مال ولي يتييم فقال ﷺ " كل من مال يتييمك غير مسرف ولا متأثل مالك بماله " (١٠٩).

فالحديث يدل على أن ولي اليتيم له الأكل من غير إسراف.

وذكر محمد ومالك أن الأفضل هو الاستعفاف من ماله لما روى أن رجلا أتى عبد الله بمن مسعود رضي الله عنه فقال له أوصي إلي يتيم فقال: لا تشتتر من ماله شيئا ولا تستقرض من ماله شيئا<sup>(١٠٠)</sup>.

واستدلوا أيضا بما روى أن رجلا قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يا خليفة رسول الله - هذا يريد أن يأخذ مالي كله ويحتاحه فقال أبو بكر: "إنما لك من ماله ما يكفيك"، فقال الأب: يا خليفة رسول الله: أليس قال رسول الله ﷺ أنت ومالك لأبيك؟ فقال أبو بكر: إنما يعني بذلك النفقة ارض بما رضي الله عز وجل به<sup>(١٠١)</sup>.

### الرأي الرابع:

وبالنظر في أدلة الفريقين أرجح الرأي الأول القائل بأنه يجوز للأب أن يأكل من مال ولده، كما صرحت بذلك الآيات والأحاديث التي سبق ذكرها، أما ما استدل به الفريق الثاني فأكثرها وارد في عموم الأولياء والأوصياء وعرفنا أن الأب يختلف عن باقي الأولياء والأوصياء حيث يجوز للأب من التصرفات ما لا يجوز لغيره.

كما أنه يمكن حمله على الاستعفاف وعدم التبسط في أموال الأولاد والتوسع في الإنفاق منها حرصا على بقاء وشائج المودة والرحمة بينهما. والله أعلم.

### فرع: ضمان الأب ما أكله من مال ولده:

بناء على الرأي الذي يقول بأن للأب الأكل من مال ولده عند الحاجة فهل يضمن الأب البذل؟<sup>(١٠٢)</sup>

قيل: إنه يضمن فيلزمه عوض ما أخذ إذا أيسر لأنه مال لغيره أجزئ له أكله للحاجة فوجب ضمانه كمن اضطر إلى مال غيره، وهذا الرأي قول الشافعية وبه قال عبيدة بن عمر وسعيد بن جبير ومجاهد وقد أنتصر لذلك الرأي ابن جرير في تفسيره فقال بالقضاء مطلقا.

وقيل: لا يضمن لأنه أجزئ له الأكل بحق الولاية، ولكونه محتاجا فلم يضمنه كالرزق الذي يأكله الإمام من أموال الرعية لعموم ولايته وهو ما أرجحه والله أعلم. والحمد لله رب العالمين.



### خاتمة البحث

وبعد: فقد اتضح لنا بعد هذه الدراسة المتواضعة، أن أحكام تصرف الأب في مال ولده مضبوط بالضوابط الشرعية التالية: (١٠٣)

**أولاً:** أن الأب لا يجوز له مباشرة التصرفات والعقود الضارة بالولد ضرراً محضاً مثل الهبة والصدقة وسائر التبرعات أو الشراء بغبن فاحش وفي هذه الحالة يكون تصرفه باطلاً.  
**ثانياً:** أن للأب مباشرة العقود والتصرفات النافعة مثل: قبول الهبة والوصية والصدقة لأن ذلك نفع محض للولد فيملكه الأب.

**ثالثاً:** العقود والتصرفات الدائرة بين النفع والضرر مثل البيع والشراء، والإجارة وغيرها فلقد قال أكثر الفقهاء بأنه يجوز للأب مباشرتها برأيه واجتهاده لوفور شفقتة وحرصه على مصلحة ولده الصغير .

**رابعاً:** على الأب أن لا يخاطر بمال ولده الصغير وتمثل المخاطرة بالسفر بالمال في طريق خطره دون ضرورة لذلك، أو عدم الاحتياط الكافي في السفر وما إلى ذلك.

**خامساً:** ويستحب للأب التجارة بمال الصغير بقصد تميته لأن ذلك أولى من ترك المال تأكله الصدقة واستدلوا على ذلك بما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: "من ولي يتيماً فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة" (١٠٤)

وبما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "أجروا في أموال اليتامى لئلا تأكلها الصدقة، فالحديث السابق وهذا الأثر يأمران الأب بالتجارة في أموال الصغير لتميتها وحتى لا تأتي عليها الزكاة فلا تبقى منها شيئاً.

**سادساً:** إن احتاج الولد الصغير للنفقة فعلى الأب الإنفاق عليه دون إسراف ولا تبذير.

## الهوامش

- (١) لسان العرب، مادة "ولي": ٢٨٨ و ٢٨٧/٢٠ .
- (٢) معجم مقاييس اللغة "ولي": ١٤١ / ٦ .
- (٣) المصباح المنير مادة "ولي": ٦٧٢/٢ .
- (٤) التعريفات - للجرجاني: ٢٥٤ .
- (٥) وذكر نفس التعريف ابن عابدين في حاشيته: ٥٥ / ٣ .
- (٦) انظر بدائع الصنائع ١٥٥/٥ وحاشية ابن عابدين ٧٦/٣ وحاشية الدسوقي ٢٩٢/٣ ونهاية المحتاج ٣٦٣/٤ .
- (٧) بدائع الصنائع للكاساني ١٥٢/٥ مغني المحتاج ١٧٢/٢ .
- (٨) سورة النساء آية ٤١ .
- (٩) كشاف القناع ٤٤٦/٣ .
- (١٠) حاشية ابن عابدين: ١٥٢ / ٦ ، الشرح الصغير: ٤٩٩/٤ ، نهاية المحتاج: ٣٤٦/٤ و ٣٤٧ ، كشاف القناع: ٤٤٢ / ٣ و ٤٤٥ .
- (٨) سورة النساء، الآية ٦ .
- (٩) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤/٥ .
- (١٠) انظر: تكملة فتح القدير: ٢٥٤/٩ ، بدائع الصانع: ١٥٥ / ٥ ، الشرح الصغير ٥١٤/٤ ، مواهب الجليل: ٦٠/٥ ، الخرشبي: ٢٩٧/٥ ، تحفة المحتاج: ٢٢٩/٢ و ٢٣٠ ، نهاية المحتاج: ٣٦٤/٤ كشاف القناع ٤٤٧/٣ .
- (١١) سورة الأنعام: ١٥٢ .
- (١٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٤ / ٧ .
- (١٧) تفسير أبي السعود: ١٩٩/٣ بتصرف .
- (١٨) رواه ابن ماجه ( الأحكام: من بنى في حقه ما يضر بجاره ) ٢٣٤١ ، ٧٨٤/٢ ، وفيه انقطاع .
- ورواه مالك في الموطأ: ٢ / ٧٥٥ مرسلًا ، وحديث (لا ضرر ولا ضرار ) أخرجه أحمد بسنده من حديث ابن عباس بلفظ: لا ضرر ولا ضرار ، وللرجل أن يجعل خشبه في حائط جاره ٣١٣/١ ، وابن ماجه حديث ( ٢٣٤٠ ) من حديث عبادة ، وفي الزوائد اسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع ، لأن اسحاق ابن الوليد لم يدرك عبادة ، وأخرجه أيضا من طريق جابر الجعفي عن عكرمه عن ابن عباس برقم ( ٢٣٤١ ) وجابر الجعفي متهم ، وأخرجه مالك في الموطأ مرسلًا ، ورواه الدراوندي عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد موصولًا ، وقال النووي حديث حسن وله طرق يقوي بعضها بعضًا ، وقال العلائي له شواهد وطرق يرتقي بمجموعها إلى درجة الصحة / أنظر شرح الزرقاني على الموطأ ٢٢/٤ ، وأخرجه أحمد ٣٢٦/٥ وعبد الرزق ١٢٥/٩ والطبراني ٢٣٨/٥ وأخرجه ابن أبي شيبة من وجه آخر أقوى منه ٤٦٨/٥ والدارقطني من وجه آخر ٧٧/٣ . وأخرجه الدارقطني والحاكم من حديث أبي سعيد .
- وأخرجه الدارقطني من حديث أبي هريرة وأخرجه أو داود في المراسيل من طريق واسع بن حبان عن أبي لبابة وهو منقطع بين واسع وأبي لبابة ، وأخرجه الطبراني في الأوسط من وجه آخر عن واسع وابن حبان عن جابر موصولًا والطبراني من حديث ثعلبة بن أبي مالك ، وأخرجه الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة .
- ( تلخيص الحبير: ١٩٨/٤ ، نصب الراية: ١٨٤/٤ - ٢٨٦ ، الداربية: ٢٨٢/٢ )
- (١٩) رواه الترمذي ( البر: باب ما جاء في رحمة الصبيان ) ١٩١٩ ، ٣٢١/٤ ، وقال عنه: بأنه حديث غريب .
- (٢٠) انظر: حاشية ابن عابدين: ٥٢٨/٥ و ٥٢٩ ، تكملة فتح القدير: ٧٨/٨ ، وجامع أحكام الصغار: ٢٦١/٢ ، الشرح الكبير: ٢٩٩/٣ ، المهذب: ٢٢٨/١ والمجموع: ٢٥٣/١٣ ، مغني المحتاج: ١٧٤/٢ ، كشاف القناع: ٤٤٦/٣ و ٤٤٩ شرح منتهى الإرادات: ٢٩٢/٢ .

- (٢١) رواه الترمذي ( الزكاة: باب ما جاء في زكاة مال اليتيم ) ٦٤١، ٢٢/٣، وقال: وفي إسناده مقال ورواه الدارقطني والبيهقي وفي إسنادهما المثنى بن الصباح وهو ضعيف، ( تلخيص الحبير: ١٥٧/٢ ) .
- (٢٢) رواه مالك في الموطأ ( الزكاة ) ٢٥١ / ٢
- (٢٣) جامع أحكام الصغار: ٢٥٤ / ٢ و ٢٥٥ .
- (٢٤) الربع: يتصدون به العقار والمنزل ( المصباح المنير: ٢١٦/١ ) .
- (٢٥) حاشية الدسوقي: ٢٩٩/٣، والخرشي: ٢٩٧ / ٥. قال في الحاشية: كما ابن سلمون والمتطي، فهذا يعني أنه قال به كثير من علماء المالكية
- (١) حاشية الدسوقي: ٣٠٢/٣ و ٣٠٣ .
- (٢٦) نهاية المحتاج: ٣٦٠/٤ ومغني المحتاج: ١٧٥ / ٢، وروضة الطالبين ١٨٧/٤، وحاشية قليوبي: ٣٠٤/٢.
- (٢٧) شرح منتهى الإرادات: ٢٩٢/٢، وكشاف القناع: ٤٥١/٣ .
- \* المضاربة: وتعرف بالقراض عن بعض الفقهاء: هي عقد شركة في الربح بمال من الرجل وعمل من آخر. (التعريفات ٢١٨ . بدائع الصنائع ١٥٤/٥ ، وجامع أحكام الصغار ٩٨/٢ وما بعدها، وحاشية ابن عابدين ٦٤٧/٥
- (٢٨) الشرح الصغير: ٦١٠/٤ و ٦٩٠/٤ .
- (٢٩) المدونة: ٣١٤/٥ .
- (٣٠) منهاج الطالبين وحاشية قليوبي: ٥٤/٣ .
- (٣١) شرح منتهى الارادات: ٢٩٢ / ٢، وكشاف القناع: ٤٤٩/٣ .
- (٣٢) أنظر: المبسوط: ١٨/٢٢ و ١٩، وجامع أحكام الصغار: ٩٧/٣، ومغني المحتاج: ١٧٤/٢، وجامع أحكام القرآن: ٢/٣، وكشاف القناع: ٤٤٩ / ٢، وشرح منتهى الارادات: ٢٩٢/٢ .
- (٣٣) سورة البقرة ، الآية ٢٢٠ .
- (٣٤) سنن الترمذي ٣٢/٢ ، سنن البيهقي ٢/٦ سنن الدارقطني ١٠٩/٢
- (٣٥) الإِبْضَاع: معناه دفع المال إلى من يتجر فيه والربح كله للولد ( المعنى: ٤ / ٢٩٣
- انظر المعنى: ٢٩٣/٤، وكشاف القناع: ٤٤٩ / ٢، الموطأ: ٦٨٧ / ٢، المعنى والشرح الكبير: ٢٢/٥ ،
- (٣٦) المعنى: ٢٩٣/٤، ومغني المحتاج: ١٧٤ / ٢ .
- (٣٧) جامع أحكام الصغار: ٩٧ / ٣، ٩٨، وبدائع الصنائع: ١٥٤ / ٥، وكشاف القناع: ٤٦٩/٣، وكشاف القناع: ٤٦٩/٣ .
- (٣٨) كشاف القناع: ٤٤٩ / ٢، والشرح الصغير: ٦٠٩ / ٤ .
- (٣٩) المعنى: ٢٩٣ / ٤، والشرح الصغير: ٦١٠/٤ .
- \* القرض: لغة: القطع، مصدر قرض الشيء يقرضه، ومنه القراض واصطلاحاً هو: ما فع مال لمن ينتفع به ويرد بدله، المصحح المنير: ٤٩٨/٢، وكشاف القناع للبهوتي ٣١٢/٣
- (٤٠) جامع أحكام الصغار: ٢٧٣ / ٢، وبدائع الصنائع: ١٥٣ / ٥ .
- (٤١) المبسوط: ١٠٣/٢، وحاشية ابن عابدين: ٥ / ٥٢٨ و ٥٢٩ .
- (٤٢) المجموع: ١٣ / ٣٥٤، ونهاية المحتاج: ٢٢٤/٤، وكشاف القناع: ٤٤٩ / ٣ .
- انظر: بدائع الصنائع: ١٥٣/٥، وحاشية ابن عابدين: ٥ / ٥٢٩، والأحوال الشخصية ( أبو زهرة ): ص ٤٧١، وعلاقة الآباء بالأبناء: ص ١٣٤، والمعاملات الشرعية المالية: ص ٢٣٥
- (٤٣) كشاف القناع: ٤٤٩ / ٣ و ٤٥٠، ومغني المحتاج: ١١٨/٢، ونهاية المحتاج: ٢٢٦ / ٤ .
- (٤٤) كشاف القناع: ٢ / ٤٤٩، والمجموع: ١٣ / ٣٥٤ .

- (٤٥) كشف القناع: ٤٤٩ / ٣ .
- (٤٦) أنظر المرجان السابقان.
- (٤) المجموع ١٣ / ٣٥٤ .
- (٤٧) كشف القناع: ٤٥٠ / ٣ .
- (٤٨) تعريف العارية: إباحة الانتفاع بعين بغير عوض (كشف القناع ٦٢ / ٤).
- (٤٩) جامع أحكام الصغار: ١٩٣ / ٢ .
- (٥٠) جامع أحكام الصغار: ١٩٦ / ٢، البدائع: ١٥٤ / ٥، حاشية ابن عابدين: ٦٨٤ / ٥. انظر المراجع السابق ذكرها.
- بدائع الصنائع: ١٥٣ / ٥<sup>٤</sup> مغنى المحتاج: ٢٦٤ / ٢، كشف القناع: ٤٤٩ / ٣، والمجموع: ١٣ / ٣٥٤ .
- (٥١) الموسوعة الفقهية: ١ / ١٩١، الأسرة في الإسلام (شلبي) ٧٩١، وحاشية قليوبي ١٨ / ٣، بدائع الصنائع: ٥ / ١٥٤ .
- (٥٢) أنظر: جامع أحكام الصغار: ١٩٦ / ٢، مغنى المحتاج: ٢٦٤ / ٢ .
- (٥٣) تعريف الشفعة: هي استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقلة عنه من يد من انتقلت إليه. ( المغني ٥٥٩ / ٥)
- (٥٤) انظر: المبسوط: ٩٣ / ١٢ و ٩٤، جامع أحكام الصغار: ٧٧ / ٢، ٨٠ .
- (٥٥) الشرح الصغير: ١١٨ / ٢ .
- (٥٦) نهاية المحتاج: ٣٦٧ / ٤، ومغنى المحتاج: ١٧٦ / ٢ .
- (٥٧) شرح منتهى الإرادات: ٤٢٨ / ٢ و ٤٣٩ .
- (٥٨) المبسوط: ٩٣ / ١٤ حاشية الدسوقي: ٣ / ٢٠١، نهاية المحتاج: ٤ / ٣٦٤، والمجموع: ١٣ / ٣٥٠ .
- (٥٩) شرح منتهى الإرادات: ٤٢٨ / ٢ و ٤٣٩، المبسوط: ١٤ / ٩٤، جامع أحكام الصغار: ٢ / ٨٠ .
- (٦٠) جامع أحكام الصغار: ٨٥ / ٣ .
- (٦١) المبسوط: ١٤ / ١٥٥، جامع أحكام الصغار: ٢ / ٨٤ - ٨٥ .
- (٦٢) الرهن: حبس الشيء بحض يمكن أخذه منه كالدين ( التعريفات: ١١٣ ) .
- (٦٣) بدائع الصنائع: ٥ / ١٥٤، حاشية ابن عابدين: ٦ / ٤٩٥ .
- (٦٤) حاشية الدسوقي والشرح الكبير: ٢ / ٢٢٢، والشرح الصغير: ٢ / ١٣٠ .
- (٦٥) منهاج الطالبين: ٢ / ٢٦٢، والمهذب: ١ / ٣٣٠ .
- (٦٦) كشف القناع: ٢ / ٤٥٠، وشرح منتهى الرادات: ٢ / ٢٩٢ .
- (٦٧) انظر المراجع السابقة .
- (٦٨) انظر: المدونة: ٥ / ٢١٤، وحاشية الدسوقي: ٣ / ٢٢٢، بداية المجتهد: ٢ / ٢٠٤، منهاج الطالبين: ٢ / ٢٦٢ .
- (٦٩) انظر المبسوط ٢١ / ١٢ حاشية ابن عابدين: ٦ / ٤٩٥ حاشية الدسوقي. كشف القناع: ٢ / ٤٥٠، والمهذب: ١ / ٣٣١ .
- حاشية ابن عابدين: ٦ / ٤٩٥
- (٧٠) بدائع الصنائع: ٥ / ١٣٥ و ١٣٦
- (٧١) حاشية ابن عابدين: ٦ / ٤٩٦، وبدائع الصنائع: ٥ / ١٣٥
- (٧٢) جامع أحكام الصغار: ٢ / ٢٦١ .
- (٧٣) الأشراف: ٢٧ / ٢، قوانين الأحكام الشرعية: ص ٣٤٩، الشرح الكبير ٣ / ٢٩٩ .
- (٧٤) نهاية المحتاج: ٤ / ٣٦٧، كشف القناع: ٣ / ٤٥٠، وشرح منتهى الإرادات: ٢ / ٢٩٢ .
- (٧٥) انظر بدائع الصنائع: ٢ / ٢٣١ و ٢٢٢ و ١٣٥ / ٥ و ١٣٦ .
- (٧٦) انظر: جامع أحكام الصغار: ٢ / ٢٦١، وتبيين الحقائق: ٥ / ٢٢١، الفتاوى الهندية: ٣ / ١٧٣، القوانين: ٣٤٩ منح
- الجليل: ٣ / ١٧٨، كشف القناع: ٣ / ٤٥٠، المغني: ٥ / ٢٤٢
- (٧٧) الأشباه والنظائر ( السيوطي ) ص ٢٦٥

- (٧٨) انظر: جامع أحكام الصغار: ٢/ ٢٦٣، الفتاوى الهندية: ٣/ ١٧٣ - ١٧٤، والولاية على المال: ص ٤٣، وعلاقة الآباء بالأبناء: ص ١٣٥.
- (٧٩) حاشية ابن عادين: ٤/ ٥٠٤.
- (٨٠) جامع أحكام الصغار: ٢/ ٢٦٦، وبدائع الصنائع: ٢/ ٢٢٢ روضة الطالبين: ٤/ ١٨٩.
- (٨١) انظر: جامع أحكام الصغار: ٢/ ٢٦٦.
- (٨٢) المفازة: هي الفلاة من الأرض: ( أساس البلاغة: مادة: فوز: ص ٤٨٤.
- (٨٣) حاشية ابن عابدين: ٥/ ٩٦٩، وجامع أحكام الصغار: ١/ ٣٦٧.
- (٨٤) أحكام القرآن - ابن العربي: ٣/ ١٤٠٣، والجامع لأحكام القرآن - القرطبي: ١٢/ ٣١٥.
- (٨٥) تحفة المحتاج: ٥/ ١٨٦.
- (٨٦) سورة النساء، الآية ٦.
- (٨٧) كشف القناع: ٣/ ٤٥٥.
- (٨٨) انظر: المهذب: ١/ ٣٣٠، المجموع: ١٢/ ٣٥٩.
- (٨٩) سورة النور، الآية ٦١.
- (٩٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٢/ ٣١٥، أحكام القرآن - ابن العربي: ٣/ ١٤٠٥، تفسير الرازي: ١٤/ ٣٦.
- (٩١) صحيح ابن حبان: ٢/ ١٤٢، ١٠/ ٧٥، مجمع الزوائد ٤/ ١٥٤.
- (٩٢) رواه الترمذي ( أحكام ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده ) ١٣٥٨، ٦٣٩/٣ وأبو داود: ( البيوع والإيجارات في الرجل يأكل من مال ولده ) ٣٥٢٨، ٢/ ٨٠٠، والنسائي ( بيوع: الحث على المكاسب ) ٢١٣٧، ٢/ ٧٢٢، وقال الترمذي بأنه حديث حسن صحيح ٣/ ٦٤٠.
- (٩٢) رواه أبو داود ( البيوع: الرجل يأكل من مال ولده ) ٣٥٣٠ مرفوعاً.
- (٩٣) رواه أحمد: ٢/ ١٧٩. ( نصب الرأية: ٣/ ٢٧٦ ) .
- (٩٤) نيل الأوطار: ٦/ ١٥.
- (٩٥) تحفة الأحوذى: ٤/ ٥٩٢.
- (٩٦) المحلي: ٨/ ١٠٤.
- (٩٧) سورة النساء، الآية ٦.
- (٩٨) الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٤٠، ٤١.
- (٩٩) أحكام القرآن - لابن القرب: - ٣/ ١٤٠٥.
- (١٠٠) سورة النساء، الآية ٦.
- (١٠١) رواه ابن ماجه ( وصايا: باب قوله من كان فقيراً فليأكل بالمعروف ) ٢٧١٨، ٢/ ٩٠٧، والنسائي ( وصايا: باب ما للوصي من مال اليتيم ) ٢٦٩٩، ٦/ ٢٥٦، وأبو داود ( الوصايا: ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم ) ٢٨٧٢، ٢/ ٢٩٢، وأحمد: ٢/ ١٨٦ وهذا إسناد حسن للخلاف المعروف في عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ( إرواء الفليل ٥/ ٢٧٧.
- (١٠٢) بدائع الصنائع: ٥/ ١٥٤، ٢٤٣.
- سنن البيهقي: ٧/ ٤٨١، كنز العمال: ١٦/ ٥٧٧.
- (١٠٣) انظر: جامع أحكام الصغار: ١/ ٣٦٧، بدائع الصنائع: ٥/ ١٥٤ و ١٥٥، المهذب: ١/ ٢٣١، المجموع: ١٢/ ٣٥٩، الموسوعة الفقهية ( بإشراف أبو زهرة ): ١/ ٤١٠، تفسير الطبري: ٧/ ٥٨٢، فتح الباري: ٥/ ٣٩٢.
- انظر: حاشية ابن عابدين: ٥/ ٥٢٨ و ٥٢٩، تكملة فتح القدير: ٨/ ٧٨، وجامع أحكام الصغار: ٢/ ٢٦١، الشرح الكبير: ٢/ ٢٩٩، المهذب: ١/ ٣٢٨، والمجموع: ١٣/ ٣٥٣، معنى المحتاج: ٢/ ١٧٤، كشف القناع: ٣/ ٤٤٦ و ٤٤٩ شرح منتهى

الإرادات: ٢٩٢/٢. رواه الترمذي ( الزكاة: باب ما جاء في زكاة مال اليتيم ) ٦٤١، ٣٢/٣، وقال: وفي إسناده مقال ورواه الدار قطني والبيهقي وفي إسنادهما المثنى بن الصباح وهو ضعيف ( تلخيص الحبير: ١٥٧/٢ ).  
(١٠٤) رواه مالك في الموطأ ( الزكاة ) ٢٥١ / ٢

## الفهارس

- ١- فهرس الآيات.
- ٢- فهرس الأحاديث.
- ٣- فهرس الموضوعات.
- ٤- فهرس المراجع.

### ١- فهرس الآيات:

م	طرف الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
١	ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.....	١٤١	النساء	٦٣
٢	وَأَنْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ	٦	النساء	٦٣
٣	وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ	١٥٢	الأنعام	٦٣
٤	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ	٢٢	البقرة	٦٨
٥	وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ	٦	النساء	٧٨
٦	ليس على الأعمى حرج...	٦١	النور	٧٨
٧	وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ	٦	النساء	٧٩
٨	وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ	٦	النساء	٧٩

### ٢- فهرس الأحاديث:

م	طرف الحديث	مرجعه	الجزء والصفحة	الصفحة
١	اتجروا في أموال.....	الموطأ	٢٥١/٢	٦٤
٢	اتجروا في أموال.....	الموطأ	٢٥١/٢	٨١
٣	أعطي مال اليتيم	البيهقي	٢/٧	١٦
٤	أنت ومالك لأبيك	ابن حبان	١٤٢/٢	٧٨
٥	أنت ومالك لوالدك	أبو داود	٣٥٣٠	٧٩
٦	أنت ومالك لأبيك	أبو داود	٨٠٠/٣	٨٠
٧	أنت ومالك لأبيك	ابن حبان	١٤٢/٢	٩٩
٨	إنما يعني بذلك النفقة	البيهقي	٤٨١/٧	٨٠

٧٩	٦٣٩/٣	الترمذي	إن أطيب ما يأكل	٩
٧٩	١٠٤/٨	المحلى	الوالد يأكل من مال....	١٠
٦٤	٢/٦	البيهقي	من ولي يتيما	١١
٧٩	٩٠٧/٢	ابن ماجه	كل من مال يتيمك	١٢
٨٠	٢٥٦/٦	النسائي	كل من مال يتيمك	١٣
٦٣	٣٢١/٤	الترمذي	ليس منا من لم يرحم صغيرنا	١٤
٨١	١٥٧/٢	الدارقطني	من ولي يتيما	١٥
٩٩	٣٢/٣	الترمذي	من ولي يتيما	١٦
٩٩	٣٢/٣	الترمذي	من ولي يتيما	١٧
٧٩	١٧٩/٢	أحمد	ينتهض الرجل	١٨

## ٣- فهرس الموضوعات.

م	الموضوع	الصفحة
١	ملخص الدراسة	٥٧
٢	المقدمة	٥٩
٣	خطة البحث والمنهج	٦٠
٤	التمهيد في تعريف الولاية وبيان أنواعها وتصنيف الآباء في ولايتهم على الأبناء	٦٢
٥	البحث الأول (تصرف الأب في مال ولده بأنواع البيوع المختلفة)	٦٦
٦	بيع الأب عقار ولده	٦٦
٧	تصرف الأب في مال ولده بالمضاربه	٦٨
٨	تصرف الأب في مال ولده بالقرض	٦٩
٩	معنى الحظ والمصلحة في قرض مال الصبي	٧٠
١٠	تصرف الأب في مال ولده بالإعارة	٧١
١١	تصرف الأب في مال ولده بالشفعة	٧٢
١٢	تصرف الأب في مال ولده بالرهن	٧٣
١٣	مدى جواز رهن الأب في دين عليه من مال ولده	٧٤
١٤	البحث الثاني (تولي الأب طرف في عقد البيع)	٧٥
١٥	بيع وشراء الأب مال الصغير لنفسه	٧٥
١٦	بيع الأب مال أحد ولديه للآخر	٧٦
١٧	البحث الثالث (أكل الأب من مال ولده)	٧٨
١٨	فهرس الآيات	٨٦
١٩	فهرس الأحاديث	٨٦
٢٠	فهرس الموضوعات	٨٧
٢١	فهرس المراجع	٨٨

## ٤- فهرس المراجع.

## أولاً: القرآن والتفسير:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العرب (٥٤٢ هـ).
- الطبعة الثانية، تحقيق: علي حمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي (١٢٨٧ هـ - ١٩٦٨ م).
- ٣- تفسير أبي السعود: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١ هـ). دار المصنف - القاهرة.
- ٤- التفسير الكبير: الإمام الفخر الرازي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - طهران
- ٥- جامع البيان عن تأويل أي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢١٠ هـ). تحقيق: محمود شاكر، وأحمد شاكر دار المعارف بمصر.
- ٦- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الطبعة الموصوفة بأنها الطبعة الثانية.

## ثانياً: كتب الحديث:

- ٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).
- ٨- تحفة الأحوذى: أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ١٢٥٢ الطبعة الثانية. مراجعة: عبد الرحمن محمد عثمان مكتبة المدين ١٢٨٤ ١٩٦٤م
- ٩- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: ابن حجر العسقلاني: تصحيح: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني دار المعرفة، لبنان (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)
- ١٠- الجامع الصحيح: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر دار إحياء التراث العربي، لبنان
- ١١- الدارية في تخريج أحاديث الهداية: ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) تصحيح وتعليق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني دار المعرفة، لبنان.
- ١٢- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه تحقيق: محمود فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي،
- ١٣- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي تعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السعيدنشر: محمد علي السيد، حمص.
- ١٤- سنن الدارقطني: علي بن عمر الدارقطني عالم الكتب، بيروت.
- ١٥- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الأولى، دار المعارف العثمانية، الهند.
- ١٦- شرح الزرقاني على الموطأ: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (١١٢٢ هـ) تحقيق: إبراهيم عطوه عوض الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م)
- ١٧- فتح الباري: (ومعه صحيح البخاري) : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) تحقيق: عبد العزيز بن باز المكتبة السلفية.
- ١٨- كنز العمال: علاء الدين علي المنقي بن حسام الدين الهندي (٦٧٥ هـ). مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
- ١٩- مجمع الزوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي (٨٠٧ هـ) مؤسسة المعارف، بيروت (١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م).
- ٢٠- المسند: الإمام أحمد بن حنبل المكتبة الإسلامي.
- ٢١- المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١ هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي الطبعة الأولى، المجلس العلمي.
- ٢٢- الموطأ: الإمام مالك بن أنس تعليق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي.



- ٢٢- نصب الراهية: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزليعي ( ٧٦٢ هـ) الطبعة الأولى، المجلس العلمي، دار المأمون، القاهرة ( ١٢٥٨ هـ )
- ٢٤- نيل الأوطار: محمد بن علي الشوكاني ( ١٢٥٥ هـ ) مطبعة مصطفى البابي مصر

### ثالثاً: كتب الفقه:

#### الفقه الحنفي:

- ٢٥- بدائع الصنائع: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكساني ( ٥٨٧ هـ) الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، لبنان ( ١٢٩٤ هـ / ١٩٧٤ م )
- ٢٦- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق: فخر الدين عثمان بن علي الزليعي الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ( ١٢١٢ هـ ) ( وبهامشة حاشية الشلبي )
- ٢٧- جامع أحكام الصغار: محمد بن محمود الاسروشنى ( ٦٣٢ هـ ) تحقيق: عبد الحميد عبد الخالق البيزلي الطبعة الأولى، اللجنة الوطنية في الجمهورية العراقية ( ١٩٨٢ )
- ٢٨- حاشية ابن عابدين ( رد المحتار على الدر المختار ) : محمد أمين الشهير بان عابدين، الطبعة الثانية، دار الفكر ( ١٢٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ) .
- ٢٩- الفتاوى الهندية: الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت ( ١٢١٠ هـ ) .
- ٣٠- فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن الهمام ( ٦٨١ هـ ) . الطبعة الأولى، مطبعة بولاق، مصر ( ١٢١٩ هـ ) .
- ٣١- المبسوط: شمس الدين السرخسي الطبعة الثانية، دار المعرفة، لبنان.
- ٣٢- الهداية شرح بداية المبتدي: برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عد الجليل الراشد المرغيناني، الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

#### الفقه المالكي:

- ٣٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القوطي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيد ( ٥٢٠ هـ ) . دار الفكر .
- ٣٤- حاشية الدسوقي: شمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي دار الفكر .
- ٣٥- الشرح الصغير: سيدي احمد الدردير: تعليق: محمد إبراهيم المبارك مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر
- ٣٦- الشرح الكبير: سيدي أحمد الدردير دار الفكر
- ٣٧- قوانين الأحكام الشرعية: محمد بن أحمد بن جزى الغرناطي دار العلم للملايين، بيروت ( ١٩٧٤ م ) .
- ٣٨- المدونة الكبرى: الإمام مالك بن أنس دار صادر، بيروت ( مصورة عن طبعة ١٢٢٢ هـ )
- ٣٩- منح الجليل: الشيخ محمد عليش كتبة النجاح، طرابلس، ليبيا .
- ٤٠- مواهب الجليل: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالحطاب ( ٩٥٤ هـ ) . الطبعة الثانية، دار الفكر ( ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ) .

#### الفقه الشافعي:

- ٤١- الأشباه والنظائر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ( ٩١١ هـ ) ، الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى الباب الحلبي ( ١٢٧٨ هـ - ١٩٥٩ م )
- ٤٢- تحفة المحتاج: شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي دار صادر
- ٤٣- حاشية قليوبي وعميرة: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلام القليوبي ( ١٠٦٩ هـ ) . وشهاب الدين أحمد البرلسي الملقب بعميره ( ٩٥٧ هـ ) . الطبعة الرابعة، دار الفكر

- ٤٤- روضة الطالبين: الإمام النووي أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٧٦ هـ) الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت (١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م)
- ٤٥- المجموع شرح المذهب: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي دار الفكر.
- ٤٦- مغنى المحتاج: محمد الشربيني الخطيب دار إحياء التراث العربي، لبنان الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- ٤٧- منهاج الطالبين (مطبوع مع حاشية قليوبي وعميره بشح المحلي).
- ٤٨- نهاية المحتاج: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي (١٠٠٤ هـ) الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (١٣٨٦ هـ / ١٩٦٨ م).

#### الفقه الحنبلي:

- ٤٩- شرح منتهى الإرادات: منصور البهوتي (١٠٥١ هـ) دار الفكر.
- ٥٠- كشاف القناع: منصور بن يونس بن ادريس البهوتي تعليق: هلال مصيلحي مصطفى هلال مكتبة انصر الحديثة، الرياض.
- ٥١- المغني والشرح الكبير: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، وشمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسة. دار الكتاب العربي، لبنان (١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م)
- كتب فقه المذاهب الأخرى والفقه العام وأصول الفقه والمعاجم والفهارس الفقهية وغيرها:
- ٥٢- أحكام الأسرة في الإسلام: محمد مصطفى شلبي الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م)
- ٥٣- الأحوال الشخصية: محمد أبو زهرة الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م)
- ٥٤- علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية: سعاد إبراهيم صالح .
- ٥٥- المعاملات الشرعية المالية: أحمد إبراهيم بك ضمن سلسلة الأعمال الكاملة للمرحوم أحمد إبراهيم بك (١٣٥٥-١٩٣٦).
- ٥٦- الولاية على المال والتعامل بالدين في الشريعة الإسلامية علي حسب الله نشر: معهد البحوث والدراسات العربية (١٩٦٧ م) .

#### رابعاً: كتب اللغة والتعريفات:

- ٥٧- أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - دار صادر، بيروت، (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م).
- ٥٨- التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)
- ٥٩- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم يمين منظور (٧١١ هـ)
- ٦٠- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧٧٠ هـ). المكتبة العلمية، لبنان.
- ٦١- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق: عبد السلام خارون الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م).

# أحكام العوض في الشفعة

د. جميل بن حبيب اللويحق

الأستاذ المساعد بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية  
كلية الآداب - جامعة الطائف



## الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن الشفعة من أحكام المعاملات التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لرفع الضرر عن الشريك في الشراكة المشاعة فيما كان صفته الدوام من الأملاك دون أدنى ضرر على شريكه الآخر حين يرغب في بيع حصته لطرف ثالث، وهو حكم خاص بهذه الصورة جاء به الشرع الحكيم تحقيقاً للمصلحة المشار إليها، ووفق مقتضى العدل و طلباً لدفع الخصومات المحتملة بين الشركاء الجدد، ولما كان من أركان عقد الشفعة ما يبذل فيه من عوض، ولمسئس الحاجة لبيان أحكام هذا العوض فقد عمد هذا البحث إلى تناول أهم مسائل العوض في الشفعة، وهي: نوعه، والوقت المعتبر لقيمته، وأحكام الزيادة أو الحط من العوض، وحكم تأجيله، وكونه من المحرمات كالخمر والخنزير، وعجز الشفيع عن بدله، وكونه من غير المال أصلاً، وأحوال الاختلاف في العوض، مع التقدمة لهذه المسائل بتمهيد يتعرض لتعريف الشفعة، وحكمها، وحكمتها، وشروطها، وذلك من أجل ربط هذه المسائل بأصول مبحث الشفعة وقواعده العامة.

وقد اهتم البحث بالسير وفق الأصول المعتبرة في الأبحاث الفقهية من الدقة في عزو الأقوال لقائلها من كتبهم، مع العناية بذكر أدلتهم وتخريج ما يذكر منها من مصادره، وشرح للغريب، مع الاجتهاد في تقريب المسائل وترتيبها، وإتباع كل مسألة ورد فيها خلاف بالترجيح، والالتزام في ذلك كله بالإيجاز قدر المستطاع.

وأرجو أن يكون هذا البحث إضافة نافعة في خدمة الشريعة المعظمة وإبراز جوانب الكمال فيها بتجلية هذا الحكم الفقهي، وتقريبه من المكلفين.



## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فهذا بحث مختصر عمدت فيه إلى جمع المسائل المتعلقة بالعرض في الشفعة إلى بعضها، وذكر أقوال أهل العلم فيها، وإيراد أدلتهم وحججهم، والاجتهاد في بيان الراجح منها والاستدلال له، وكان موجب هذا الاختيار ما أفضى إليه تنوع مسائل العرض في الشفعة اليوم وكثرتها ومسيب الحاجة إلى تقريبها وإعادةها إلى أصولها التي تضمنتها كتب الفقه المعتمدة. وإن الناظر في مباحث الشفعة في كتب الفقه في سائر المذاهب ليرى فيها طولاً وتشعباً يعسر معه البحث، ويشق حتى على أهل الشأن فكان لزاماً تقريب ما تكثر الحاجة إليه منها. وتحقيق القول فيه قياماً بواجب البيان وإظهاراً لحكم الشرع وإبرازاً لعظمة الشريعة وشمولها لكل ما يحتاج إليه الناس. ومن المعلوم أن باب الشفعة من أبواب المعاملات المالية التي جاءت الشريعة بقواعد حاكمة لها تحفظ الحقوق وترفع الضرر وتقيم العدل وترعى المصالح من غير إفراط أو تضريط، ودراسة فروع المسائل المالية كأحكام العرض في الشفعة تظهر هذه القواعد الرفيعة وتكشف عن وجهها وتزيد من إيمان المسلم بكمال شريعة الإسلام، وتمازج قيامها بما يصلح حياة الناس.

وقد قسمت البحث في أحكام العرض في الشفعة إلى تمهيد وتسعة مباحث. وقد تناولت في التمهيد أربع مسائل، وهي:

المسألة الأولى: تعريف الشفعة.

المسألة الثانية: حكم الشفعة.

المسألة الثالثة: الحكمة من مشروعية الشفعة.

المسألة الرابعة: شروط الشفعة.

وذلك على جهة الاختصار ليكون مدخلاً لعرض مباحث العرض في الشفعة والتي جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: نوع العرض.

المبحث الثاني: الوقت المعتبر لقيمة العرض.

المبحث الثالث: أحكام الزيادة أو الحط من العرض.

المبحث الرابع: صفة العرض من حيث الحلول والتأجيل.

المبحث الخامس: كون العرض خمراً أو خنزيراً.

المبحث السادس: كون العوض مستحقاً أو معيباً.

المبحث السابع: كون العوض من غير مال.

المبحث الثامن: عجز الشفيع عن بذل العوض.

المبحث التاسع: الاختلاف في العوض.

وقد سرت في هذا البحث بحمد الله تعالى على السنن المطلوبة في مثله من عزو للأقوال وتحريرها من كتب أهلها. مع ذكر أدلتهم وحججهم وتخريج ما يرد فيها من الأحاديث والآثار من مصادرهم، وبيان للغريب مع اجتهاد في تقريب المسائل وترتيبها، مراعيًا الإيجاز في ذلك كله، ومعرضاً عن الاستطراد والإطالة، ومعقباً كل مسألة ورد فيها خلاف بترجيح ما أراه راجحاً مع الحرص على متانة التعليل له ووجازته.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد وأن يبارك فيه، والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على نبيينا محمد.

كتبه:

د. جميل بن حبيب اللويحق

أستاذ مساعد، بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب

بجامعة الطائف



**التمهيد****وفيه أربع مسائل:**

المسألة الأولى: تعريف الشفعة

المسألة الثانية: حكم الشفعة

المسألة الثالثة: الحكمة من مشروعية الشفعة

المسألة الرابعة: شروط الشفعة

**المسألة الأولى: تعريف الشفعة.**

الشفعة: بضم الشين وإسكان الفاء وحكي ضمها، مأخوذة من الشفع بمعنى الضم على الأشهر، من شفعت الشيء: إذا ضمته، ومنه شفع الأذان وأصل الكلمة التقوية والزيادة، لأن المشفوع يزيد ما في يد الشفيع ومن هذا الباب جاء قولهم شاة شافع للتي معها ولدها لتقويها به، ومنها أيضاً الشفاعة والشفيع لأن كل واحد من الوترين يقوي الآخر<sup>(١)</sup>.

وقيل في وجه العلاقة بين معناها اللغوي والشرعي إنها سميت بذلك لأن الشفيع يجعل نصيبه شفعاً بنصيب صاحبه<sup>(٢)</sup>، وقيل: إن سبب ذلك أن الرجل إذا أراد أن يبيع داره أتاها جاره أو شريكه فشفع إليه فيما باع فشفعه وجعله أولى ممن بعد بسببه فسميت شفعة، وسمي طالبها شفيعاً<sup>(٣)</sup>. وقيل: سميت بذلك لأن طالبها جاء تالياً للمشتري فكان ثانياً بعد أول فسمي شفيعاً لأن الاثنين شفيع والواحد وتر، وسمي الطلب شفعة<sup>(٤)</sup>.

وأما تعريفها في الاصطلاح الفقهي فقد تنوعت فيه عبارات الفقهاء، ومن أجمعها وأمنعها قولهم (هي استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقلة عنه من يد من انتقلت إليه بعوض مالي)<sup>(٥)</sup>.

**المسألة الثانية: حكم الشفعة.**

الشفعة من الحقوق المشروعة التي جاءت الشريعة المطهرة بها وقد دلت على ذلك السنة النبوية، ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة)<sup>(٦)</sup>

وعند مسلم عن جابر (قضى رسول الله ﷺ في كل شركة لم تقسم ربعة أو حائط، ولا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه فإن شاء أخذ وإن شاء ترك فإن باع ولم يؤذنه فهو أحق به)<sup>(٧)</sup> وقد حكى الإجماع على مشروعيتها ابن المنذر فقال: (أجمع أهل العلم على إثبات الشفعة للشريك الذي لم يقاسم فيما بيع من أرض أو دار أو حائط)<sup>(٨)</sup>.

### المسألة الثالثة: الحكمة من مشروعيتها.

اختلفت أنظار أهل العلم في الضرر الذي قصد الشارع رفعه بالشفعة فقيل: هو الضرر اللاحق بالقسمة فقد يلحق الشفيع ضرر بقسمة العقار أو الأرض التي كان يرتفق بها كلها حيث ستضيق عليه في القسمة المترتبة على البيع وفي ذلك كلفة عليه وحرص فرفع عنه ذلك باستحقاق الشفعة<sup>(٩)</sup>.

وقيل إن الضرر الذي قصد إلى رفعه بها هو الضرر المترتب على الشركة فإن الشريكين في عين من الأعيان إذا أراد أحدهما بيع نصيبه لدفع الضرر عليه من بقاء الشركة كان صاحبه أولى بذلك من غيره، فإن إزالة الضرر عنه ليست بأولى من إزالة الضرر عن شريكه وهو لا يتضرر بذلك بل كلاهما منتفع بالشفعة<sup>(١٠)</sup>.

وليس بين هذين السببين تعارض في حقيقة الأمر فقد يجتمعان في بعض الصور وقد يوجد أحدهما دون الآخر.

وقد عبر ابن القيم (٧٥١هـ) عن الحكمة من مشروعية الشفعة بقوله (من محاسن الشريعة وعدلها وقيامها بمصالح العباد ورودها بالشفعة ولا يليق بها غير ذلك، فإن حكمة الشارع اقتضت رفع الضرر عن المكلفين ما أمكن فإن لم يمكن رفعه إلا بضرر أعظم بقائه على حاله، وإن أمكن رفعه بالتزام ضرر دونه رفعه به، ولما كانت الشركة منشأ الضرر في الغالب فإن الخلقاء يكثر فيهم بغي بعضهم على بعض شرع الله سبحانه رفع هذا الضرر: بالقسمة تارة وانفراد كل من الشريكين بنصيبه، وبالشفعة تارة وانفراد أحد الشريكين بالجملة إذا لم يكن على الآخر ضرر في ذلك فإذا أراد بيع نصيبه وأخذ عوضه كان شريكه أحق به من الأجنبي وهو يصل إلى غرضه من العوض من أيهما كان، فكان الشريك أحق بدفع العوض من الأجنبي فيزول عنه ضرر الشركة ولا يتضرر البائع لأنه يصل إلى حقه من الثمن، وكان هذا من أعظم العدل وأحسن الأحكام المطابقة للعقول والفطر ومصالح العباد)<sup>(١١)</sup>.

### المسألة الرابعة: شروط الشفعة.

اختلفت مذاهب الفقهاء في تحديد شروط الشفعة، وعرض أقوالهم في ذلك على جهة التفصيل والبسط استدلالاً ومناقشة وترجيحاً ليس من مقصود هذا التمهيد، ولذلك فسنعرض لما اعتبره أكثر أهل العلم شروطاً في الشفعة على جهة الإيجاز توصلاً إلى مقصود البحث وهو مسائل العوض في الشفعة وهذه الشروط هي:

**الشرط الأول:** أن يكون المبيع من غير المنقولات وهو العقار من الأراضي وما بني عليها من

الدور وما فيها من غراس تبعاً لها، وأما المنقول كالذوايب والثمار والسيارات والمعدات ونحوها فلا شفعة فيه. وهو مذهب الحنفية<sup>(١٢)</sup> والشافعية<sup>(١٣)</sup> والحنابلة<sup>(١٤)</sup>، والمالكية<sup>(١٥)</sup>.

ودليل الجمهور ما ورد عن جابر رضي الله عنه (قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل شركة لم تقسم ربة أو حائط..)<sup>(١٦)</sup> الحديث، وفيه النص على العقار، ولأن الضرر الذي شرعت من أجل رفعه الشفعة هو ما يكون دائماً<sup>(١٧)</sup>.

**الشرط الثاني:** أن يكون الملك مشاعاً غير مقسوم، وأما الجار فلا شفعة له إذا كان ملكه متميزاً عن جاره مستقلاً عنه، وكذلك المخالط في طريق أو مشرب، وبه قال الجمهور من المالكية<sup>(١٨)</sup> والشافعية<sup>(١٩)</sup>، والحنابلة<sup>(٢٠)</sup>، وهو الصحيح، وخالف في ذلك الحنفية فأثبتوا الشفعة بسبب الملك غير المقسوم وألحقوا به الجوار والخلطة<sup>(٢١)</sup>.

واستدل الجمهور بحديث جابر رضي الله عنه المتقدم وفيه (.. فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة)<sup>(٢٢)</sup> وهو صريح في حصر الشفعة فيما لم يقسم، فكل ما كان مقسوماً فليس فيه شفعة، ولأن الضرر إنما يتحقق بالشراكة في الملك<sup>(٢٣)</sup>.

فإن كان بين الجارين حق مشترك من حقوق الأملاك من طريق أو ماء أو نحو ذلك فالصحيح ثبوت الشفعة حينها، أما إذا لم يكن بينهما حق مشترك البتة، بل كل واحد منهما متميزاً في ملكه عن الآخر فلا شفعة<sup>(٢٤)</sup>.

ولا خلاف في وقوع الشفعة في الملك المشاع إن كان يمكن أن يقسم، وأما إن لم يكن كذلك فقد اختلف الفقهاء في وقوع الشفعة فيه، فذهب الشافعية<sup>(٢٥)</sup> إلى أنه لا شفعة فيه، وهو رواية عن مالك<sup>(٢٦)</sup>، وأحمد<sup>(٢٧)</sup>.

وعللوا لذلك:

- بأنه مفهوم قوله ﷺ في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (.. فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة)<sup>(٢٨)</sup> ففيه إشارة إلى أن الشفعة إنما تقع فيما يمكن أن يقسم قبل أن يقسم<sup>(٢٩)</sup>.

- أن الشفعة إنما تثبت لإزالة الضرر الذي يلحقه بالمقاسمة لما يحتاج إليه من إحداث المرافق الخاصة، ولا يوجد هذا فيما لا ينقسم<sup>(٣٠)</sup>.

وذهب الحنفية<sup>(٣١)</sup> إلى أن فيه الشفعة، وهو رواية عن مالك<sup>(٣٢)</sup> وأحمد<sup>(٣٣)</sup>.

وعللوا له:

- بمعوم قوله ﷺ (الشفعة في كل شرك)<sup>(٣٤)</sup> فسببها الملكية<sup>(٣٥)</sup>، وبأنه عقار فيقاس على العقار المقسوم<sup>(٣٦)</sup>.

- وبأن الشفعة إنما تثبت لإزالة ضرر المشاركة، وضررها فيما لا يتقسم أكثر لتأبده فلزم القول بها فيه<sup>(٣٧)</sup>.

والقول الثاني أقرب والله تعالى أعلم لاعتضاده بمنطوق الحديث، وظهور مراعاته للحكمة المقصودة من الشفعة وهي رفع الضرر عن الشريك بزوال الشراكة.

وهي هنا أولى من مراعاة مفسدة القسمة فإن مراعاة جانب الشفيع مقدمة على مراعاة جانب المشتري وهي هنا تكون باعتبار الشفعة.

#### الشرط الثالث:

أن يكون الشقص منتقلاً بعوض فإن انتقل بغير عوض كالوصية، والهبة، والميراث، فلا شفعة فيه، وبه قال جماهير الفقهاء من الحنفية<sup>(٣٨)</sup>، والشافعية<sup>(٣٩)</sup>، والحنابلة<sup>(٤٠)</sup>، وهو رواية عن مالك<sup>(٤١)</sup>.

واحتجوا بأن الخبر قد ورد في البيع<sup>(٤٢)</sup>، وبأن مراعاة شرط الشرع في الشفعة وهو التملك بمثل ما تملك به المشتري صورة أو قيمة لا تتحقق إلا فيما انتقل بعوض<sup>(٤٣)</sup>.

وهذه الشروط الثلاثة هي أصول الشروط في الشفعة، وقد تحدث الفقهاء عن غيرها، وعن مسائل الشفعة في مباحث مطولة يضيق عن الإشارة إليها مقصود هذا البحث، وحسبنا فيما يأتي ذكر ما يتعلق بالشرط الثالث وهو العوض في الشفعة من مسائل تضبط ما يتعلق به من أحكام والله تعالى المستعان.

## المبحث الأول

### نوع العوض

العوض في الشفعة إما أن يكون مثلياً أي له مثل من جنسه، كالبر والنقد ونحو ذلك، وإما أن يكون قيمياً وهو الذي لا نظير له من جنسه، كالحيوان، والجواهر ونحوها، ويلحق به ما انقطع مثله في المثليات وقت الأخذ بالشفعة فيؤخذ بالقيمة<sup>(٤٤)</sup>.

فإن كان العوض مثلياً أخذه الشفيع بمثله صفة وقدرأ<sup>(٤٥)</sup> وذلك لما يلي:

- ما ورد في حديث جابر أن النبي ﷺ قال: ( هو أحق بالثمن )<sup>(٤٦)</sup>.

- أن بذل المثل أقرب إلى حقه<sup>(٤٧)</sup>.

- أن الشفيع إنما استحق الشقص بالبيع فكان مستحقاً له بالثمن كالمشتري<sup>(٤٨)</sup>.

أما إن كان العوض غير مثلي، فاختلف أهل العلم فيه على ثلاثة أقوال:

#### القول الأول:

أن الشفيع يستحق الشقص بقيمته.

وهو قول أكثر أهل العلم، فيه يقول الحنفية والشافعية والحنابلة<sup>(٤٩)</sup>

وعللو له بما يلي:

- أنه أحد نوعي الثمن فجاز أن تثبت به الشفعة في المبيع كالمثلي<sup>(٥٠)</sup>.

- أن القيمة مثل لما لا مثل له<sup>(٥١)</sup>.

#### القول الثاني:

أن الشفعة لا تجب في غير المثلي، وحكي هذا القول عن الحسن (ت ١١٠هـ)، وسوار (ت ٢٤٥هـ)<sup>(٥٢)</sup>، وعللو له بأن الشفعة إنما تجب بمثل الثمن، وهذا لا مثل له، فتعذر الأخذ بالشفعة، وذلك كما لو جهل الثمن<sup>(٥٣)</sup>.

ونوقش هذا التعليل بأن المثلية قد تكون عن طريق الصورة وقد تكون عن طريق القيمة، وذلك كالبديل في المتلفات<sup>(٥٤)</sup>.

والراجح هو قول الجمهور لما تقدم من أدلة، ولأن الشفعة حق ثابت فلا تسقط لانتهاء المثلية، بل يتوصل إلى هذا الحق بكل طريق ممكن وهو هنا قيمة المثل.

فإن كان العوض مثلياً وانقطع وقت الأخذ بالشفعة، أو عجز عنه الشفيع فإنه يبذل قيمته كما تقدم على قول الجمهور، إلا أن بعض الظاهرية ذهب إلى أنه لا يلزم المشتري أن يقبل القيمة، وله أن يلزم الشفيع بالمثل متى قدر عليه مع تسليمه الشقص له<sup>(٥٥)</sup>.

ووجهه أنه ليس للشريك أخذ الشقص إلا بما رضي به البائع سواء عرضه عليه قبل البيع أو أخذه بعد البيع ولا يجوز إجباره على أخذ غير ما طابت به نفسه، فإن لم يقبل إلا المثل مع إمكانه ولو متأخراً عن وقته كان له ذلك.

والظاهر أن هذا غير لازم في حق الشفيع فإن العبرة إنما تكون بزمن وقوع الشفعة، وليس أمام البائع إلا أن يقبل بالقيمة إن لم يوجد المثل فذلك هو حقه حينها، وليس له إشغال ذمة الشريك بحقه إلا برضاه.

## المبحث الثاني

### الوقت المعتبر لقيمة العوض

إذا طالب الشفيع بالشفعة عند علمه بالبيع فإنه يأخذ الشقص بمثل ما بذل فيه المشتري إن كان المبذول مثلياً، أو بثمانه الذي دفع فيه عند وقوع البيع، فإن تأخرت مطالبته لعذر أو طالب بها ولم يحكم له إلا بعد مدة فتغيرت قيمة العوض زيادة أو نقصاً، وذلك كما لو كان عرضاً - كآلة أو تحفة أثرية - وقدرت قيمته بقدر معين حين البيع فزادت بعد ذلك، فقد اختلف الفقهاء في الزمن المعتبر لقيمة العوض على قولين:

**القول الأول:** إن الوقت المعتبر لقيمة العوض هو وقت البيع، إن لم يكن خيار فإن كان ثمة خيار فبانقضائه، وإليه ذهب الحنفية<sup>(٥٦)</sup> والشافعية<sup>(٥٧)</sup> والحنابلة<sup>(٥٨)</sup> وهو المشهور عن المالكية<sup>(٥٩)</sup>.

وعللوا له:

- قوله ﷺ في حديث جابر "فإن باعه.. فشريكه أحق به بالثمن"<sup>(٦٠)</sup>.
- بأن وقت البيع هو وقت الاستحقاق للشفعة ولذلك فلا اعتبار بعد ذلك بالزيادة والنقص في القيمة<sup>(٦١)</sup>.
- قياس الشفيع على المشتري في عدم لحوق الزيادة لأن الموجب واحد وهو البيع<sup>(٦٢)</sup>.
- القول الثاني:** أن الوقت المعتبر لقيمة العوض هو يوم المحاكمة وهو محكي عن مالك<sup>(٦٣)</sup>.
- ولعل مأخذ هذا القول هو أن استقرار الشفعة لا يكون إلا عند الحكم بها للشفيع وليس قبله. والقول الأول هو الأظهر لما ذكر من أدلة، ولما فيه من قطع المنازعة، ولدفعه الضرر الذي سيلحق بالشفيع من تأخر علمه بما استقر عليه الثمن.
- وقد أجيب على ما حكى عن الإمام مالك بأجوبة منها...
- أن وقت الاستحقاق هو وقت العقد وأما ما زاد بعد ذلك فهو إنما وقع في ملك البائع، فلا يقوم للمشتري، وما نقص فهو من مال البائع فلا ينقص به حق المشتري<sup>(٦٤)</sup>.
- أن زمن المحاكمة ليس بزمن للاستحقاق، والعبرة إنما تكون بزمن الاستحقاق وهو وقت البيع، كما لو أُلّف عرضاً فإن قيمته تعتبر وقت الإتلاف لأنه وقت الاستحقاق لا وقت المحاكمة<sup>(٦٥)</sup>.

## المبحث الثالث

### أحكام الزيادة أو الحط من العوض

إذا تعاقد البائع والمشتري على ثمن وزادا فيه أو نقصا منه زمن الخيار، أو كانت الزيادة أو النقص فيه ابتداءً بأن يزيد على ثمن المثل أو يقل عنه، فقد اختلف أهل العلم في لزوم هذه الزيادة للشفيع كما اختلفوا في انتفاعه بالنقص على النحو الآتي:

#### القول الأول:

أن الشفيع يأخذ الشقص بما استقر عليه الثمن ابتداءً أو بانقضاء زمن الخيار، وبه قال الشافعية<sup>(٦٦)</sup> والحنابلة<sup>(٦٧)</sup>.

وعلّلوا له: بأن حق الشفيع إنما يثبت إذا تم العقد، فيستحق بالثمن الذي استقر عليه العقد عند تمامه<sup>(٦٨)</sup>.

فإن انقضى العقد فإن الزيادة بعده تكون هبة تجري عليها أحكام الهبة ولا تلزم الشفيع، وكذلك الحط من الثمن بكون إبراء مبتدأً ولا يثبت للشفيع<sup>(٦٩)</sup>.

#### القول الثاني:

أن الشفيع يأخذ بالنقص دون الزيادة، وهو مذهب الحنفية<sup>(٧٠)</sup>. ولا فرق عندهم أن يكون الحط قبل التفرق أو بعده.

وعلّلوا له: بأن الحط ملتحق بأصل العقد فيؤخذ به، وفيه مصلحة للشفيع فلا يمنع منه<sup>(٧١)</sup>. وأما الزيادة فلا تلزم الشفيع وإن التحقت بأصل العقد لما فيها من إضرار بالشفيع، ولأنها قد تفوت عليه حقه في الشفعة<sup>(٧٢)</sup>.

فإن كان الحط لكل فلا يستفيد منه الشفيع عندهم، لأن الحط لا يلتحق بأصل العقد إذ لو التحق بأصل العقد للزم أن يكون بيعاً بلا ثمن، وهو بيع باطل.

#### القول الثالث:

أن الشفيع ينتفع بالحط إن كان يبقى بعده ما يكون ثمناً لمثل هذا الشقص في العادة، فإن لم يكن كذلك فإنه يأخذه بجميع الثمن الأول. وأما الزيادة فلا تلزم الشفيع، وهو قول المالكية<sup>(٧٣)</sup>.

وعلّلوا له: بأن ما أظهر من الثمن الأول إنما كان لقطع الشفعة فلا يلتصق له الشفيع ويأخذ بالثمن بعد الحط<sup>(٧٤)</sup>. وأما في الزيادة فلا تلزم الشفيع لأن الثمن قد تعين<sup>(٧٥)</sup>.

ويظهر لي أن الراجح هو القول الأول لوجاهة تعليقه، ولكونه لا ضرر فيه على البائع أو الشفيع، وأما ما ذهب إليه الحنفية فيجواب عنه بما يلي:



- أن الزيادة قبل التفرق تقاس على النقص فيلزم بها الشفيع كما ينتفع بالنقص، وكما أنه يراعي جانب الشفيع في النقص فينبغي أن يراعي جانب البائع في الزيادة فلا ضرر ولا ضرار.

- وأما الحط بعد استقرار العقد فهو تغيير في غير محله فلا يلزم به<sup>(٧)</sup>.

ويجاب على المالكية بما سبق، وبأن مقتضى الشفعة أن يأخذ الشفيع الشقص بما استقر عليه الثمن بعد الحط بدون النظر إن كان يصلح أن يكون ثمناً أولاً لأن مناط ذلك هو رضى البائع وقد تحقق.

## المبحث الرابع

### صفة العوض من حيث الحلول والتأجيل

لا يخلو العوض المبذول من الشفيع من أن يكون حاضراً أو مؤجلاً، فإن كان حاضراً فلا إشكال حينئذ في لزوم قبوله، وأما إن أخره الشفيع فلا يخلو الحال حينئذ من صورتين:  
الصورة الأولى:

أن يكون المشتري قد اشترى الشقص بثمن حال وهاهنا لا يلزم المشتري أن يقبل بالتأجيل من الشفيع، وذلك لأن في أخذ الأخير للشقص بدون دفع الثمن في الحال إضراراً بالمشتري، والضرر لا يزال بالضرر<sup>(٧٧)</sup>.  
فإن أخذ الشفيع بالشفعة ولكنه آخر بذل العوض فهل يسقط حقه في الشفعة أو يمهل وقتاً لبدله: اختلف أهل العلم في هذه المسألة على أقوال:

#### القول الأول:

أنه ينظر يوماً أو يومين بقدر ما يرى الحاكم، وأما أكثر فلا، وبه قال مالك<sup>(٧٨)</sup>. وهو رواية عن أحمد<sup>(٧٩)</sup>. وهو قول محمد بن الحسن من الحنفية<sup>(٨٠)</sup>.  
وعللوا له بأنه يصير متمكناً بالمطالبة، وذلك لا يتوقف على إحضار الثمن كالشراء المبتدأ، ويمهل هذه المدة ليتمكن من نقد الثمن<sup>(٨١)</sup>.

#### القول الثاني:

أنه ينظر ثلاثاً، فإن أحضر الثمن وإلا فسخ عليه، وبه قال بعض الشافعية<sup>(٨٢)</sup> وبعض المالكية<sup>(٨٣)</sup> وهو الصحيح عند الحنابلة<sup>(٨٤)</sup>.  
وعللوا له: بأن الثلاثة هي آخر حد القلة<sup>(٨٥)</sup>.  
وعلل له العمراني الشافعي (٥٥٨هـ) بقوله: (لأن تحصيل الثمن في الحال يتعذر عليه في غالب العادة، وعدم اعتبار ذلك يؤدي إلى إسقاط الشفعة والإضرار بالشفيع، فأجل ثلاثاً لأنها مدة قريبة، ولا ضرر على المشتري في ذلك)<sup>(٨٦)</sup>.

#### القول الثالث:

أنه لا يأخذ بالشفعة ولا يقضي بها القاضي حتى يحضر الثمن، وبه قال أكثر الحنفية<sup>(٨٧)</sup>.  
وعللوا له:  
- بأن الشفيع يأخذ الشقص بغير اختيار المشتري فلا يستحق ذلك إلا بإحضار عوضه، كتسليم المبيع<sup>(٨٨)</sup>.

والراجح والله تعالى أعلم هو أن صحة الشفعة لا تتوقف على إحضار الثمن عند طلبها وينتظر في ذلك بقدر ما يقضي به العرف، وحيث لا يتجاوز عرف الناس ثلاثة أيام في المعهود وقد يقل عنها فإن القول الثاني هو أقرب الأقوال فيما يظهر.

وقد أوجب على القول الثالث بأن التملك في الشفعة إنما هو تملك بعوض فلا يتوقف على إحضار العوض، فقد يتأخر تسليمه فهو كالبيع قد يتأخر عن مجلس العقد<sup>(٨٩)</sup>.

### الصورة الثانية:

أن يكون المشتري قد أخذ الشقص بثمن مؤجل.

وقد اختلف العلماء في جواز أخذ الشفيع بهذا الأجل أيضا على ثلاثة أقوال:

### القول الأول:

أن الشفيع يأخذ بذلك الأجل إذا كان مليئاً أو أقام ضميناً مليئاً.

وبه قال مالك<sup>(٩٠)</sup>، وأحمد<sup>(٩١)</sup>، وهو القول القديم للشافعي<sup>(٩٢)</sup> وهو قول نضر من الحنفية<sup>(٩٣)</sup>، واشترط مالك وبعض الحنابلة مع الملاءة أن يكون ثقة.

وعللوا له:

- بأن الشفيع تابع للمشتري في قدر الثمن وصفته، والتأجيل من صفاته<sup>(٩٤)</sup>.

- ولأن في الحلول زيادة على التأجيل فلم يلزم الشفيع كزيادة القدر<sup>(٩٥)</sup>. وعبر عنه القرايبي (ت ٦٨٤ هـ) بقوله: (ولأن للأجل قسطاً من الثمن، فلما وجب الأخذ بالمقدار المعين في العقد وجب الأخذ بالمؤجل لينضبط المقدار، لأنه بالحال أضربه فكان فيه رفع الضرر بالضرر بزيادة الثمن، والشفيع لا يزداد عليه في الثمن)<sup>(٩٦)</sup>.

### القول الثاني:

أن الشفيع مخير بين أن يأخذ الشقص بقيمته حالاً، أو ينتظر مضي الأجل ثم يأخذه، وبه قال أبو حنيفة<sup>(٩٧)</sup> والشافعي في الجديد<sup>(٩٨)</sup>.

### وعللوا له بما يلي:

- أن القول بانتفاعه بالأجل يفضي إلى أن يلزم المشتري بقبول ذمة الشفيع، والذمم لا تتماثل<sup>(٩٩)</sup>.

- أننا لو جوزنا له الأخذ بالثمن المؤجل لأضررنا بالمشتري، وإن ألزماه الأخذ بالحال أضررنا بالشفيع، لأن الأجل يقابله قسط من الثمن فكان ذلك دافعاً للضررين وجامعاً للحقين<sup>(١٠٠)</sup>.

وقد أجاب أصحاب القول الأول على ما أورده أصحاب القول الثاني بامتناع تماثل الذمم بأن

جواز الأخذ بالأجل لا يكون إلا إذا وجدت الملاءة في الشفيع أو في ضمينه، حتى ينحفظ المال، فلا يضر اختلافهما فيما وراء ذلك.

وأما أصحاب القول الثاني فاعترضوا على ما أورده القائلون بالقول الأول من أن الأجل في هذه المسألة قد أصبح صفة للثمن والشفيع تابع للمشتري في قدر الثمن وفي صفته بالمنع، فالأجل عندهم لا يثبت إلا بالشرط فهو زائد عن العقد وليس من لوازمه فاشتراطه في حق المشتري لا يكون اشتراطاً في حق الشفيع كالخيار والبراءة من العيوب، ورضاه به في حق المشتري لا يدل على رضاه به في حق الشفيع لتفاوت الناس فيه<sup>(١٠١)</sup>. كما أنهم قالوا إن الملاءة أيضاً لا تتماثل<sup>(١٠٢)</sup>.

### القول الثالث:

أن الشفيع يأخذ الشقص بسعة تساوي قيمته مؤجلة. وهو منقول عن الشافعي<sup>(١٠٣)</sup>. وتعليقه: أننا لا يمكن أن نطالب الشفيع بالمبلغ حالاً لأن ذلك أكثر مما لزم المشتري، ولا يمكن أن نطالبه بالقيمة مؤجلة لأن الذمم لا تتماثل، فوجب أن يعدل إلى جنس آخر بقيمته، كما يعدل فيما لا مثل له إلى جنس آخر بقيمته<sup>(١٠٤)</sup>.

والظاهر لي أن القول الأول هو أقرب الأقوال الثلاثة لفقه الشفعة ومقصودها، فإن مقصودها الأول هو رفع الضرر المترتب على الشراكة عن الشفيع دون إضرار بالشريك فوجب تحقيق ذلك بأدنى صورته، فإن كان البائع قد رضي بالأجل وكان الشفيع ثقة مليئاً فقد تحقق المقصود دون إضرار بالبائع ولا يقال إنه لم يرض ذمة الشفيع هنا فلا تلزمه، فإن ظاهر حاله أنه رضيها قبل العقد، وأما أن الشرط إنما يأخذ به المشتري فقط وليس صفة في العقد فيجاء عنه بأن تنتقل الشرط لصالح الشفيع فإنه ينتقل لمن له الملك بدليل الوارث فإن البيع ينتقل إليه بالثمن المؤجل<sup>(١٠٥)</sup>. ولا شك أن الذمم لا تتماثل من كل وجه وإنما المقصود مراعاة الظاهر والقول بالتخيير كما هو القول الثاني فيه إضرار بالمشتري من جهة تعليق الصفقة عليه وعدم استقرارها، ثم إنه قد يتصرف بما اشتراه نوع تصرف وربما أفضى ذلك إلى خصومة أو إلى أن تطول الدعوى وكل ذلك ضرر ظاهر.

## المبحث الخامس كون العوض خمراً أو خنزيراً

إذا بذل المشتري الذمي للبائع الذمي خمراً أو خنزيراً تمناً للشقص فهل على الشفيع المسلم أن يبذل مثله أو قيمته.

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

### القول الأول:

أن على الشفيع أن يبذل القيمة، وهو مذهب الحنفية<sup>(١٠٦)</sup>، وهو قول عند المالكية<sup>(١٠٧)</sup> ووجه عند الحنابلة<sup>(١٠٨)</sup>.

**وعلّلوا له:** بأن الخمر والخنزير مال عند أهل الذمة، فأما الخنزير فهو غير مثلي فوجب دفع قيمته، وأما الخمر وإن كانت مثلية فيبذل قيمتها لكونه ممنوعاً عليه تملكها وتمليكها. ومتى تعذر على المسلم التملك بالعين تملك بالقيمة، كما لو أن الشراء كان بالعرض فإنه يأخذها بقيمة العرض<sup>(١٠٩)</sup>.

- إن الخنزير والخمر مما يضمن لأهل الذمة فلزم دفع قيمتها<sup>(١١٠)</sup>.
- إن الأخذ بالقيمة هنا فيه دفع للضرر عن الشفيع، ومواضع الضرورة مستثناة<sup>(١١١)</sup>.

### القول الثاني:

أن الشفعة لا تقع حينئذ لبطلان البيع، وقال به الشافعية<sup>(١١٢)</sup> وهو وجه عند الحنابلة<sup>(١١٣)</sup>.

### وعلّلوا له:

- بأن الخمر والخنزير ليست مالاً لحرمتهما<sup>(١١٤)</sup>. ولهذا اسقط غرمهما في حق المسلم والذمي<sup>(١١٥)</sup>

- أن المسلم لو عقد بيعه على ميتة أو دم لسقطت الشفعة فيه فكذلك تسقط الشفعة فيما عقد على الخمر والخنزير<sup>(١١٦)</sup>.

والظاهر والله تعالى أعلم بالصواب أن البيع قد وقع على وجه معتبر وأن للمسلم أن يشفع فيه بدفع قيمة الخمر والخنزير دون أعيانها لما سبق من أدلة القول الأول ومبنى ذلك ومعتده وما ورد من أدلة على اعتبار ماليتها في حق أهل الكتاب ومن ذلك:

- ما ورد أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله أن اقتلوا خنازير أهل الذمة واحسبوا لأصحابها بقيمتها من الجزية<sup>(١١٧)</sup> قال أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) "فهو لم يجعلها قصاصاً في الجزية إلا وهو يراها مالاً من أموالهم"<sup>(١١٨)</sup> يقول الإمام السرخسي الحنفي (ت ٤٩٠هـ) "فهذا

تتصيص منه على أنه مال منقوم في حقهم بضمن بالإتلاف عليهم، والمعنى فيه أن الخمر كان مالاً منقوماً في شريعة من كان قبلنا، وكذلك في شريعتنا في الابتداء، ثم إن الشرع أفسد تقومه بخطاب خاص في حق المسلمين حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة المائدة (٩٠-٩١)، فبقي في حق من لم يدخل تحت هذا الخطاب على ما كان من قبل، هذا من حيث الصورة، ومن حيث المعنى أن حرمة العين وفساد التقوم ثبت بخطاب الشرع، وقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون بمكان عقد الذمة فقصر الخطاب عنهم حين لم يعتقدوا الرسالة في المبلغ، وانقطعت ولاية الإلزام بالسيف والمحاكمة لعقد الذمة ويصير في حقهم كأَن الخطاب غير نازل فيبقى الحكم على ما كان.....<sup>(١١٩)</sup>

وأما قياس الخمر والخنزير على الميتة والدم في حق المسلم فقياس مع الفارق فإن أهل الذمة يرون مالية الخمر والخنزير وقد جعلوها عوضاً في هذا العقد بخلاف الميتة والدم. فإن المسلم لا يعتقد ماليتها لحرمتها.

يقول الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) في معرض حديثه عن مسألة جعل الخمر والميسر عوضاً في النكاح بين أهل الذمة ثم ترفعهما إلينا عند الاختلاف أو إسلامهما قبل القبض (... وكون الخمر والخنزير لا قيمة له عندنا لا يمنع من اعتبار قيمته وقت العقد فإنها رضيت بماليتها، وانحصار المالية في هذا الجنس، فإذا فات ما انحصرت فيه المالية بالإسلام صرنا إلى قيمته وقت العقد كما لو عدم ذلك الجنس، ولا محذور في تقويم ذلك لتعيين مقدار الواجب للضرورة كما تقوم الحر عبداً في باب الأرش لتعيين مقدار الواجب، يوضحه أن المسمى حال العقد كان مالاً بالنسبة إليهم، فكان منقوماً بالنسبة إلى هذا العقد والمتعاقدين، وبالإسلام فاتت ماليتها فتعينت قيمته حين العقد....)<sup>(١٢٠)</sup>.

## المبحث السادس

### (كون العوض مستحقاً<sup>(١٢١)</sup> أو معيباً)

إذا كان العوض المبذول من الشفيع مستحقاً لغيره كمال مغصوب، أو كان معيباً فلا يخلو الحال حينئذ من صورتين:

#### الصورة الأولى:

أن يكون الشفيع جاهلاً بذلك، فشفعته باقية حينئذ ويلزمه أن يبذل غيره. وهل ملكه بالطلب الأول والتمن دين عليه، أو يحتاج إلى تملك جديد وجهان عند الفقهاء<sup>(١٢٢)</sup>.

#### الصورة الثانية:

أن يكون عالماً بذلك، وقد اختلف الفقهاء في بقاء شفعته على قولين:

#### القول الأول:

أن شفعته تبطل بذلك وهو وجه عن الشافعية<sup>(١٢٣)</sup> والحنابلة<sup>(١٢٤)</sup>. وعللوا له: بأنه أخذ الشقص بما لا يجوز الأخذ به فتسقط الشفعة كما لو ترك طلبها<sup>(١٢٥)</sup>.

#### القول الثاني:

أن شفعته باقية، وعليه أكثر الشافعية<sup>(١٢٦)</sup> وهو وجه عند الحنابلة<sup>(١٢٧)</sup>. وعللوا له: بأنه قد استحق الشقص وطالب به فلزمه مثل ثمنه في الذمة، فإذا عينه فيما لا يملكه أو فيما لا يصح في البيع فقد سقط التعيين وبقى الاستحقاق في الذمة أشبه ما لو آخر الثمن، أو كما لو اشترى شيئاً آخر ونقد فيه ثمناً مغصوباً<sup>(١٢٨)</sup>.

والقول الثاني أظهر والله تعالى أعلم، لأن حق الشفعة يثبت بالمطالبة وقد وقعت، فإن بان الثمن مستحقاً أو معيباً فعلى الشفيع إبداله وإلا سقط حقه، فالجهة منفكة بين ثبوت الحق، وبين وجود علة في العوض تمنع المشتري من قبوله، ويمهل المدة المتعارف عليها لذلك كما سبق بحثه.

## المبحث السابع

### كون العوض من غير المال

إذا جعل الشريك الشقص مهراً في نكاح، أو عوضاً في خلع، أو بذله في صلح عن دم عمد وما أشبه ذلك فقد اختلف العلماء في استحقاق الشفعة لكون العوض الذي بذل من الشريك حينئذ من غير المال بل هو من المنافع فجرى خلافهم في المسألة هنا وفق خلافهم في أصلها وهو اعتبار المنافع مالا من عدمه. وجاء خلافهم في هذه المسألة على النحو الآتي:

#### القول الأول:

لا شفعة فيما ذكر، وإليه ذهب الحنفية<sup>(١٢٩)</sup>، وهو أصح الوجهين عند الحنابلة<sup>(١٣٠)</sup>.

#### وعللوا له:

- بأنها تكون حينئذ منافع، والمنافع ليست متقومة، يقول عثمان الزيلعي الحنفي (ت ٧٤٢هـ):  
(... لأن الشرع لم يشرع التملك بالشفعة إلا بما تملك به المشتري صورة ومعنى أو معنى بلا صورة ولا يمكن إذا تملك العقار بهذه الأشياء لأنها ليست أموالاً ولا مثل لها حتى يأخذ الشفيع بمثلها)<sup>(١٣١)</sup>.

- قياسها على الموهوب والموروث في عدم استحقاق الشفعة بجامع الملكية من غير مال<sup>(١٣٢)</sup>.

#### القول الثاني:

تثبت الشفعة فيما ذكر، وتؤخذ بقيمة العوض وإليه ذهب الشافعي<sup>(١٣٣)</sup>، وهو وجه عند الحنابلة<sup>(١٣٤)</sup>.

#### وعللوا له:

- بأن تملك الشقص على العوض المذكور من عقود المعاوضة فيقاس على البيع في استحقاق الشفعة<sup>(١٣٥)</sup>.

- أن المنفعة المبذولة هنا لا مثل لها، فيبذل الشفيع قيمتها كسائر غير المثليات<sup>(١٣٦)</sup>.

#### القول الثالث:

تثبت الشفعة فيما ذكر وتؤخذ بقيمة الشقص لا بقيمة العوض وإليه ذهب المالكية<sup>(١٣٧)</sup>.

وعللوا له: بأن العوض هنا لا يمكن تقديره، فوجب المصير إلى قيمة الشقص<sup>(١٣٨)</sup>.

ولأن التقدير بقيمة الشقص يكون أقرب للعدل في بعض الصور. إذ ربما لا يكون أباه محض المعاوضة كجعله مهراً في النكاح حيث أنه يتصل بذلك معنى المواصلة والإكرام للمرأة وهو أمر يعسر تقديره<sup>(١٣٩)</sup>.



والراجع في هذه المسألة، هو ما ذهب إليه الشافعية ومن وافقهم من الحنابلة من ثبوت الشفعة في هذه الصورة وتعين بذل قيمة المنفعة من الشفيع لما ذكر من تعليل، ويقويه أن الصحيح هو اعتبار مالية المنافع ويدل على ذلك أدلة منها:

١- ورود هذا المعنى في السنة ومنه حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه في قصة المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وفيه أنه عليه الصلاة والسلام قال للرجل حين لم يجد شيئاً: هل معك شيء من القرآن؟ قال نعم، فقال ﷺ: زوجتكها بما معك من القرآن<sup>(١٤٠)</sup>. وفيه جواز جعل الصداق منفعة وهي هنا تعليم القرآن وجعلها عوضاً في الصداق دليل على ماليتها<sup>(١٤١)</sup>.

ومثله حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ بعث سرية فنزلوا بحي وفيه (وما أدراك أنها رقية، ثم قال: خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم)<sup>(١٤٢)</sup>. وما في معناهما من النصوص.

٢- أن حصر المالية في الأعيان ليس عليه دليل من كتاب أو سنة، وما كان كذلك فمرده إلى العرف الذي يتواضع عليه الناس والعرف يقضي باعتبار مالية المنافع<sup>(١٤٣)</sup>.

٣- أن القول بعدم اعتبار الشفعة فيما ذكر يفضي إلى إلحاق الضرر بالشفيع ببقاء الشراكة وهو خلاف مقصود الشفعة، فمتى وجدت المعاوضة بين البائع والأجنبي كان من حق الشفيع أن يطالب بالشفعة كما تدل على ذلك القاعدة العامة للشفعة.

٤- أن المخالف أقر بأن المنافع قد تقوم للضرورة ولحاجة الناس ومنع ذلك في حق الشفيع<sup>(١٤٤)</sup> ولا وجه للتفريق فإن الشرع هنا قد راعى حاجة الشفيع لدفع ضرر الشراكة فتلحق بحاجات الناس الأخرى.

## المبحث الثامن عجز الشفيع عن بذل العوض

إذا كان الشفيع عاجزاً عن بذل العوض فهل له أن يطالب بحق الشفعة، اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

### القول الأول:

ليس له أن يأخذ بالشفعة، وبه قال الشافعية<sup>(١٤٥)</sup> والحنابلة<sup>(١٤٦)</sup> وهو قول للحنفية<sup>(١٤٧)</sup>.  
وعللوا له: بأنه إن أخذ بالشفعة ثم لم يقدر على بذل العوض فقد أضر بالمشتري، والضرر لا يزال بالضرر، وذلك كما لو أراد تأخير ثمن حال فلا يلزم المشتري قبوله<sup>(١٤٨)</sup>.

**القول الثاني:** له ذلك ويحبس حتى يبذل العوض.. وهو القول الآخر عند الحنفية<sup>(١٤٩)</sup>.  
وعللوا له: بأن التملك طريقه المطالبة، فإن استحق الشفعة واستقرت له طوالب العوض<sup>(١٥٠)</sup>.  
والقول الأول أظهر لقوة تعليله، فإن طالب الشفيع بالشفعة ثم عجز عن الوفاء أمهل يومين أو ثلاثة أو ما يراه الحاكم كما تقدم<sup>(١٥١)</sup>.

فإن لم يبذل العوض فإن للمشتري الفسخ من دون افتقار إلى حكم حاكم على الصحيح، لأن الأخذ بالشفعة لا يقف على حكم حاكم فلا يقف فسخ الأخذ بها عليه<sup>(١٥٢)</sup>.  
وإن أحضر الشفيع ضمينا، أو رهناً، أو عوضاً عن الثمن لم يلزم المشتري قبوله، لأن ما استحق أخذه بالعوض لم يلزم قبول الرهن والضمين والعوض فيه كالمبيع في يد البائع<sup>(١٥٣)</sup>.

## المبحث التاسع الاختلاف في العوض

قد يقع الاختلاف بين الشفيع والمشتري في قدر العوض، أو في تقدير قيمة العرض المبذول من المشتري، أو في صفة العوض، أو جنسه، وسنعرض لذلك في أربع مسائل:

المسألة الأولى: الاختلاف في قدر العوض.

وذلك كأن يقول المشتري أنه اشتراه بمائة مثلاً ويقول الشفيع بل بخمسين فلا يخلو الأمر حينئذ من ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يكون مع أحدهما بيعة، فيحكم له بها باتفاق الفقهاء<sup>(١٥٤)</sup>.

الحال الثانية: أن يأتي كل واحد منهما ببيعة، وقد اختلف الفقهاء في أيها تقدم على ثلاثة أقوال:

القول الأول: تقدم بيعة الشفيع، وبه قال أبو حنيفة<sup>(١٥٥)</sup> والحنابلة<sup>(١٥٦)</sup> وعللوا له:

- بأنه مدعي، وبيعة المدعي مقدمة<sup>(١٥٧)</sup>.

- وبأن بيعة الخارج تقدم على بيعة الداخل<sup>(١٥٨)</sup>.

القول الثاني:

تقدم بيعة المشتري، وهو وجه عند الشافعية<sup>(١٥٩)</sup> وبه قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن من الحنفية<sup>(١٦٠)</sup>.

وعللوا له: بأنها ثبتت زيادة، والبيعة المثبتة للزيادة أولى<sup>(١٦١)</sup>.

القول الثالث:

أنهما تتساقطان وهو قول للمالكية<sup>(١٦٢)</sup> وأصح القولين عند الشافعية<sup>(١٦٣)</sup> وقول للحنابلة<sup>(١٦٤)</sup>. وعللوا له:

بأن النزاع قد وقع على ما وقع العقد به وهو العوض ولا دلالة للبيد عليه، ولا مزية لإحدى البيعتين على الأخرى<sup>(١٦٥)</sup>.

وعند هؤلاء إما أن يرجع الأمر إلى الأصل من أن القول المعتبر هو قول المشتري مع يمينه، وقال به بعض المالكية<sup>(١٦٦)</sup>.

أو أن يقرع بينهما لأن بينتهما قد تعارضتا وأعملتا، وإعمالهما يقتضى المصير إلى الاقتراع، وبه قال بعض الحنابلة<sup>(١٦٧)</sup>.

ولعل القول الأول أقرب للرجحان لأعضاده بالأصل وهو لزوم البينة على المدعي كما في قصة الأشعث بن قيس رضي الله عنه، وفيه: كان بيني وبين رجل أرض باليمن، فخاصمته إلى النبي ﷺ فقال (هل لك بينة) فقلت لا، قال (فيمينه) قلت: إذن يحلف فقال رسول الله ﷺ عند ذلك (من حلف على يمين صبر، يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان) فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ آل عمران ٧٧<sup>(١٦٨)</sup>. وفي ذلك ما يدل على تقديم بينته على بينة المدعى عليه. ولأن في ذلك موافقة للمقصود الشرعي من الشفعة وهي مراعاة مصلحة الشفيع برفع ضرر الشراكة عنه.

### الحال الثالثة:

أن لا يكون مع أي واحد منهما بينة.

وقد اختلف الفقهاء فيما يقدم من قوليهما على قولين:

**القول الأول:** القول قول المشتري، وبه قال الجمهور فهو مذهب الحنفية<sup>(١٦٩)</sup> والمالكية<sup>(١٧٠)</sup> والشافعية<sup>(١٧١)</sup>، والحنابلة<sup>(١٧٢)</sup>.

وهل يلزمه اليمين؟ قال به الحنفية<sup>(١٧٣)</sup> وبعض المالكية<sup>(١٧٤)</sup>.

ونص جماعة من فقهاء المالكية والشافعية أن قول المشتري مقدم على قول الشفيع إذ كان قوله مما يقبله الحس، أما إذ كان بعيدا فلا يقدم<sup>(١٧٥)</sup>.

وعلل أصحاب هذا القول لمذهبهم بما يلي:

- بأن المشتري هو العاقد فهو أعرف بالثمن من غيره<sup>(١٧٦)</sup>.
- أن الشقص في ملكه فلا ينزع من يده بالدعوى بغير بينة<sup>(١٧٧)</sup>.
- أن المشتري منكر للزيادة، ولا بينة فيصير إلى قوله مع يمينه<sup>(١٧٨)</sup>.

### القول الثاني:

أن القول هو قول الشفيع وبه قال بعض التابعين<sup>(١٧٩)</sup>.

وعللو له بأن المشتري قد أقر له بحق الشفعة وادعى عليه مقدارا من الثمن لم يعترف له به، فهو منكر فالقول على هذا قول الشفيع مع يمينه<sup>(١٨٠)</sup>.

والقول الأول أظهر، والحال أن الشفيع طالب أخذ، والمشتري مطلوب مأخوذ منه فهو مدعى عليه فالقول قوله مع يمينه قال ابن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠هـ): (فإن قيل بأن الشفيع غارم

ومنكر للزيادة فلماذا لا يصار إلى قوله قياساً على الغاصب والمتلف والضامن لنصيب شريكه إذا اعتق؟ فيجاب عليه بأن الشفيع ليس بغارم لأنه لا شيء عليه وإنما يريد أن يملك الشفيع بثمنه بخلاف الغاصب والمتلف<sup>(١٨١)</sup>.

### المسألة الثانية : الاختلاف في تقدير قيمة العوض.

إن كان العوض المبذول من المشتري عرضاً فقد سبق أن الشفيع يبذل له مثله إن كان مثلياً أو قيمته.. فإن اختلفا في قيمة العرض فإنه يعرض على من يقومه من أهل الشأن إن كان موجوداً فإن لم يكن موجوداً فالقول قول المشتري عند الأئمة الأربعة، واشترط مالك يمينه<sup>(١٨٢)</sup>. وعللوا لذلك بأن الشفيع ملك للمشتري فلا ينزع منه بقول المدعي. ومحل ذلك إن لم يكن لدى الشفيع بينة<sup>(١٨٣)</sup>.

### المسألة الثالثة : الاختلاف في صفة العوض.

وذلك بأن يقول المشتري اشترت بثمن معجل، ويقول الشفيع بل اشترت بثمن مؤجل، ولا بينة، فالقول في هذه الحالة هو قول المشتري، نص على ذلك الحنفية<sup>(١٨٤)</sup> وهو مقتضى قول المالكية والشافعية والحنابلة في المسألة الأولى<sup>(١٨٥)</sup>.

وعللوا له:

- بأن الحلول في الثمن أصل، والأجل عارض، فالمشتري متمسك بالأصل فيكون القول قوله.
- ولأن العاقد أعرف بصفة الثمن من غيره.
- وبأن الأجل يثبت بالشرط، فالشفيع يدعى عليه شرط التأجيل وهو ينكر الزيادة فكان القول قوله<sup>(١٨٦)</sup>.

### المسألة الرابعة : الاختلاف في جنس العوض

وذلك كما لو قال المشتري اشترت بمائة دينار، وقال الشفيع بل بمائة درهم ولا بينة، فالقول هنا قول المشتري، ونص على ذلك الحنفية<sup>(١٨٧)</sup>.

وعللوا له:

- بأن الشفيع يدعي التملك بهذا الجنس والمشتري منكر فكان القول قوله.
- وبأن المشتري أعرف بجنس الثمن من الشفيع لأن الشراء وجد منه لا من الشفيع فكان أعرف به من الشفيع فيرجع في معرفة الجنس إليه.

## الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

ففي نهاية هذه الجولة العلمية الموجزة مع أحكام العوض في الشفعة فيمكن إيجاز أهم نتائج هذا البحث فيما يلي:

**أولاً: الشفعة هي:** استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقلة عنه من يد من انتقلت إليه بعوض مالي، وقد ثبتت مشروعيتها بالسنة النبوية، وانعقد الإجماع على ذلك، والمقصود الأعظم منها رفع ما يلحق الشريك من ضرر بسبب الشراكة سواءً كان هذا الضرر هو ما ينشأ عن القسمة التي يستوجبها دخول الطرف الأخير، أو كان الضرر هو ما يكون بدوام الشراكة أصلاً وعدم الانفراد بالملك.

**ثانياً:** ذكر الفقهاء للشفعة شروطاً عديدة أصولها ثلاثة شروط هي:

١- أن يكون المبيع من غير المنقولات، هو العقار، وما يلتحق به من بناء أو غراس.

٢- أن يكون الملك مشاعاً غير مقسوم بين الشركاء، على أن يكون مما يمكن قسمته.

٣- أن يكون الشقص منتقلاً بعوض.

**ثالثاً:** أن العوض إن كان مثلياً فقد وجب بذل مثله من الشفيع، أما إن كان غير مثلي فإن الشفيع يستحق الشقص حينئذ بقيمته ولا تسقط الشفعة.

**رابعاً:** أن الوقت المعتبر لقيمة العوض هو وقت البيع وليس وقت الحكم للشفيع بالشفعة.

**خامساً:** أن الشفيع يأخذ الشقص بما استقر عليه الثمن ابتداءً إن لم يكن ثمة خيار، فإن كان بينهما زمن خيار فبانتقائه. وأن الحط أو الزيادة اللاحقة لا تعتبر في حق الشفيع.

**سادساً:** أن الشفيع ليس له تأجيل بدل الثمن إذا كان المشتري قد اشترى الشقص بثمن حال. فإن تأخر في بذل العوض أمهل ما يقضي به العرف في المبيعات. وإلا سقط حقه، فإن كان المشتري قد أخذ الشقص بثمن مؤجل فإن للشفيع على الصحيح أن يأخذ بذلك الأجل إذا كان ثقة مليئاً أو أقام ضميناً مليئاً.

**سابعاً:** إذا كان العوض المبدول من المشتري الذمي للشريك الذمي خمرًا أو خنزيراً فإن الشفيع المسلم يبذل قيمة الخمر أو الخنزير وليس له أن يبذل مثلهما، لأنه يتعذر عليه تملكهما شرعاً، ولا يسقط حقه في الشفعة لأنها مال عند أهل الذمة.

**ثامناً:** إذا ظهر أن العوض كان مملوكاً لغير الشفيع أو كان به عيبٌ قاذح فالصحيح بقاء شفيعته حتى وإن كان عالماً بحال العوض.

تاسعاً: إذا كان الشريك قد جعل الشقص مهراً في نكاح أو عوضاً في خلع أو نحو ذلك فإن الشفعة تثبت للشفيع وعليه أن يبذل القيمة المقدرة عادة لهذا العوض الذي تحصل عليه الشريك على الصحيح.

عاشراً: إذا عجز الشفيع عن بذل العوض في الشفعة فيسقط حقه فيها على الصحيح مراعاة لمصلحة الشريك.

الحادي عشر: إذا اختلف الشفيع والمشتري في قدر العوض حكم لمن معه بينة منهما. فإن أحضر كل منهما بينة فتقدم بينة الشفيع على الصحيح، وإن لم يكن مع أي واحد منها بينة فالقول قول المشتري مع يمينه على الصحيح إذا لم يعارض الحس، وأما إن اختلفا في تقدير قيمة العوض فيعرض على من يقومه من أهل الخبرة إن وجد. فإن لم يوجد فالقول قول المشتري. وكذلك يقدم قول المشتري عند الاختلاف في صفة العوض أو في جنسه.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل وأن يبارك فيه وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## الهوامش

- (١) انظر: الصحاح (شفع) ٣/ ١٠٢٩، والنهاية ٢/ ٢٤٨، لسان العرب (شفع) ٨/ ١٨٤ والزاهر ١٦١، والمطلع ٢٧٨.
- (٢) انظر تحرير أفاض التنبيه ٢١٢، والعزیز ٥/ ٤٨٢.
- (٣) انظر لسان العرب (شفع) ٨/ ١٨٤، والحاوي ٩/ ٢.
- (٤) انظر الحاوي ٩/ ٢.
- (٥) وهو التعريف الذي اختاره الزركشي من الحنابلة، انظر الإنصاف ١٥/ ٣٥٩ وقد عرّفت الشفعة بتعريفات عديدة، فمن تعريفات الحنفية لها قولهم (هي تملك البقعة جبراً على المشتري بما قام عليه) وقولهم (هي حق التملك في العقار لدفع ضرر الجوار)، ومن تعريفات المالكية قولهم (هي استحقاق شريك أخذ مبيع شريكه بثمنه)، ومن تعريفات الشافعية قولهم (حق تملك قهري يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض)، انظر تبيين الحقائق ٦/ ٢٤٩، وحاشية سعدي جلبي بهامش شرح فتح القدير ٩/ ٣٦٩ وشرح حدود ابن عرفة ٢/ ٤٧٤، ومغني المحتاج ٢/ ٢٩٦، وانظر أنيس الفقهاء ٢٧١، والدر النقي ٣/ ٥٢٨.
- (٦) صحيح البخاري، كتاب الشفعة، باب الشفعة في ما لم يقسم، حديث رقم (٢١٢٨) ٢/ ٧٨٧.
- (٧) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الشفعة، في ما لم يقسم، حديث رقم (١٦٠٨) ٣/ ٩٩٥.
- والربعة: المنزل ودار الإقامة، انظر النهاية ٢/ ١٨٩.
- والحائط: البستان، انظر القاموس المحيط مادة (حوط) ٨٥٦.
- (٨) المغني ٧/ ٤٣٦ قال ابن قدامه: (ولا نعلم أحداً خالف في هذا إلا الأصم فإنه قال: لا تثبت الشفعة، لأن في ذلك إضراراً بأرباب الأملاك، فإن المشتري إذا علم أنه يؤخذ منه إذا ابتاعه لم يبتعه ويتقاعد الشريك عن الشراء فيستضر المالك، وهذا ليس بشيء لمخالفته الآثار الثابتة والإجماع المنعقد قبله، والجواب عما ذكره من وجهين، أحدهما، أنا نشاهد الشركاء يبيعون ولا يعدم من يشتري منهم من غير شركائهم ولم يمنعهما استحقاق الشفعة من الشراء، الثاني: أنه يمكنه إذا لحقته بذلك مشقة أن يقاسم فيسقط استحقاق الشفعة)، وانظر البيان ٧/ ٩٩.
- (٩) انظر بدائع الصنائع ٥/ ٤، وتكملة شرح فتح القدير ٩/ ٢٩٦.
- (١٠) انظر المغني ٢/ ٢٦٨.
- (١١) إعلام الموقعين ٣/ ٣٧١.
- (١٢) انظر بدائع الصنائع ٥/ ١٢، واللباب ٢/ ١٠٩.
- (١٣) انظر المهذب ٣/ ٤٤٦، وروضة الطالبين ٤/ ١٥٥.
- (١٤) انظر المغني ٧/ ٤٣٩، وكشاف القناع ٤/ ١٣٨.
- (١٥) انظر الموطأ ٢/ ٧١٩، والاستذكار ٢١/ ٢٦٣، وذكر ابن عبد البر أنه لم يخالف في ذلك إلا بعض أهل مكة في قول شاذ حيث قالوا بأن الشفعة تقع في كل مشاع من منقول وغيره.
- (١٦) سبق تخريجه.
- (١٧) انظر بدائع الصنائع ٥/ ١٢، والمغني ٧/ ٤٣٩ - ٤٤٠.
- وفي الحديث جواب على من احتج بعموم الشفعة في كل ما لم يقسم فإن فيه النص على العقار تحديداً، وفي التعليل جواب على الاعتراض بوجود الضرر في المنقول أيضاً بعدم اعتباره لأن المنقولات لا تدوم كما يدوم العقار فضرر الشراكة فيها أخف فلا يبنى عليه.
- (١٨) انظر المدونة ٤/ ٢١٤، وبداية المجتهد ٢/ ٢٥٦.
- (١٩) انظر المهذب ٣/ ٤٤٧، ومغني المحتاج ٢/ ٢٩٧.
- (٢٠) انظر المغني ٧/ ٤٣٦، وكشاف القناع ٤/ ١٣٨.



- (٢١) انظر بدائع الصنائع ٤/٥، وحاشية ابن عابدين ٣٢٢/٩. وفيهما عرض لأدلة الحنفية في المسألة.
- (٢٢) سبق تخريجه.
- (٢٣) انظر بداية المجتهد ٢٥٦/٢، والمغني ٤٣٨/٧.
- وانظر في الجواب على أدلة الحنفية بداية المجتهد ٢٥٧/٢، والبيان ١٠٢/٧، وكشاف القناع ٤/١٢٨.
- (٢٤) انظر إعلام الموقعين ٣/٣٩٢.
- (٢٥) انظر المذهب ٤٤٨/٣، وروضة الطالبين ٤/١٥٧.
- (٢٦) انظر الاستذكار ٢١/٢٦٥-٣٠٧، والموطأ ٢/٧١٨.
- (٢٧) انظر المغني ٤٤١/٧، والإنصاف ١٥/٣٧٦، وهي أصح الروايتين في المذهب.
- (٢٨) سبق تخريجه.
- (٢٩) انظر المعونة ٢/١٢٨١.
- (٣٠) انظر المذهب ٤٤٨/٣، والمغني ٤٤٢/٧.
- (٣١) انظر اللباب ٢/١٠٩، وبدائع الصنائع ٥/١٢.
- (٣٢) انظر المعونة ٢/١٢٨١، والتاج والإكليل ٥/٣١٥.
- (٣٣) انظر المغني ٤٤١/٧، والإنصاف ١٥/٣٧٧.
- (٣٤) سبق تخريجه.
- (٣٥) انظر اللباب ٢/١٠٩.
- (٣٦) انظر المرجع السابق، والمعونة ٢/١٢٨١، والمغني ٤٤١/٧.
- (٣٧) انظر المغني ٤٤١/٧.
- (٣٨) انظر بدائع الصنائع ٥/١١، واللباب ٢/١١٤.
- (٣٩) انظر المذهب ٣/٤٤٩، وروضة الطالبين ٤/١٦٣.
- (٤٠) انظر المغني ٧/٤٤٤، وكشاف القناع ٤/١٣٧.
- (٤١) انظر التفرغ ٢/٣٠٠، وبداية المجتهد ٢/٢٥٨، والرواية الأخرى عند مالك أن الشفعة تكون فيما انتقل بعوض و بغير عوض إلا الميراث فليس فيه شفعة.
- (٤٢) انظر المغني ٧/٤٤٤.
- (٤٣) انظر بدائع الصنائع ٥/١١، وتكملة شرح فتح القدير ٩/٤٠٥.
- (٤٤) انظر الفتاوى الهندية ٥/٢٣٩، والذخيرة ٧/٢٢٢، ومختصر المزني ١٦٥، ومغني المحتاج ٢/٣٠١، والمغني ٧/٤٨٠.
- (٤٥) انظر المراجع السابقة، والحاوي ٩/١٥، وكشاف القناع ٤/١٥٩، والإنصاف ١٥/٤٨٩ مطبوع مع المقنع.
- (٤٦) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده، من طريق الحجاج بن أرطاه عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: (أيما قوم كانت بينهم رباة أو دار فأراد أحدهم أن يبيع نصيبه فليعرضه على شركائه فإن أخذوه فهم أحق به بالثمن)، انظر الفتح الرباني ١٥/١٥٢، وهو ضعيف بهذا اللفظ، انظر إرواء الغليل ٥/٣٧٤، وأصله في صحيح مسلم بدون قوله (بالثمن) انظر صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الشفعة، حديث رقم (١٣٤) ٢/٩٩٦، وانظر في الاستدلال به المغني ٧/٤٧٩، وكشاف القناع ٤/١٥٩.
- (٤٧) انظر مغني المحتاج ٢/٣٠١.
- (٤٨) انظر المغني ٧/٤٨٠.
- (٤٩) انظر المراجع السابقة في العوض المثلي.
- (٥٠) انظر البيان ٧/١٢٦، والمغني ٧/٤٨٠.

- (٥١) انظر المذهب ٤٥٥/٣.
- (٥٢) انظر المغني ٧ / ٤٨٠.
- (٥٣) انظر المرجع السابق ٧ / ٤٨٠.
- (٥٤) المرجع السابق ٧ / ٤٨٠.
- (٥٥) فيه قال ابن حزم. انظر المحلى ٢٢/٨.
- (٥٦) انظر بدائع الصنائع ٥/٢٧، وتكملة شرح فتح القدير ٩/٣٩٤.
- (٥٧) انظر البيان ٧/١١٧، والعزيز ٥/٥٠٨.
- (٥٨) انظر الإنصاف ١٥/٤٧٩، وكشاف القناع ٤/١٥٩.
- (٥٩) انظر المدونة ٤/٢٣٢، والمعونة ٢/١٢٨٠.
- (٦٠) سبق تخريجه.
- (٦١) انظر المغني ٧/٤٨١.
- (٦٢) انظر الشرح الكبير ٩/٤٨٠.
- (٦٣) انظر البيان للعمراني ٧/١٢٧، والمغني لابن قدامة ٧/٤٨١، ولم أجد في مظانه من كتب المالكية.
- (٦٤) انظر المغني ٧/٤٨١.
- (٦٥) انظر البيان ٧/١٢٧.
- (٦٦) انظر البيان ٧/١٢٠، الروضة ٤/١٧٣.
- (٦٧) انظر المغني ٧/٤٨١، وكشاف القناع ٤/١٦٠.
- (٦٨) انظر الحاوي ٩/٧٩، والمغني ٧/٤٨١.
- (٦٩) انظر البيان ٧/١١٩، والروضة ٤/١٧٣، والمغني ٤/١٦٠، والشرح الكبير ١٥/٤٨٣.
- (٧٠) انظر الهداية ٣/٣٥٧، والدر المختار ٦٢٢، واللباب ٢/١١٥.
- (٧١) انظر تبين الحقائق ٢/٨١١، وتكملة شرح فتح القدير ٩/٣٩٤.
- (٧٢) انظر تكملة شرح فتح القدير ٩/٣٩٤، ودرر الحكام ٢/٨١١.
- (٧٣) انظر مختصر خليل ٢٣٢، ومواهب الجليل ٥/٣٣١، والذخيرة ٧/٣٥٤.
- (٧٤) انظر مواهب الجليل ٥/٣٣١.
- (٧٥) انظر المرجع السابق، وذكر فيه أنه مذهب المدونة، وأشار إلى أن في المذهب قولاً آخر بلزوم الزيادة، وانظر الذخيرة ٧/٣٥٤.
- (٧٦) انظر البيان ٧/١٢٠.
- (٧٧) انظر روضة الطالبين ٤ / ١٧١.
- (٧٨) نقله عنه ابن قدامة ٧/٤٨٤ ولم أجد في مظانه.
- (٧٩) وهي رواية حرب عن أحمد انظر المغني ٧/٤٨٤، والإنصاف ١٥/٤٨٠.
- (٨٠) انظر بدائع الصنائع ٥/٢٥.
- (٨١) انظر بدائع الصنائع ٥/٢٥.
- (٨٢) انظر روضة الطالبين ٤/١٧١، ومغني المحتاج ٢/٣٠١.
- (٨٣) انظر التفریح ٢/٣٠٢، ومواهب الجليل ٥/٣٢٧.
- (٨٤) انظر الإنصاف ١٥/٤٨٠.
- (٨٥) انظر التنبیه ٢٢٩، ومغني المحتاج ٢/٣٠١.
- (٨٦) البيان ٧/١١٩.

- (٨٧) انظر بدائع الصنائع ٢٥/٥، وشرح العناية، بهامش شرح فتح القدير ٢٨٧/٩.
- (٨٨) انظر البيان ١١٩/٧، والمغني ٤٨٤/٧، ومغني المحتاج ٣٠١/٢.
- (٨٩) انظر المغني ٤٨٤/٧، والبيان ١١٩/٧.
- (٩٠) انظر الذخيرة ٣٤١/٧، وبداية المجتهد ٢٥٩/٢.
- (٩١) انظر المغني ٤٨٢/٧، والإنصاف ٤٨٤/١٥.
- (٩٢) انظر المهذب ٤٥٣/٣، وروضة الطالبين ١٧٢/٤.
- (٩٣) انظر شرح فتح القدير ٣٩٥/٩.
- (٩٤) انظر المغني ٤٨٢/٧، والمهذب ٤٥٣/٣.
- (٩٥) انظر المغني ٤٨٢/٧.
- (٩٦) انظر الذخيرة ٣٤١/٧.
- (٩٧) انظر الهداية ٣٥٨/٣، وتبيين الحقائق ٣٦٩/٦.
- (٩٨) انظر روضة الطالبين ١٧١/٤، والمهذب ٤٥٣/٣، قال النووي وهو الأظهر.
- (٩٩) انظر المهذب ٤٥٤/٣، والمغني ٤٨٢/٧.
- (١٠٠) انظر المهذب ٣٠٤٥٤، ومغني المحتاج ٣٠١/٢.
- (١٠١) انظر تبيين الحقائق ٣٦٩/٦، وشرح فتح القدير ٣٩٥/٩.
- (١٠٢) انظر شرح فتح القدير ٣٩٥/٩.
- (١٠٣) ذكر العمراني أن الشافعي قال به في كتاب الشروط، انظر البيان ١٢٣/٧، والمهذب ٤٥٣/٣.
- (١٠٤) انظر المهذب ٤٥٣/٣.
- (١٠٥) انظر الذخيرة ٣٤١/٧.
- (١٠٦) انظر بدائع الصنائع ١٦/٥، وحاشية ابن عابدين ٢٣٩/٩.
- (١٠٧) انظر مواهب الجليل ٣١٦/٥، وعند المالكية قول آخر نسبة الحطاب إلى أشهب أنه يأخذ الشفعة بقيمة الشقص نفسه لا الخنزير أو الخمر.
- (١٠٨) انظر الإنصاف ٤٨٨/١٥.
- (١٠٩) انظر تبيين الحقائق ٣٧١/٦، وبدائع الصنائع ١٦/٥.
- (١١٠) انظر مواهب الجليل ٣١٦/٥.
- (١١١) انظر حاشية ابن عابدين ٣٣٩/٩.
- (١١٢) انظر مختصر المزني ١٦٦، البيان ١١١/٧.
- (١١٣) انظر المغني ٥٢٥/٧، والإنصاف ٤٨٨/١٥، وهو أظهر الوجهين عند الحنابلة.
- (١١٤) انظر الحاوي ٩٧/٩، وكشاف القناع ١٣٧/٤.
- (١١٥) انظر البيان ١١١/٧.
- (١١٦) انظر الحاوي ٩٧/٩.
- (١١٧) أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال ٥٢/١.
- (١١٨) انظر المرجع السابق ٥٢/١.
- (١١٩) انظر المبسوط ١٠٢/١١.
- (١٢٠) أحكام أهل الذمة ٤٠٠/١، وانظر أيضا منه ٦٤/١.
- (١٢١) يقال استحق فلان العين فهي مستحقة إذا ثبت أنها حقه، وعرفه بعض الفقهاء بأنه «رفع ملك شيء بثبوت ملك قبله بغير عوض» انظر المطلع ٢٧٥، ومواهب الجليل ٢٩٥/٥.

- (١٢٢) انظر العزيز ٥١٨/٥، والشرح الكبير ٤١٩/١٥.
- (١٢٣) انظر العزيز ٥١٨/٥، ومغني المحتاج ٣٠٣/٢.
- (١٢٤) انظر المغني ٤٥٩/٨، والشرح الكبير ٤١٩/١٥.
- (١٢٥) انظر العزيز ٥١٨/٥، والشرح الكبير ٤١٩/١٥.
- (١٢٦) انظر العزيز ٥١٨/٥، ومغني المحتاج ٣٠٣/٢.
- (١٢٧) انظر الشرح الكبير ٤١٩/١٥.
- (١٢٨) انظر الشرح الكبير ٤١٩/١٥، والعزيز ٥١٨/٥.
- (١٢٩) انظر بدائع الصنائع ١٢/٥، وتبيين الحقائق ٣٧٧/٦.
- (١٣٠) انظر الإنصاف ٣٦٥/١٥، وكشاف القناع ١٣٧/٤.
- (١٣١) تبين الحقائق ٣٧٧/٦، وانظر بدائع الصنائع ١٢/٥.
- (١٣٢) انظر الشرح الكبير ٣٦٧/١٥.
- (١٣٣) انظر البيان ١٢٩/٧، وروضة الطالبين ١٦٣/٤.
- (١٣٤) انظر الإنصاف ٣٦٦/١٥.
- (١٣٥) انظر المهذب ٤٤٩/٣.
- (١٣٦) انظر البيان ١٢٩/٧، والمهذب ٤٤٩/٣.
- (١٣٧) انظر المدونة ٢٤٧/٤، وبداية المجتهد ٢٥٩/٢.
- (١٣٨) انظر بداية المجتهد ٢٥٩/٢.
- (١٣٩) انظر المعونة ١٢٧٢/٢.
- (١٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، حديث رقم (٤٨٢٩) ١٩٦٨/٥، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قران، حديث رقم (١٤٢٥) ٨٤٤/٢.
- (١٤١) انظر الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ٢٩٨/٨.
- (١٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية، حديث رقم (٢١٥٦)، ٧٩٥/٢، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، حديث رقم (٢٢٠١)، ١٢٧٨/٤، واللفظ لمسلم.
- (١٤٣) انظر معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء ٢٩٤.
- (١٤٤) انظر بدائع الصنائع ١٢/٥، والمبسوط ٧٩/١١، والأخير تضمن بسطاً لمذهب الحنفية ومخالفهم في المسألة يحسن مطالعته.
- (١٤٥) انظر المهذب ٤٥٢/٣، والبيان ١١٩/٧.
- (١٤٦) انظر المغني ٤٨٤/٧، وكشاف القناع ١٥٩/٤.
- (١٤٧) انظر بدائع الصنائع ٢٤/٥، وحاشية ابن عابدين ٣٢٢/٩، وهي رواية الحسن عن أبي حنيفة وعن محمد بن الحسن.
- (١٤٨) انظر المهذب ٤٥٢/٣، والشرح الكبير ٤٧٩/١٥.
- (١٤٩) انظر بدائع الصنائع ٢٥/٥، وحاشية ابن عابدين ٣٢٢/٩، وهي ظاهر رواية الأصل.
- (١٥٠) انظر المراجع السابقة وتكملة شرح فتح القدير ٢٨٧/٩، وهذا التعليل مفهوم من عباراتهم لا بنصها.
- (١٥١) انظر المبحث الرابع.
- (١٥٢) انظر كشاف القناع ١٥٩/٤.

- (١٥٣) انظر المهذب ٤٥٢/٢، والشرح الكبير ٤٧٩/١٥، ومثل ذلك الضمانات البنكية المختلفة، والشيكات المؤجلة ونحوها.
- (١٥٤) انظر الهداية ٣٥٦/٢، وتبيين الحقائق ٣٦٥/٦، والمعونة ١٢٨٢/٢، بداية المجتهد ٢٦٤/٢، روضة الطالبين ١٧٩/٤، مغني المحتاج ٣٠٤/٢، والمغني ٤٩٠/٧، الإنصاف ٤٨٨/١٥. وقد نص الفقهاء على أن البيعة التي تقبل هنا شاهدان رجلان، أو شاهد ويمين، أو شهادة رجل وامرأتين، انظر المغني ٤٩٠/٧، والبيان ١٧١/٧، والظاهر أنه يلتحق بذلك كل وثيقة معتبرة اليوم كصكوك الشراء ونحوها فإن تضمنت قدر العوض كانت كافية في قطع النزاع.
- (١٥٥) انظر تبيين الحقائق ٣٦٥/٦، والفتاوى الهندية ٢٣٠/٥.
- (١٥٦) انظر الإنصاف ٤٨٩/١٥، والشرح الكبير ٤٩٠/١٥.
- (١٥٧) انظر درر الحكام ٨١٢/٢، والفتاوى الهندية ٢٣٠/٥.
- (١٥٨) انظر المغني ٤٨٩/٧، ولعل مقصودهم بالخارج من ليس طرفاً في العقد، وهو هنا الشفيع.
- (١٥٩) انظر روضة الطالبين ١٨٠/٤، ومغني المحتاج ٣٠٤/٢.
- (١٦٠) انظر تبيين الحقائق ٣٦٥/٦، والفتاوى الهندية ٢٣٠/٥.
- (١٦١) انظر المرجعين السابقين.
- (١٦٢) انظر بداية المجتهد ٢٦٥/٢.
- (١٦٣) انظر روضة الطالبين ١٨٠/٤.
- (١٦٤) انظر الإنصاف ٤٨٩/١٥.
- (١٦٥) انظر البيان ١٧١/٧، وروضة الطالبين ١٨٠/٤.
- (١٦٦) انظر المعونة ١٢٨٢/٢، وبداية المجتهد ٢٦٤/٢.
- (١٧٠) انظر المغني ٤٨٩/٧، والإنصاف ٤٨٩/١٥.
- (١٧١) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، حديث رقم (٢٢٢٩) ٨٢١/٢، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار حديث رقم (١٢٨) ١١٣/١، والحديث من رواية ابن مسعود رضی اللہ عنہ، واللفظ لمسلم. وصَبَّرَ بفتح الصاد وسكون الباء قال في النهاية ٨/٢: حديث (( من حلف على يمين صبر )) أي ألزم بها وحبس عليها، وكانت لازمة لصاحبها من جهة الحكم.
- (١٧٢) انظر الهداية ٣٥٦/٢، وتبيين الحقائق ٣٦٥/٦.
- (١٧٣) انظر المعونة ١٢٨٢/٢، وبداية المجتهد ٢٦٤/٢.
- (١٧٤) انظر مختصر المزني ١٦٣، البيان ١٧١/٧.
- (١٧٥) انظر المغني ٤٨٩/٧، والإنصاف ٤٨٨/١٥.
- (١٧٦) انظر تبيين الحقائق ٣٦٥/٦، ودرر الحكام ٨١٢/٢.
- (١٧٧) انظر المعونة ١٢٨٢/٢، وبداية المجتهد ٦٤٢/٢.
- (١٧٨) انظر بداية المجتهد ٦٤٢/٢، ومغني المحتاج ٣٠٤/٢.
- (١٧٩) انظر المغني ٤٨٩/٧، وكشاف القناع ١٦٠/٤.
- (١٨٠) انظر المهذب ٤٦٩/٣، والمغني ٤٨٩/٧.
- (١٨١) انظر تبيين الحقائق ٣٦٥/٦، وبداية المجتهد ٢٦٤/٢.
- (١٨٢) انظر الاستذكار، ٢٦٩/٢١، وبداية المجتهد ٢٦٤/٢، ولم يسميا من ذهب إليه من التابعين.
- (١٨٣) انظر المرجعين السابقين.

- (١٨٤) المغني ٤٨٩/٧.
- (١٨٥) انظر تبين الحقائق ٣٦٥/٦، ودرر الحكام ٨١٢/٢، والبيان ١٧٣/٧، وروضة الطالبين ١٧٩/٤، والمغني ٤٩٠/٧، والشرح الكبير ٤٩١/١٥، والاستذكار ٢٦٨/٢١.
- (١٨٦) انظر المهذب ٤٦٩/٣، الاستذكار ٢٦٨/٢١.
- (١٨٧) انظر بدائع الصنائع ٣١/٥، والفتاوى الهندية ٢٣٤/٥.
- (١٨٨) ولعلم لم ينصوا على هذه المسألة بعينها اكتفاء بمسألة الاختلاف في المقدار لأن هذه المسألة تؤول إليها.
- (١٨٩) انظر بدائع الصنائع ٣١/٥.
- (١٩٠) انظر بدائع الصنائع ٣١/٥، والفتاوى الهندية ٢٣٠/٥، ويقال هنا ما قيل في المسألة السابقة من أن مقتضى قول بقية أئمة المذاهب في المسألة الأولى أن يقدم قول المشتري كذلك هنا فإن هذه المسألة تؤول إلى مسألة المقدار باعتبار الجنس الذي يزعمه الشفيع أقل في العادة مما يدعيه المشتري ولم أجد النص عليها بعينها في كتبهم.

### فهرس المصادر والمراجع

- ١- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) تحقيق صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- ٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- ٣- الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة بدمشق ودار الوعي بالقاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٤- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، عمر بن علي الشافعي (ابن الملقن)، تحقيق عبدالعزيز المشيخ، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، تحقيق مشهور آل سليمان، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٦- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية ط٢، ١٤٠١هـ.
- ٧- الإنصاف في معرفة الرّاجح من الخلاف، مطبوع مع المقنع والشرح الكبير، علي بن سليمان المرادوي، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٨- أنيس الفقهاء، قاسم القنوي، تحقيق: أحمد الكبيسي. دار الوفاء، جدّة، ط١، ١٤٠٦ هـ.
- ٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- ١٠- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمّد بن رشد القرطبي. دار المعرفة. بيروت، ط٢، ١٤٠٥ هـ.
- ١١- البيان، يحيى بن سالم العمراني. تحقيق: قاسم النوري. دار المنهاج.
- ١٢- التاج والإكليل لمختصر خليل- بهامش مواهب الجليل، محمد بن يوسف (المواق)، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- ١٣- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي الزليعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٤- تحرير ألفاظ التنبيه، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر. دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- ١٥- التنزيح، عبيد الله بن الحسين بن الجلاب، تحقيق: حسين الدهماني. دار الغرب الإسلامي. ط١، ١٤٠٨ هـ.
- ١٦- التنبيه في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٧- حاشية ابن عابدين، محمد أمين، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

- ١٨- حاشية سعدي جليبي - بهامش شرح فتح القدير، دار الفكر، ط٢.
- ١٩- الحاوي، علي بن محمد الماوردى، تحقيق د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٢٠- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، محمد علي الحصكفي، تحقيق عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٢١- درر الحكام شرح مجلة الأحكام، علي حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٢- الدر النقي في شرح أفضاء الخرقى، يوسف بن عبد الهادي الحنبلي، إعداد رضوان غربية. دار المجتمع، جدة. ط١، ١٤١١هـ.
- ٢٣- الذخيرة، أحمد بن إدريس القرأفي، تحقيق محمد أبو خبزة، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٤م.
- ٢٤- روضة الطالبين، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٥- الزاهر في غرائب أفضاء الإمام الشافعي، أبو منصور الأزهرى، تحقيق: مسعد السعدني. دار الطلائع، القاهرة.
- ٢٦- شرح حدود ابن عرفة، محمد الأنصاري الرصاع، تحقيق محمد أبو الأجنان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.
- ٢٧- شرح العناية على الهداية، محمد بن محمود البايريقي، مطبوع بهامش شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ط٢.
- ٢٨- شرح فتح القدير، محمد عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، ط٢.
- ٢٩- الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مطبوع مع المقنع والإنصاف، دار هجر، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٣٠- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط١، ١٤١٩هـ.
- ٣١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا. دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ.
- ٣٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري. دار ابن حزم، ومكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٣٣- العزيز شرح الوجيز، عبد الكريم الرافي الشافعي. تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- ٣٤- الفتاوى الهندية، الشيخ نظام، ضبطها عبد اللطيف حسن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٣٥- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد البناء، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٦- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، عالم الكتب، بيروت.
- ٣٧- اللباب في شرح الكتاب، عبدالغني دمشقي، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق محمود النواوي.
- ٣٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور. دار صادر، بيروت.
- ٣٩- المبسوط، شمس الدين السرخسي. دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ٤٠- المحلى، علي بن حزم الأندلسي، تحقيق عبدالغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٤١- مختصر خليل، خليل بن إسحاق المالكي. دار الفكر. ط١، ١٤٠١هـ.
- ٤٢- مختصر المزني، إسماعيل بن يحيى المزني، تحقيق: محمد شاهين. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٤٣- المدونة، مالك بن أنس، تصحيح أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ٤٤- المطلع على أبواب المقنع، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي. المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٨٥هـ.
- ٤٥- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، د. نزيه حماد، الدار العالمية، للفكر الإسلامي، ط٣، ١٤١٥.
- ٤٦- المعونة على مذهب عالم المدينة، عبد الوهاب البغدادي، تحقيق: د. حميش عبد الحق. مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٤٧- المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: عبدالله التركي و د. عبدالفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ.

- ٤٨- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، محمد الشرييني الخطيب، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٧ هـ.
- ٤٩- المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق: محمد الزحيلي. دار القلم، دمشق. الدار الشامية، بيروت. ط١، ١٤١٧ هـ.
- ٥٠- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، محمد بن محمد المغربي. دار الفكر. ط٢، ١٣٩٨ هـ.
- ٥١- الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ٥٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، مبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- ٥٣- الهداية شرح بداية المبتدى، علي بن أبي بكر المرغيناني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١ هـ.





# اللغة العربية وأدابها





# سورة القمر - دراسة أسلوبية

د. عبد الحميد أحمد يوسف هندأوي

أستاذ مشارك

كلية التربية والآداب - تربة - جامعة الطائف



## الملخص

يتناول البحث سورة القمر بالدراسة الأسلوبية التي يرجى من خلالها الكشف عن أسرار النظم القرآني في جوانبه الدلالية المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية، ملتزماً الأسس التالية:

- ١- تحديد الغرض العام للنص أو فكرته الأساسية.
- ٢- تقسيم النص إلى وحدات أو فقرات تشمل كل فقرة على فكرة أساسية تتلاحم فيما بينها لتشكل من خلال وحدتها الموضوعية موضوع النص وغرضه العام.
- ٣- تغطية كافة المستويات اللغوية الدلالية بالوقوف على أبرز مظاهر التطابق بين الفكرة والوسائل التعبيرية على كل من:
  - أ- المستوى المعجمي: وينظر فيه إلى الدلالة المعجمية للكلمة ومدى مناسبتها للسياق والمقام الذي وردت فيه.
  - ب- المستوى الصوتي: وينظر فيه إلى التركيب الصوتي للكلمة وسماتها الصوتية، ومدى مناسبة ذلك للسياق والمقام الذي وردت فيه.
  - ج- المستوى الصرفي: ينظر فيه إلى الصياغة الصرفية للكلمة من حيث كونها اسماً أو فعلاً أو حرفاً، ومن حيث أقسام كل من الاسم والفعل ومدى مناسبة كل لسياقه ومقامه كذلك.
  - د- المستوى النحوي (التركيبية): وينظر فيه إلى الإسناد والتراكيب والأساليب من حيث المباحث البلاغية المختلفة ومناسبتها لسياقها ومقامها.
- ٤- يتم التحليل على أساس النظر في الإجراءات الأسلوبية من جهة الاختيار والعدول والتكرار ومدى مطابقتها ذلك كله للمعاني والأفكار الواردة بالنص.



ثمة مزاعم لا أساس لها من الصحة أن القرآن الكريم لم يعد مجالاً للدراسات الفنية أو البلاغية بحجة أن القرآن الكريم قد توفّر عليه المفسرون القدماء والمحدثون وألوه عناية فائقة لاسيما بلاغته ومعانيه وأساليبه، وقد كثرت الدراسات البلاغية في ذلك وتعددت بما لا يدع مجالاً للزيادة عليها.

ونحن نشكك في هذه المقولة - بل نرفضها رفضاً قاطعاً - وهذا الرفض ليس عن هوى وعاطفة للقرآن الكريم بقدر ما هو نتيجة استقراء تام للدراسات البلاغية القديمة وما أسهمت به في الكشف عن جماليات النص القرآني.

ورغم تلك الجهود الجلييلة في الدراسات البلاغية للقرآن الكريم؛ فإننا نستطيع أن نقرر - رغم ذلك - أن البلاغة العربية - لا سيما الجانب النظري منها - قد ظلمت الكلمة المفردة من جهة النظر البلاغي إلى حد كبير، وليس المقصود أن نصف الكلمة المفردة بالفصاحة أو البلاغة خارج سياقها؛ فهذا أمر مفروغ منه؛ فالكلمة خارج السياق لا توصف بفصاحة ولا بلاغة؛ وإنما المقصود هو الوقوف بالدراسة المتأنية أمام الطاقات الدلالية لهذه الكلمة داخل سياقها من كافة النواحي والمستويات (الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والمقامية..) والأمر الذي نقرره لا يحتاج في إثباته إلا أن ننظر نظرة سريعة إلى مباحث علوم البلاغة الثلاثة ومقدمتها الفصاحة.

وإذا ما استثنينا الفصاحة التي اعتبرها البلاغيون بمثابة المقدمة السريعة للبلاغة، وليس علماً مستقلاً بذاته<sup>(١)</sup> - حيث تخصص صفحات معدودة لدراسة الكلمة المفردة - فلا نكاد نجد في العلوم الثلاثة ما يستدرك النقص الذي أشرنا إليه. فمباحث علم المعاني كلها تتعلق بالإسناد والتركيب.

ومباحث علم البيان وإن كان بها نظر إلى الدلالة المعجمية للكلمة واستعمالها من جهة الحقيقة والمجاز؛ فإنها قد اقتصررت على مباحث البيان المعروفة المعدودة (التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز)

أما الوقوف لاستجلاء ظلال الكلمة وإحياءاتها إذا لم تكن تشبيهاً ولا استعارة ولا كناية ولا مجازاً فلا تكاد تظفر فيه بشيء.

وعلم البديع قد يقف عند بعض السمات الصوتية كالسجع والجناس ونحو ذلك، غير أن استجلاء السمات الصوتية للكلمة لا يقف بالضرورة من الناحية الأسلوبية عند حدود مباحث علم البديع على كثرتها.

وغني عن البيان أن نقرر أن دراسات البلاغيين القدامى وإن لم تكن باتساع الدراسة الأسلوبية في تحليل الكلمة والكلام فإنها لم تكن تضيق عن دراسة تلك المستويات جميعا حيث لم تكن الدراسة حينئذ تفرق بين ما هو أصوات وما هو صرف أو معجم أو نحو أو دلالة أو بيان.. فهذه الدراسات كانت تتوأكب جميعها وتتلاحم في عمل الناقد أو البلاغي وتصدر عن رؤية واحدة، ونظرة واحدة إلى اللغة في التحليل للنصوص وهي استجلاء طاقاتها الكامنة على جميع المستويات اللغوية المعروفة.

كما أننا نقرر كذلك أن الدراسات التطبيقية في كتب المفسرين للقرآن الكريم وشرح الحديث النبوي، قد استدركت كثيرا مما فات البلاغيين التنظيريين في ذلك؛ وإن كانت لا تقدم في ذلك بطبيعة الحال ما يصلح أن يمثل نظرية متكاملة.

والآن، وقد استتارت الدراسات البلاغية الحديثة بتلك الرؤى الأسلوبية المعاصرة - التي تستجلي جميع بنى النص ومفرداته على كافة المستويات اللغوية - رأيت أن من الضروري أن أستجلي بعض معطيات النص القرآني الكريم في سورة "القمر" في كافة المستويات اللغوية التي سبق الإشارة إليها.

وقد قام منهج الدراسة الأسلوبية<sup>(٢)</sup> لهذا البحث على الأسس التالية:

- ١- تحديد الغرض العام للنص أو فكرته الأساسية.
- ٢- تقسيم النص إلى وحدات أو فقر تشتمل كل فقرة على فكرة أساسية، وتتلاحم هذه الأفكار فيما بينها لتشكل من خلال وحدتها الموضوعية موضوع النص وغرضه العام.
- ٣- تحليل الوسائل التعبيرية الموظفة في النص للتعبير عن أفكاره وذلك على مستوى المفردات والتراكيب لبيان مدى اتفاقها ومناسبتها للفكرة المعبرة عنها.
- ٤- تغطية كافة المستويات اللغوية الدلالية بالوقوف على أبرز مظاهر التطابق بين الفكرة والوسائل التعبيرية على كل من:

أ- **المستوى المعجمي**: وينظر فيه إلى الدلالة المعجمية للكلمة ومدى مناسبتها للسياق والمقام الذي وردت فيه، ويدخل في ذلك النظر إلى دلالة هذه الكلمة من حيث الحقيقة والمجاز لتشمل مباحث علم البيان المعروفة من حيث التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، كما يدخل في ذلك كثير من مباحث علم البديع التي تتأسس أو تنفرع على الدلالة المعجمية كالتطابق والمقابلة والتورية والأسلوب الحكيم والمذهب الكلامي ونحو ذلك.



ب- **المستوى الصوتي**: وينظر فيه إلى التركيب الصوتي للكلمة وسماتها الصوتية من حيث ما تتسم به حروفها من الترفيق أو التفتيح أو الهمس أو الجهر أو الانفتاح أو الإطباق أو الصفير أو التكرارية أو القلقة أو الاستعلاء أو تجانس الحروف وتناغمها، أو تراكيها وتعاضلها ونحو ذلك، ومدى مناسبة ذلك للسياق والمقام الذي وردت فيه، ويدخل في ذلك الإفادة من بعض ما ذكره البلاغيون في مبحث الفصاحة من خلال نظرة أسلوبية وبلاغية معاصرة، كما يدخل في ذلك بعض مباحث علم البديع التي تتأسس أو تنفرع على التشكيل الصوتي للكلمة كالجناس أو السجع بأنواعهما.

ج- **المستوى الصرفي**: ينظر فيه إلى الصياغة الصرفية للكلمة من حيث كونها اسماً أو فعلاً أو حرفاً، ومن حيث أقسام الاسم إلى اسم فاعل أو مفعول أو صيغة مبالغة أو مشتق من المشتقات أو اسم مرة أو هيئة أو مصدر من المصادر أو غير ذلك، ومن حيث أقسام الفعل إلى ماض ومضارع وأمر وأفعال مطاوعة وصيغ المجرد والمزيد بأوزانها المختلفة وغير ذلك، ويستفاد في بعض ذلك مما ذكره البلاغيون والمفسرون من مباحث الإسناد من التفرقة بين دلالاتي كل من الاسم والفعل ونحو ذلك.

د- **المستوى النحوي (التركيب)**: وينظر فيه إلى الإسناد والتراكيب والأساليب من حيث مباحث علم المعاني المختلفة وتنوع الأساليب من حيث الخبرية والإنشائية، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل، ونحو ذلك وما يعرض للتركيب الإسنادي من حيث التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتكثير، ونحو ذلك.

٥- يتم التحليل على أساس النظر في الإجراءات الأسلوبية من جهة:

أ- اختيار وسائل تعبيرية معينة.

ب- العدول عن وسيلة تعبيرية إلى وسيلة أخرى.

ج- التكرار الأسلوبى لوسيلة تعبيرية على مدار النص.

وقد تم النظر من جهة البحث في مدى تطابق ذلك الاختيار أو العدول أو التكرار ومناسبته لأغراض النص وأفكاره.

٦- بيان أهم السمات الأسلوبية لهذه السورة الكريمة وذلك في خاتمة البحث.

**المقصد العام والمقاصد الأساسية:**

نستطيع أن نحدد المقصد العام لهذه السورة من خلال القراءة الأولى لآياتها حيث تدور جميع هذه الآيات حول مقصد واحد هو:

### قضية الإيمان بالله تعالى وإثبات النبوة والبعث:

ويتكون هذا المقصد من عدد من المقاصد الفرعية التي تتلاحم فيما بينها في نسيج واحد للدلالة على هذا المقصد العظيم.  
وذلك حيث تبدأ السورة بـ

#### ١- تقرير البعث والجزاء وتأكيده:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ ⑤ ﴾ .

#### ٢ - ترهيب المكذبين بالبعث:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ⑥ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ⑦ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑧ ﴾ .

#### ٣- بيان حال المكذبين من الأمم السابقة وسوء عاقبتهم:

##### أ - تكذيب قوم نوح:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ⑨ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ⑩ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنَمَّرٍ ⑪ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرُ ⑬ تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ⑮ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايِ وَنُذِرٍ ⑯ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ⑰ ﴾ .

##### ب - تكذيب عاد:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايِ وَنُذِرٍ ⑱ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ⑲ تَنَزَّعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْفَعِرٍ ⑲ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايِ وَنُذِرٍ ⑲ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ⑲ ﴾ .

## ج - تكذيب ثمود:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبِيِّنَا إِنَّا إِذًا لَنَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرِ ﴿٢٤﴾ أَلَيْسَ الَّذِكْرُ عَلَيْهِ مِنُ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْآسِرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مَرْسِلُوا الْتَاقَةَ فَنِنَّهُ لَهُمْ فَاذْقَهُمْ وَأَصْطِرِ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبُنَا فَعَاظِنَا فَعَمَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

## د - تكذيب قوم لوط:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَبْنَاهُمْ بَكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

## هـ - تكذيب قوم فرعون:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

## ٤- ترهيب الكافرين وتخويفهم بعاقبة المكذبين من قبلهم:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ أَكْفَارُهُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّيْكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَأْيِهِ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سِيَاهُ الْجَمْعِ وَيُؤَلِّقُونَ الذُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾

## ٥ - تفسير البعث وترهيب المكذبين به:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسَبَّحُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

## ٦- ترغيب وتبشير المؤمنين بالبعث المتقين لربهم:

وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾﴾

## التحليل الأسلوبي للسورة:

إذا نظرنا إلى مقاصد هذه السورة وجدنا أن جميع آياتها يدور حول مقصد واحد هو:

قضية الإيمان بالله تعالى وإثبات النبوة والبعث:

ويتكون هذا المقصد من عدد من المقاصد الفرعية التي تتلاحم فيما بينها في نسيج واحد

للدلالة على هذا المقصد العظيم.

وذلك حيث تبدأ السورة بـ

## المقصد الأول: تقرير البعث والجزاء وتأكيده:

وذلك في قوله تعالى:

﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا  
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾  
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرَ ﴿٥﴾﴾

حيث يؤكد الله تعالى أن الساعة التي يكذب بها هؤلاء الكافرون ويستبعدونها هي جد قريبة:

حيث ظهرت إحدى آياتها الدالة عليها، وهي انشقاق القمر شقين، وانفلاقه فلقتين في صورة

مادية واضحة للعيان، لا ينكرها إلا البهت والعميان.

ورغم ذلك فهؤلاء الكافرون معرضون جاحدون لأدلة الإيمان وبراهينه الساطعة.

وهذا هو شأنهم وديدنهم وطبيعتهم التي دأبوا عليها من الجحود والعناد والاستكبار ﴿وَإِنْ

يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾. وتكذيبهم وعنادهم هذا ليس عن أدلة وبراهين تعارض

ما جاء به الرسل؛ وإنما هو اتباع لأهوائهم الزائفة عن الحق والمعرضة عنه؛ وذلك رغم وضوح

الحق واستقرار أمره، ورغم ما جاءهم من الأنباء الزاجرة بأحوال المكذبين من قبلهم وما حلَّ

بهم من العذاب والنكال في حكمة بالغة مؤثرة، ولكن ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون؟

أي: ﴿فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرَ ﴿٥﴾﴾ مع هؤلاء الكفرة<sup>(١)</sup>.

## التحليل الأسلوبي للوسائل التعبيرية المعبرة عن هذا المقصد:

يظهر التوظيف الأسلوبي للغة على كافة مستوياتها لتتضافر الدلالات اللغوية المختلفة في

مناسبة هذا المقصد:

## ١- على المستوى المعجمي:

نجد توظيف الكلمات ذات الدلالة المعجمية المتناغمة مع المقصد السابق كما في الكلمات: (اَقْتَرَبْتُ): اختيار الفعل (اقترب) دون نظائره في هذا السياق جاء مناسباً لمقابلة استبعادهم هذا اليوم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَيْنَاهُ كَقَرِينٍ﴾<sup>(٤)</sup> مما يوحي بدنو وقت الساعة التي يكذب بها الكافرون.

(السَّاعَةُ): اختار التعبير بالساعة دون غيرها من أسماء القيامة الكثيرة، ودون التعبير باليوم مثلاً؛ وذلك لتقريب زمانها؛ والإيحاء بسرعة أمرها، خلافاً لما يعتقده المكذبون من استبعاد زمانها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّتَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾<sup>(٦)</sup> ومن ثم تظهر النكتة بين التعبير على لسان الكافر المستبعد لها باليوم في قوله تعالى ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٧)</sup>. حيث عبر عن استبطاء زمان وقوعها بأمر منها:

١- السؤال الذي جاء للاستبعاد والتهكم.

٢- لفظ (أَيَّانَ) للدلالة على استبعاد الزمان، مع ما فيه من دلالة المد.

٣- لفظ (يوم) الذي يناسب طول الزمان واستبعاده دون لفظ (الساعة).

٤- لفظ (القيامة) الذي يدل على القيام بعد الرقود مما يناسب دلالة الاستبطاء والاستبعاد.

ومن ثم يظهر الإعجاز الأسلوبي للقرآن في اختيار لفظ (يوم القيامة) في الكلام على لسان المكذبين المستبعدين له، واختيار لفظ (الساعة) لبيان سرعة البعث في جواب المستبعدين له المستبطين إياه.

(انْشَقَّ الْقَمَرُ): اختيار الفعل (انشق) - بما له من دلالة حسية بصرية واضحة للعيان - جاء مناسباً للدلالة على وضوح هذه الآية البينة<sup>(٨)</sup>.

كما أن التعبير بالقمر بما له من دلالة بصرية واضحة كذلك، وجعله مناط المعجزة لهو أقوى دليل على وضوح هذه الآية.

وأرى - والله أعلم - أن اختيار القمر مناطاً لهذه المعجزة دون الشمس إنما هو لكونه أمكن في الرؤية من الشمس لإمكان النظر إليه والتحديق فيه مع أمن الأذى للبصر دون أن يرتد البصر خاسئاً وهو حسير، وأيضاً "فإن العرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح"<sup>(٩)</sup>.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ لا اختيار التعبير بـ (إن) الشرطية تفيد وقوع الإعراض منهم بمجرد حصول أدنى رؤية للآيات دون تحقق منهم واستبانة فثمة تلازم بين الرؤية والإعراض.

كما أن التعبير بالآية يدل على أنها علامة ظاهرة ودليل واضح على الحق، ومع ذلك فهم معرضون عن هذه الآيات.

كما أن التعبير بالإعراض يدل على مدى النفور والكرهية للحق والتولي عنه. " والإعراض عن الشيء: الصدُّ عنه"<sup>(١٠)</sup>.

﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾: ادعائهم في القرآن بأنه سحر يتناسب مع ما يدعونه فيه من الكذب والتمويه.

"السَّحْرُ: الأخذة التي تأخذ العين حتى تظن أن الأمر كما يرى"<sup>(١١)</sup>، كما أنه يتناسب بلا وعي منهم مع التعبير عن أثر هذا القرآن في نفوسهم، وأنه يفعل فيها فعل السحر من حيث كونها مأخوذة بأسر بيانه وإعجاز.

"وللعرب في السحر خيال واسع وهو أنهم يزعمون أن السحر يقلب الأعيان ويقلب القلوب ويطوع المسحور للساحر ولذلك كانوا يقولون إن الغول ساحرة الجن ولذلك تتشكل للرائي بأشكال مختلفة"<sup>(١٢)</sup>

ويناسب ذلك وصف هذا السحر بأنه مستمر؛ إما من الاستمرار لبيان دوام أثره وعدم انقطاعه؛ لأن السحر يكون دوامه بدوام أثره؛ فإذا انتهى أثره بطل عمله وانقطع فعله، قال أبو حيان: "ويقولوا: (سحر مستمر): أي دائم، ومنه قول الشاعر:

الأإنما الدنيا ليال وأعصر  
وليس على شيء قويم بمستمر

لما رأوا الآيات متوالية لا تنقطع، قالوا ذلك<sup>(١٣)</sup> وأما من المرّة أي القوّة كما في قوله تعالى في وصف جبريل عليه السلام: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾<sup>(١٤)</sup> أي ذو قوة؛ فوصفوا هذا السحر بأنه سحر متمكن قوي فلا يسهل حله أو إبطاله<sup>(١٥)</sup>، وهذا أيضا يفيد دوامه واستمراره، ومن ثم ترجح اختيار هذه الكلمة على نظائرها لهذا السياق نحو (قوي، أو شديد) ونحوهما؛ وذلك لأن هذه الكلمة جمعت في معناها بين معنى القوة ودوام الأثر وغيرها من المعاني<sup>(١٦)</sup>.

﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾: أتبع وصفهم بالتكذيب الوصف بأنهم قد اتبعوا أهواءهم بيانا لعلّة هذا التكذيب، وأنه ليس عن برهان أو دليل معارض؛ ولكن لمجرد الهوى.

وعبر بـ(اتبعوا أهواءهم) ليصورهم في صورة الأسير الذليل المنقاد للهوى المستسلم له دون بصيرة أو رويّة، وهي صورة فنية رائعة (استعارة مكنية) تجعل الهوى قائدا لهم وهم منقادون له في ذلّة وصغار، كم أنها (كناية) كذلك عن وصفهم بالعمى والبهيمية والاستسلام والانقياد الأعمى لرغباتهم وأهوائهم.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾: اختار التعبير بـ(مُسْتَقَرٌّ) للدلالة على ثبات الأمر ووضوحه فليس في الأمر اضطراب يدعو للشك أو القلق والتردد؛ بل (كُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ) أمر الإيمان بما يشتمل عليه من الحقائق الثابتة المستقرة، وأمر الكفر بما يشتمل عليه من الكذب والبهتان المستقر بطلانه وضلاله كذلك<sup>(١٧)</sup>.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: أتى باللام وقد للتوكيد والتحقيق. وعبر بالأنباء دون الأخبار؛ إما للإشارة إلى ورودها بطريق النبوة؛ فهي أكثر وثوقاً، وإما لعظمتها وعلو شأنها لاشتقاق النبأ من "النبيء: الطريق الواضح، والمكان المرتفع"<sup>(١٨)</sup>

وعبر بـ(مُزْدَجَرٌ) لأن الزجر أدل على معنى الصرف لأنه يأتي بمعنى حسي هو الطرد والمنع الزجر: طَرُدٌ بَصَوْتٌ ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّرْدِ تَارَةً وَفِي الصَّوْتِ أُخْرَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَالزَّجْرُ زَجْرًا﴾ أي الملائكة التي تزجر السحاب أي تسوقه سَوْقًا وهو مجاز. وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي طَرُدٌ وَمَنْعٌ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَأْثِمِ.<sup>(١٩)</sup>

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتُدْرُ﴾: وصف آيات الذكر التي جاءتهم بتلك الأنباء بأنها (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ) أي بالغة إلى القلوب مؤثرة في النفوس، فهي من البلوغ، ومنه اشتقت البلاغة فليل "رجل بليغ، وبليغ، وبليغ: حسن الكلام فصيح، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه."<sup>(٢٠)</sup> وعبر بالندُر لأنها من التُّدَارَة، وهي التخويف؛ ومن ثم فهي أنسب لزجرهم<sup>(٢١)</sup>.

### ١ - على المستوى الصوتي:

نلاحظ تناغم الحروف والحركات والكلمات وتلاؤمها وتناسبها فيما بينها دون تنافر أو ثقل في النطق، وهذا عام في السورة كلها فلا نحتاج لإعادته في كل موضع.

كما نلاحظ كذلك مجيء جميع الآيات على فاصلة واحدة، هي الراء، وهذا أيضا عام في السورة كلها، وسوف نقف لتحليله وتعليل تكرر الفاصلة الراءية في السورة كلها في خاتمة البحث في حديثنا عن السمات الأسلوبية في هذه السورة.

أما على مستوى اللفظة المفردة فنجد إيماءات صوتية، وإيحاءات فنية تتناغم مع الدلالات المعجمية للكلمات كما في الكلمات:

(اقتربت - الساعة - انشق - سحر - مستمر)

حيث نلمح في قلقلة القاف الساكنة في (اقتربت) إيحاء بشيء يتقلقل ويقترب شيئا فشيئا، كما نلمح هذا الاقتراب كذلك في الانتقال من أقصى الحلق حيث مخرج القاف إلى مقدمة الفم

حيث مخرج الباء الشفوية، ومخرج التاء الأسنانية. ويتناسب ذلك كله مع الإيحاء باقتراب أمر الساعة؛ فهي جد قريبة كقرب الانتقال بين هذين المخرجين؛ وإن كان أحدهما أول المجال والآخر آخره؛ ولذا صورت هذه السورة هذا القرب بأنه كلمح البصر أو هو أقرب.

كما نلمح هذا التقريب لأمر الساعة بالتعبير عنه بلفظ (الساعة) دون غيره وهو يتناغم صوتياً كذلك مع دلالاته المعجمية للإيحاء بالقرب؛ حيث تستشعر ذلك في خفة حروف الكلمة وقتلتها وما توحى به دلالة الهمس في السين من الخفاء واللفظ.

كما نحس بصوت الشق وأثره في كلمة (انشق) في حري في الشين والقاف اللذين يتركب الشق منهما، تستشعر ذلك عند النطق بالشين بما فيها من التفشي والتشويش الذي تكاد تسمع فيه صوت شيء ينهال أو يشقق.

كما نستشعر ذلك الصوت بصورة أقوى أثراً وحساً في صوت القاف المشددة أي المكررة التي تشعرك بتكرار ذلك التشقق وتسمعك صوته بصورة مفخمة منبعثة من سمة التضخيم في هذا الحرف. وفي كلمة (سحر) نستشعر الدلالة على ما في هذا السحر من لطف وخفاء في هذا الهمس وتلك الرقة في حري في السين والحاء المرققين بتأثير الكسر في السين والسكون في الحاء؛ إضافة إلى خفاء الحاء المنبعث من بعد مخرجها في أقصى الحلق، بما يشعر بخفاء هذا السحر وبعد أثره وقوته، ولذا أتبعوه بهذا الوصف (مستمر) بما يشتمل عليه من الدلالة على دوامه وبعد أثره وقوته الذي يدل عليه زيادة المبنى في هذه الكلمة.

## ٢ - على المستوى الصريفي:

نجد جمال التوظيف الفني للصيغ الصرفية المختلفة لتحقيق التناسب التام بين هذه الصيغ والمعاني التي تعبر الآيات عنها.

نجد ذلك على سبيل المثال في صيغ الكلمات التالية: (اقتربت - انشق - مستمر - أهواءهم - مستقر - الأنباء - مزدجر - النذر) حيث جاء الفعل (اقتربت) على وزن (افتعل) دالاً على المبالغة في الاقتراب: قال ابن الأثير: "لا شك أن افتعل أبلغ من فعل".

ويزيد من قوة الفعل كونه فعلاً ماضياً يفيد التحقيق مما يدل على شدة اقتراب الساعة. كما نلمح في الفعل (انشق) انفعاله واستجابته ومطاوعته لأمر الله ولذا اختير من أفعال المطاوعة، حيث تقول: (شقّه فانشق) وهذا أدل على كون ذلك آية من آيات الله، لا تكون إلا بأمره وتقديره وتسخيره للشيء بقوله كن فيكون.



نلاحظ كذلك توظيف صيغ الجمع إما للدلالة على الكثرة كما في (الأنباء) حيث دلّ الجمع على كثرة تلك الأنباء عن أحوال المكذبين قبلهم رجاء اتعاضهم وارتداعهم ؛ وإما للدلالة على التنوع كما في جمع (الأهواء) للدلالة على تعدد تلك الأهواء وتنوعها في صدهم عن الإيمان بالبعث وبما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم.

" وجمع الأهواء دون أن يقول واتبعوا الهوى كما قال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ (الأنعام: ١١٦)، حيث إن الهوى اسم جنس يصدق بالواحد والمتعدد، فعدل عن الإفراد إلى الجمع لمزاوجة ضمير الجمع المضاف إليه، وللإشارة إلى أن لهم أصنافاً متعددة من الأهواء: من حب الرئاسة، ومن حسد المؤمنين على ما آتاهم الله، ومن حب اتباع ملة آبائهم، ومن محبة أصنامهم، وإلْفِ لعوائدهم، وحفاظ على أنفتهم" (٢٣).

نلاحظ كذلك استخدام اسم الفاعل من الأفعال السداسية استثماراً لزيادة المبنى في الدلالة على زيادة المعنى ؛ وذلك كما في: (مستقر - مستمر) للدلالة على قوة الحق وتمكن استقراره في الأول، وقوة السحر المدعى وتمكنه في الثاني.

" والمزدرج: مصدر ميمي، وهو مصاغ بصيغة اسم المفعول الذي فعله زائد على ثلاثة أحرف. ازدجره بمعنى زجره، ومادة الافتعال فيه للمبالغة. والدال بدل من تاء الافتعال التي تبدل بعد الزاي" (٢٤).

### ٣- على المستوى النحوي (التركيبى):

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أسند الاقتراب إلى الساعة نفسها لا إلى زمانها مبالغة في إثبات القرب لها، وعطف على اقتراب الساعة انشقاق القمر، وهو آية من آيات اقترابها، فكأنه من باب ذكر الشيء مشفوعاً بدليله وبرهانه.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (٢٥) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ (٢٥): أي من شأنهم وحالتهم أنهم متى رأوا ما يدل على صدق الرسول الله ﷺ من الآيات الباهرة أعرضوا عن الإيمان به وبتلك الآية.

وجاءت الجملة شرطية ليدل على أنهم في الاستقبال على مثل حالهم في الماضي (٢٦).. ومقابلة ذلك بهذا فيه شبه احتباك كأنه قيل: وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر، وقد رأوا الآيات وأعرضوا وقالوا: سحر مستمر، وكذبوا واتبعوا أهوائهم وسيكذبون ويتبعون أهواءهم.

وَعَطَفَ (واتبعوا أهواءهم) عطفُ العلة على المعلول لأن تكذبيهم لا دافع لهم إليه إلا اتباع ما تهواه أنفسهم من بقاء حالهم على ما ألفوه وعهدوه واشتهر دوامه. (٢٧)

"والتنكير في الآية للتعظيم أي إن يروا آية قوية أو عظيمة يعرضوا" (٢٨).

وقوله تعالى: ﴿وَكَلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ هذا تذييل للكلام السابق من قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ (القمر: ٢، ٣)، فهو اعتراض بين جملة (وكذبوا) وجملة ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ (القمر: ٤)، والواو اعتراضية وهو جار مجرى المثل (٢٩).

"وقوله تعالى: ﴿وَكَلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ استئناف مسوق للرد على الكفار في تكذبيهم ببيان أنه لا فائدة لهم فيه ولا يمنع علو شأنه ﷻ، أو لإقناعتهم عما علقوا به أمانيتهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (القمر: ٢) ببيان ثبوته ورسوخه أي وكل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبي ﷺ فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه، وللإشارة إلى ظهور هذه الغاية لأمره عليه الصلاة والسلام لم يصرح بالمستقر عليه" (٣٠)

"أي كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها، وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق، أو باطل وسيظهر لهم عاقبته. أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر، أي: سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصره في الدنيا، وشقاوة أو سعادة في الآخرة" (٣١)

"و(كل) على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف، كأنه قال: وكل أمر مستقر في أم الكتاب كائن".

"ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة، المعنى: اقتربت الساعة وكل أمر مستقر، أي اقترب استقرار الأمور يوم القيامة." (٣٢)

والمراد بالاستقرار الذي في قوله: (مستقر) الاستقرار في الدنيا.

وفي هذا تعريض بالإيماء إيماء إلى أن أمر دعوة محمد ﷺ سيرسخ ويستقر بعد تقلقه. (٣٣)

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ ﴿٤﴾ ﴿حِكْمَةٌ بَلِيغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأَنْدُرُ﴾

عطف على جملة ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (القمر: ٣) أي جاءهم في القرآن من أنباء الأمم ما فيه مردجر لهؤلاء، أو أريد بالأنباء الحجج الواردة في القرآن، أي جاءهم ما هو أشد في الحجة من انشقاق القمر. و (من الأنباء) بيان ما فيه مردجر قدم على المبين و (من) بيانية.. وجعل الازدجار مظروفاً فيه مجازاً للمبالغة في ملازمته له على طريقة التجريد كتقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) أي هو أسوة. (٣٤)

ومجيء هذه الجملة فعلية ماضية مؤكدة باللام وقد، معطوفة على جمليتي: (كذبوا واتبعوا أهواءهم) تظهر مفارقة واضحة بين ما هم عليه من التكذيب واتباع الأهواء وما تقتضيه تلك الأنبياء الزاجرة والحكمة البالغة من الاتعاظ والتذكر.

"و(حكمة بالغة) بدل من (مَا)، أي جاءهم حكمةً بالغة... وفرع عليه قوله: ﴿فَمَا تَعْنِ الْأَنْذُرُ﴾ أي جاءهم ما فيه مزدجر فلم يُغن ذلك، أي لم يحصل فيه الإقلاع عن ضلالهم. و(ما) تحتل النفي، أي لا تغني عنهم النذر بعد ذلك. وهذا تمهيد لقوله: ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ (القم: ٦)، فالمضارع (تغني) للحال والاستقبال، أي ما هي مغنية، ويفيد بالفحوى أن تلك الأنبياء لم تغن عنهم فيما مضى بطريق الأخرى...

ويحتمل أن تكون (مَا) استفهامية للإنكار، أي ماذا تقيد النذر في أمثالهم المكابرين المصريين، أي لا غناء لهم في تلك الأنبياء، ف (ما) على هذا في محل نصب على المفعول المطلق ل (تغن)، وحذف ما أضيفت إليه (ما). والتقدير: فأى غناء تغني النذر.<sup>(٣٥)</sup> وفي الآية أيضا حذف مفعول الفعل (تغني) لدلالة العموم على القول بأنها نافية، أي فما تغني شيئاً.

### المقصد الثاني: ترهيب المكذابين بالبعث:

وذلك في قوله تعالى:

﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

في الآيات السابقة: جاء قوله تعالى: (فما تغني النذر) تمهيدا للأمر بالتولي والإعراض عنهم في هذه الآيات، بعدما ثبت من حالهم أنهم لا ينتفعون بالآيات والنذر والحكم البالغة؛ فلم يبق إلا تخويفهم وتهديدهم بسوء العاقبة التي تنتظرهم جزاء تكذيبهم بالبعث؛ ومن ثم راحت الآيات تصف لهم بعض مشاهد البعث، وتصور لهم حالهم في هذا اليوم الفظيع وما ينتظرهم فيه من الأهوال.

### التحليل الأسلوبي للوسائل التعبيرية المعبرة عن هذا المقصد:

يظهر التوظيف الأسلوبي للغة على كافة مستوياتها لتتضافر الدلالات اللغوية المختلفة في مناسبة هذا المقصد:

#### ١- على المستوى المعجمي:

نجد توظيف الكلمات ذات الدلالة المعجمية المتناغمة مع المقصد السابق كما في الكلمات: (نُكْرٍ - خُشَعًا - الْأَجْدَاثِ - مُهْطِعِينَ - عَسِرٌ).

فكلمة (نكر) صفة نادرة تأتي للتعبير عن الشيء الفطيع المستنكر الذي لا مثيل له "قال الخليل: النكر نعت للأمر الشديد، والوجل الداھية، أي تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله، وهو يوم القيامة".

#### قال مالك بن عوف النضري:

أقدم محاج أنه يوم نكر... مثلي على مثلك يحمي ويكر<sup>(٣٦)</sup>  
 فلذلك وقع الاختيار على هذه الكلمة الغريبة لتعبر عن هذا اليوم العجيب.  
 واختار لوصف الأبصار (خُشَعًا) تقريراً للذلة والخضوع عند معاينة الأحوال وذلك لأن  
 "الخُشُوعُ فِي الصُّوْتِ والبصر كالخضوع فِي البدن. واخْتَشَع: طَاطَأَ رَأْسَهُ رامياً ببصره إلى  
 الأرض"<sup>(٣٧)</sup>.

وآثر التعبير بـ(الأجدات) على القبور لأن الحدث إنما يطلق على الحفرة التي يكون الميت  
 فيها؛ فكأن فِي ذلك إشعاراً بحقارة أمره وما يؤول إليه؛ فيناسب سياق التبكيت لهؤلاء الكفرة،  
 والحدث "المنجوف: المحفور من القبور عرضاً غير مضرح، قال أبو زيد:

..... إلى جدت كالغار منجوف

وقيل: هو المحفور أي حضر كان."<sup>(٣٨)</sup>

"والأجدات: جمع جدت وهو القبر، وقد جعل الله خروج الناس إلى الحشر من مواضع  
 دفنهم فِي الأرض، كما قال: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (طه: ٥٥) فيعاد  
 خلق كل ذات من التراب الذي فيه بقية من أجزاء الجسم وهي ذرات يعلمها الله تعالى"<sup>(٣٩)</sup>.  
 والقبر يطلق على ما فيه تكريم للإنسان "ففي الصحاح: القَبْرُ: واحد القُبُور. والمَقْبَرَةُ  
 والمَقْبَرَةُ بفتح الباء وضمها: واحدة المقابر. وقد جاء فِي الشعر المَقْبَرُ. وقال عبد الله ابن ثعلبة  
 الحنفي:

لكل أناس مَقْبَرٌ بفنائهم... فهم ينقُصون والقُبُورُ تَزِيدُ

وهو المَقْبَرِيُّ والمَقْبَرِيُّ. وَقَبْرْتُ الميت أَقْبَرُهُ قَبْرًا، أي دفنته. وَأَقْبَرْتُهُ، أي أمرت بأن يُقْبَرَ.

قال ابن السكيت: أَقْبَرْتُهُ، أي صيّرت له قَبْرًا يَدْفَنُ فِيهِ، وقوله تعالى: "ثم أماته فأقبره"، أي  
 جعله ممن يُقْبَرُ، ولم يجعله يلقي للكلاب. وكأن القبر مما أكرم به بنو آدم."<sup>(٤٠)</sup>

وعبر بـ(مُهْطِعِينَ) للدلالة على شدة الخوف والفرع والهلع فِي ذلك اليوم، من قولهم: "هَطَعَ  
 وأهطع فهو هاطع ومُهْطِع، إذا أقبل مسرعاً خائفاً، لا يكون ذلك إلا مع خوف؛ كذا يقول أبو عبيدة  
 فِي قوله جَلَّ وعزَّ: "مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاع"<sup>(٤١)</sup> ويقال: "هَطَعَ الرجل، إذا أقبل ببصره على الشيء

لا يُقْلَعُ عنه، يَهْطَعُ هُطوعاً. وَأَهْطَعُ، إِذَا مَدَّ عُنُقَهُ وَصَوَّبَ رَأْسَهُ. وَبَعِيرٌ مُهْطَعٌ: فِي عُنُقِهِ تَصْوِيبٌ خَلْقَةٌ. وَأَهْطَعُ فِي عَدْوِهِ، أَي أَسْرَعَ." (٤٢)

قال الألويسي: ﴿مُهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين إليه قال أبو عبيدة: وزاد بعضهم مادّي أعناقهم، وآخر مع هز ورهق ومدّ بصر.

وقال عكرمة: فاتحين آذانهم إلى الصوت، وعن ابن عباس ناظرين إليه لا تطلع أبصارهم عنه وأنشد قول تبع:

تعبدني نمر بن سعد وقد أرى      ونمر بن سعد لي «مطيع ومهطع»

وفي رواية أنه فسره بخاضعين وأنشد البيت، وقيل: خافضين ما بين أعينهم، وقال سفيان: شاخصة أبصارهم إلى السماء، وقيل: أصل الهطع مد العنق، أو مد البصر، ثم يكتى به عن الإسراع، أو عن النظر والتأمل" (٤٣).

وعبر بـ(عسر) لما فيه من دلالة واضحة على صعوبة هذا اليوم وعسره، ومعلوم أن العسر ضد اليسر، فهو عسر لا يسر فيه. "كما قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر: ١٠، ٩) يعني له عسر لا يسر معه" (٤٤).

## ٢- على المستوى الصوتي:

نلاحظ تناغم الحروف والحركات والكلمات وتلاؤمها وتناسبها فيما بينها دون تنافر أو ثقل في النطق، كما نلاحظ كذلك استمرار فاصلة الرءاء المستمرة، والتي أرجأنا التعليل لها إلى آخر السورة

أما على مستوى اللفظة المفردة فنجد إيماءات صوتية، وإيحاءات فنية تتناغم مع الدلالات المعجمية للكلمات كما في:

( نُكْرٌ - خُشْعًا - مُهْطَعِينَ )

حيث نلمح غرابة التركيب وصعوبة النطق في (نكر) لتحاكي صعوبة هذا اليوم وغرابته. كما نلمح أثر الهمس في الخاء والشين في (خُشْعًا) يحاكي خشوع الخاضعين في هذا اليوم. أما كلمة (مُهْطَعِينَ) فنجد أنها تحاكي ذلك الانهطاع عند النطق بها؛ بسبب الانتقال من الميم الشفوية إلى الهاء الحنجرية التي يلجئك النطق بها إلى مدّ عنقك كأنك تحكي ذلك الفعل.

## ٣- المستوى الصرفي:

نجد جمال التوظيف الفني للصيغ الصرفية المختلفة لتحقيق التناسب التام بين هذه الصيغ والمعاني التي تعبر الآيات عنها.

نجد ذلك على سبيل المثال في صيغ الكلمات التالية: ( نَكْر - خُشْعًا - مُهْطِعِينَ - عَسْرٌ )  
 نُكِّرُ: "قرأ الجمهور: (نكر) بضم الكاف، وهو صفة على فعل، وهو قليل في الصفات، ومنه  
 رجل شلل: أي خفيف في الحاجة، وناقاة أجد، ومشية سجع، وروضة أنف."<sup>(٤٥)</sup>  
 فكأن الاختيار قد وقع على هذه الصيغة الغريبة مناسبة لغرابة هذا اليوم، أي لما كان اليوم  
 غريباً عجيباً كان وصفه غريباً كذلك.

قال الرازي: "ألا ترى أنه قال في سورة اقتربت الساعة: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكِّرِ﴾ (القمر: ٦) فنقل  
 لأن آياتها مثقلة، وقال في موضع آخر: ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكِّرًا﴾ (الطلاق: ٨) وأجمع القراء على تنقيح  
 الأول وتخفيف الثاني ليوافق كل منهما ما قبله."<sup>(٤٦)</sup>

خُشْعًا: " (خُشْعًا) جمع خاشع "<sup>(٤٧)</sup> وهي اسم فاعل، وكذلك (مُهْطِعِينَ) وعبر باسم الفاعل  
 للدلالة على الثبوت مما يدل على ثبوت هذه الصفات ودوامها.  
 (عسر): "صفة مشبهة من العسر وهو الشدة والصعوبة"<sup>(٤٨)</sup>. مما يناسب أهوال هذا اليوم  
 وشدته.

### المستوى النحوي (التركيبى):

" (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) الفاء للسببية... والسبب عدم الإغناء "<sup>(٤٩)</sup>  
 (يَوْمَ يَدْعُو) " ولا يكون العامل في: (يَوْمَ يَدْعُو) يخرجون بل اذكروا، أو: (فَمَا تَعْنَى النذر) كما  
 قال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨) ويكون يخرجون ابتداء كلام "<sup>(٥٠)</sup>  
 (خُشْعًا أَبْصَارَهُمْ) حال من الخارجين فعل للأبصار<sup>(٥١)</sup> أي " حال من فاعل (يُخْرِجُونَ)  
 أي يخرجون (مَنْ الأجداث) أي القبور أذلة أبصارهم من شدة الهول أي أذلاء من ذلك، وقدم  
 الحال لتصرف العامل والاهتمام"<sup>(٥٢)</sup> أي قدم على الأبصار للاهتمام ببيان هذا الحال الذي هو  
 دليل الذلة والانكسار.

و(مُهْطِعِينَ) حال كذلك من الخارجين، وكلا الحالين الأولى والثانية ترسم صورة هؤلاء  
 الخارجين للحشر وما هم عليه من الفزع والهلع والخوف الشديد مع ما هم فيه من الذلة  
 والانكسار.

"وجملة: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسْرٍ﴾ في محل نصب على الحال من ضمير (مهطعين)،  
 والرابط مقدر، أو مستأنفة جواب سؤال مقدر: كأنه قيل: فماذا يكون حينئذ؟"<sup>(٥٣)</sup>  
 " ووصف اليوم بـ(عسر) وصف مجازي عقلي باعتبار كونه زماناً لأمر عسرة شديدة من  
 شدة الحساب وانتظار العذاب."

**المقصد الثالث:****بيان حال المكذبين من الأمم السابقة وسوء عاقبتهم:**

بدأت السورة الكريمة بتأكيد البعث وتقريره، وثبتت بذكر بعض مشاهد البعث وحال المكذبين في ذلك اليوم ترهيباً لهم، ثم عرضت السورة بعد ذلك في هذا المقصد لأحوال المكذبين بالبعث من الأمم السابقة وما نزل بهم من العذاب والنكال في الدنيا قبل الآخرة حتى يكون في ذلك عبرة لهؤلاء المكذبين في زمان النبي ﷺ ومن بعدهم، فعددت ما حدث لقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون، وقد كانوا أشد منهم وأكثر قوة وأثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، وذلك كله لا يخرج عن الخط الأساسي لهذه السورة الكريمة في تقرير قضية الإيمان بالله تعالى ورسله وتقرير قضية الحساب والجزاء والبعث والرجوع إلى الله تعالى؛ فهي تارة تبين ذلك بذكر الآيات الدالة عليه كانشقاق القمر، وتارة ترهب المكذبين به بما ينتظرهم في الآخرة، وفي هذا السياق ترهب لهم بما ينتظرهم في الدنيا؛ وذلك لأن سنة الله في إهلاك المكذبين والمعاندين لرسله لا تتخلف أبداً، وهذا ما يؤكده الله تعالى في ختام هذا العرض لأحوال المكذبين؛ حيث يقول في حق المكذبين في زمان النبي ﷺ:

**في المقصد الرابع:****ترهيب الكافرين وتخويفهم بعاقبة المكذبين من قبلهم:**

﴿ أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٦ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾

ومن ثم يعود في المقصد الخامس:

**إلى: تقرير البعث وترهيب المكذبين به:**

وذلك في قوله تعالى:

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْخَىٰ وَأَمَرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْأَجْرِمِينَ فِي صَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٍّ ﴿٥٣﴾

وينتهي سياق السورة كذلك بتتميم حسن غير بعيد عن السياق وهو:

**المقصد السادس:**

ترغيب وتبشير المؤمنين بالبعث المتقين لربهم:

وذلك في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾

﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَاتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سِيرَهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ التحليل الأسلوبي للوسائل التعبيرية في الآيات السابقة:

يظهر التوظيف الأسلوبي للغة على كافة مستوياتها لتتضافر الدلالات اللغوية المختلفة في مناسبة المقاصد السابقة:

### ١ - على المستوى المعجمي:

نجد توظيف الكلمات ذات الدلالة المعجمية المتناغمة مع المقاصد السابقة كما في الكلمات: (عبدنا - ازدجر - فتحنا - أبواب السماء - منهمر - ضلال وسُعر - ألقى - أشر - مستمر - بطشتنا - عزيز - مقتدر - يولون الدبر - أدهى وأمر - سقر - كلمح).  
كلمة (عبدنا) في قوله تعالى: (فكذبوا عبدنا) تدل على دلالات ومعان بليغة تستفاد من دلالتها المعجمية، فكونه ﴿عبدنا﴾ عبد الله - والله تعالى هو الذي يقرر له هذه العبودية، ويضيفها إلى ذاته العظيمة، بالإضافة إلى (نا) التي للتعظيم - كل هذا يدل على ضرورة الإيمان به وعدم تكذيبه؛ لأنه عبد لله تعالى لا يأتي بشيء من قبل نفسه.  
وأيضاً فإن كونه عبداً لله يقتضي كونه في قبضته يستحيل عليه الافتراء على الله ثم لا يأخذه بجريته.

وأيضاً فإن كونه عبداً لله تعالى مطيعاً له مرسلًا برسالة من قبله، وقد كذبه هؤلاء؛ فإن هذا يقتضي غضب الله وسخطه وغيرته لعبده والانتصار له؛ فيها تعريض باستحقاق العقوبة التالية التي ستترع مسامعهم في الآيات التالية ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ يقول (ازدجر) "الزجر هو الانتهاز وقد يكون بالشتم والضرب والوعيد ونحوه، قال الزمخشري: " (وازدجر) أي: وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (الشعراء: ١١٦) وقيل: هو من جملة قيلهم، أي: قالوا هو مجنون، وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه." (٥٤)

واختير لفظ الزجر لما يدل عليه من أنواع من الأذى الحسي والمعنوي يشتمل الزجر عليها، بياناً لما أصاب نبي الله ﷺ من إيذاء قومه له.  
ماء منهمر: قال الزمخشري: "ماء منهمر، وهمره: صبّه. وسحاب هامر. وهمرت عينه بالدمع وهملت، ومن المجاز: همر في كلامه: أكثر. وخطيب مهمر. وقلان مهذار مهمار" (٥٥).  
فمن ثم اختير التعبير بهذه اللفظة منهمر لدلالاتها على كل من الصب والكثرة؛ فدلّت على أنه ماء كثير ينصبُّ صبًّا.



ويساعد على معنى الكثرة كذلك التعبير بقوله (فتحنا) وقوله (أبواب السماء) فهي أبواب مفتوحة ينصب منها الماء صباً.

### قال الرازي في هذا الموضع:

"المسألة الأولى: قال في السماء: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ (القمر: ١١) لأن السماء ذات الرجوع وما لها فطور، ولم يقل: وشققنا السماء، وقال في الأرض: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ﴾ (القمر: ١٢) لأنها ذات الصدع.

الثانية: لما جعل المطر كالماء الخارج من أبواب مفتوحة واسعة، ولم يقل في الأرض وأجرينا من الأرض بحاراً وأنهاراً، بل قال: (عُيُوناً) والخارج من العين دون الخارج من الباب ذكر في الأرض أنه تعالى فجرها كلها، فقال: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ﴾ لتقابل كثرة عيون الأرض سعة أبواب السماء فيحصل بالكثرة ههنا ما حصل بالسعة ههنا<sup>(٥٦)</sup>.

ضلال وسُعر: وردت هاتين الكلمتين في هذه السورة مرتين:

ففي الموضع الأول: "إنا إذا لفي ضلال) أي ذهاب عن الصواب (وسعر) أي جنون، من قولهم: ناقة مسعورة، أي كأنها من شدة نشاطها مجنونة، ذكره ابن عباس. قال الشاعر يصف ناقته:

تخال بها سعرا إذا السفر هزها ذميل وإيقاع من السير متعب<sup>(٥٧)</sup>

وفي الموضع الثاني: (ان المجرمين في ضلال وسعر) أي في حيدة عن الحق و (سعر) أي احتراق<sup>(٥٨)</sup>.

"وفي قوله تعالى: (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) قيل: معنى: (إِلَّا ضَلَالًا) إِلَّا عَذَابًا: كذا قال ابن بحر، واستدل على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ (القمر: ٤٧). وقيل: إِلَّا خسراناً. وقيل: إِلَّا فتنه بالمال والولد. وقيل: الضياع. وقيل: ضلالاً في مكرهم<sup>(٥٩)</sup>.

فتلاحظ في هاتين الآيتين المشاكلة بين قوله تعالى على لسان المجرمين: "إنا إذا لفي ضلال وسعر"، وقوله تعالى: عن عذاب المجرمين في الآخرة "إن المجرمين في ضلال وسعر".

فالألفاظ واحدة ولكن المعنى مختلف بين ما وصفوا به أنفسهم لو اتبعوا رسولهم عليه السلام، وبين ما نزل بهم من العذاب في الآخرة بسبب تركهم اتباع نبيهم.

فقد وصفوا أنفسهم بأنهم يكونون على الضلال بمعنى مجانية الحق والصواب، وأنهم في جنون لو اتبعوا رسولهم الذي وصفوه بالجنون والضلال؛ فأثبت الله لهم الضلال والسعر بسبب

ترك اتباع نبيهم؛ فكان ذلك تكذيباً لهم ورداً لكلامهم، فهم في ضلال وسعر في الآخرة، وهو العذاب والحريق؛ بسبب ما كانوا فيه من ضلال وسعر في الدنيا، وهو مجانبة الحق والتخبط والضلال.

وهذا الوصف - جاء أيضاً - انتصاراً لنبيهم الذي قالوا عنه "مجنون وازدجر" كما نلمح كذلك تكرر كلمة (أشر) ومعناها تكبر وبطر عن الحق، لأن "الأشر: البطر".<sup>(٦٠)</sup> وقد تكررت على سبيل المجازاة والمعاقبة بين:

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ﴾

وقوله تعالى: ﴿سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ﴾

فوصفهم الله تعالى بما وصفوا به نبيهم على سبيل المجازاة والمعاقبة لأنهم أولى بهذا الوصف وأحق به من نبيهم، وهو بريء منه تمام البراءة، بل هو مستحيل عليه.

وقوله تعالى: أَلْقَى: "قولهم ألقى بدل أنزل وفيه إشارة إلى ما كانوا ينكرونه من طريق المبالغة وذلك لأن الإلقاء إنزال بسرعة"<sup>(٦١)</sup>

فاختير الفعل (ألقي) كأن من بين المستكر في زعمهم كون الوحي إلقاء سريعاً، أو كأنهم استنكروا سرعة إعلانه بنزول الوحي عليه؛ فلذا عدوه إلقاء سريعاً غير معهود لدى الرسل السابقين ثم راحوا يستنكرون ذلك منه.

(مستمر): الكلمة واضحة من جهة الدلالة المعجمية على الاستمرار والثبوت، وتتأزر معها في الدلالة على الاستمرارية والثبوت كل من الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية، وسيأتي بيانه في حينه.

قال الرازي: "ما معنى (مُسْتَمِرٌّ)؟ نقول فيه وجوه الأول: ممتد ثابت مدة مديدة من استمر الأمر إذا دام، وهذا كقوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ (فصلت: ١٦) لأن الجمع يفيد معنى الاستمرار والامتداد، وكذلك قوله: ﴿حُسُومًا﴾ (الحاقة: ٧) الثاني: شديد من المرة كما قلنا من قبل في قوله: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ (القمر: ٢) وهذا كقولهم أيام الشدائد، واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِبِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ (فصلت: ١٦) فإنه يذيقهم المر المضر من العذاب"<sup>(٦٢)</sup>.

"(بطش) (بطش) تناول بشدة عند الصولة والأخذ الشديد في كل شيء"<sup>(٦٣)</sup>

فإذا كان البطش هو الأخذ الشديد، وكان هذا البطش منسوباً إلى الله تعالى بضمير العظمة دل ذلك على شدة هذا الأخذ المنسوب إلى ذي القوة والجبروت.

**طمسنا:** (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) "أي: صيرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شق، كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب. وقيل: أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها. قال الضحاك: طمس الله على أبصارهم، فلم يروا الرسل" (٦٤).

وهذا يدل على شدة ما نزل بهم من العذاب.

**عزيز - مقتدر:** جمع سبحانه في وصف ذاته العلية في بيان شدة أخذه لهم بين العزة والقدرة.

"العزير من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنی قال الزجاج هو الممتع فلا يغلبه شيء وقال غيره هو القوي الغالب كل شيء وقيل هو الذي ليس كمثل شيء ومن أسمائه عز وجل المعز وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده والعز خلاف الذل... والعز في الأصل القوة والشدة والغلبة والعز والعزة الرفعة والامتناع، والعزة لله وفي التنزيل العزيز والله العزة ولسوله وللمؤمنين أي له العزة والغلبة سبحانه".

وإذا كان العزيز هو القوي الغالب كل شيء، فالجمع بينه وبين المقتدر يفيد تمام القدرة والغلبة، وفي هذا من الترهيب لهؤلاء المكذبين ما فيه، أن يحل بهم مثل ما حل بأسلافهم.

**يولون الدبر:** الجمع بين التولي والإدبار يبين مدى ما نزل بهم من الخوف والفرع، فإتباع التولي بالإدبار إنما هو بمثابة التوكيد لمعنى الفرار والإدبار.

**سقر:** "السقر: أن توشع بالحطب على رحلك وتزملها للمنع منه." (٦٥) "والسقر، يقال منه: سقرته الشمس تسقره سقراً، إذا حميت على دماغه فألمته. وقد حكي صقرته، بالصاد؛ ومنه اشتقاق اسم سقر، والله أعلم" (٦٦)

فمن ثم اختيار التعبير بهذا اللفظ للدلالة على شدة إحماء هذه النار واشتداد لهيبها. أدهى وأمر: جمع في وصف الساعة بين الدهاء والمرارة؛ فهي داهية ما بعدها داهية، ولصعوبتها وشدة أهوالها وكثرتها وصفها فوق ذلك بالمرارة؛ فكأن لعذاب هذا اليوم طعماً شديداً المرارة يجده الكافر من شدة عذاب ذلك اليوم.

**كلمح بالبصر:** يقال: "لمحه ألمحه، إذا أبصره بنظر خفيف. والاسم اللمحة. ولمح البرق والنجم لمحاً، أي لمع. تقول: رأيت لمحة البرق" (٦٧).

وهذا كله يدل على سرعة أمر الله تعالى في مجيء هذا اليوم، مما يزيد في وعيدهم وترهيبهم من سوء العاقبة.

### وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِّرَ:

"أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عنه أيضاً (على ذات أواح ودُسِّر) قال: الألواح: ألواح السفينة، والدسر: معاريضها التي تشد بها السفينة. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه أيضاً في قوله: (ودُسِّر) قال: المسامير." (٦٨)

عبر بذات أواح ودسر كناية عن السفينة؛ فهي كناية عن موصوف، ولعل الغرض من التعبير بهذه الكناية بيان حقارة السبب الذي أنجاهم الله به؛ ليظهر أثر القدرة الإلهية، وأن نجاة نوح ومن معه كانت بتلك القدرة المقتررة لا بتلك الأسباب الواهية.

### ٢- على المستوى الصوتي:

نلاحظ تناغم الحروف والحركات والكلمات وتلاؤمها وتناسبها فيما بينها دون تنافر أو ثقل في النطق، كما نلاحظ كذلك استمرار فاصلة الرء المستمرة، والتي أرجأنا التعليل لها إلى آخر السورة.

أما على مستوى اللفظة المفردة فنجد إيماءات صوتية، وإيحاءات فنية تتناغم مع الدلالات المعجمية للكلمات كما في:

(صرصرا - يُسْحَبُونَ - مَسَّ - سَقَرَ - مستمر)

(صرصرا): يظهر الإعجاز في اختيار هذه الكلمة الموحية بشدة البرد في هذه الرياح الباردة العقيم؛ حتى لكأنك تسمع فيها صرير الأسنان وحركاتها المتتالية، يوحي بها هذا التكرار والتضعيف في مقطعي الكلمة (صر - صر) الذي يوحي لك بصرير كل شيء من حركة هذه الرياح وشدتها.

(يُسْحَبُونَ - مَسَّ - سَقَرَ)

حينما نتأمل السمات الصوتية لحرف السين بماله من طبيعة احتكاكية تبدو واضحة عند النطق به نستشعر مدى مناسبة هذا الصوت الاحتكاكي المهموس لسياق الآية ومعناها حيث يتهمك بالكافرين حينما تأكل النار أجسادهم بمجرد المماس لها ويأتي حرف السين بما فيه من احتكاك وصفير كأنه حكاية لصوت احتكاك تلك النيران بأجساد هؤلاء الكافرين، بل إننا لنستشعر عند النطق بهذه السينات المتتالية في "مس سقر" حكاية صوت الشيء الذي يشيط ويحترق عند تسليط النيران عليه.

وسوف نقف على السمات الصوتية ودلالاتها الفنية في هذه الآيات بالتفصيل في حديثنا عن ظاهرة التكرار في هذه السورة على العموم.

**مستمر:** حيث نلاحظ في همس السين وسكونه إطالة زمن النطق بالكلمة لتحقيق الهمس والسكون، مع السكون العارض للراء لكونه رأس آية، مع ما في الراء من سمة التكرارية التي تفيد إطالة زمن النطق بالكلمة كذلك، كل ذلك يتناغم مع كل من الدلالة المعجمية والصرفية والنحوية للكلمة في دلالتها على الثبوت.

### ٣- المستوى الصرفي:

نجد جمال التوظيف الفني للصيغ الصرفية المختلفة لتحقيق التناسب التام بين هذه الصيغ والمعاني التي تعبر الآيات عنها.

نجد ذلك على سبيل المثال في صيغ الكلمات التالية:

(ازدجر- منهمر - مستمر- منقعر - مدكر - مقتدر- جميع منتصر - صرصر - كذاب - أشر - ارتقبهم - واضطبر - تنزع - فتعاطى - صيحة واحدة)

ازدجر " قيل إنما قال: (وازدجر) بلفظ ما لم يسم فاعله لانه رأس آية." (٦٩)

والحق أن التعليل برعاية الفواصل دون بيان المناسبة للمعنى ليس مما تقتضيه البلاغة، والمحققون من البلاغيين على رفضه؛ فلا بد إذا من التعليل بغيره؛ فالأولى - والله أعلم - أن يقال إنه أريد به العموم أو الإبهام، أي ازدجر من كل من مكذبي قومه، أو ازدجر لا من شخص بعينه، وهذا أيضا يدل على كثرة الزاجرين وتعدددهم.

هذا على القول بأن المقصود أنه قد ازدجر من قومه، أما على القول الآخر الذي يذهب إلى إصابته بالمس والجنون من الجن؛ فكأن الفاعل قد حذف - على هذا القول - لشيوع العلم به.

توظيف اسم الفاعل كما في:

مقتدر - منهمر - مستمر- منقعر - مدكر - جميع منتصر

مقتدر " معنى اقتدر أقوى من معنى قدر قال الله تعالى: " فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر "

فمقتدر هنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على تقخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، وذلك أن مقتدرا اسم فاعل من اقتدر، وقادر اسم فاعل من قدر، ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل.

على هذا ورد قول أبي نواس:

فضوت عني عفو مقتدر حلت له نقم فألفاها

أي عفوت عني عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن إمضاء قدرته، وأمثال هذا كثيرة" (٧٠).

والتعبير باسم الفاعل عموماً أقوى من التعبير بالفعل ؛ فهو وإن كان فيه من الفعلية الدلالة على الحدث ؛ فإن فيه كذلك دلالة الاسم التي تقيد الثبوت ؛ ومن ثم اختيار التعبير باسم الفاعل للدلالة على الثبوت في كل من: (منهمر - مستمر - منقعر - مدكر - جميع مُنتصر) فمنهمر: أفاد ثبوت انهمار الماء ودوامه فهو صبُّ كثير دائم متصل.

ومستمر: أفادت استمرار ذلك النحس ودوامه بكل من الدلالة المعجمية، والصوتية، والصرفية، والنحوية كما سبق بيان كل في موضعه، وقد كان ذلك على سبيل المشاكلة والمعاقبة لوصفهم ما جاء به نبيهم بأنه (سحر مستمر)

ومنقعر: أفادت ثبوت ذلك الانتقار ودوامه كذلك.

ومدكر: أفادت طلب التذكر على الدوام والثبوت عليه ؛ لأن هذا هو ما ينفع العبد على الحقيقة ؛ لأن قليل التذكر لا ينفع ؛ ولهذا لم ينف سبحانه قليله عن الكافرين والمكذابين فقال في حقهم: (قليلاً ما تذكرون)<sup>(٧١)</sup>.

جميع مُنتصر: وصف الكافرون أنفسهم وحزبهم بأنهم جميع مُنتصر ؛ فعبروا باسم الفاعل لزعيمهم ثبوت ذلك الانتصار لجمعهم ودوامه.

صرصرا: جاءت هذه الصيغة للاسم الرباعي المضعف، وهو عبارة عن مقطعين مكررين، مما يفيد تتابع هذه الرياح بما تشتمل عليه من الصفق والضرب لكل شيء، ويظهر الإعجاز في اختيار هذه الكلمة الموحية بشدة البرد في هذه الرياح الباردة العقيم ؛ حتى لكأنك تسمع فيها صرير الأسنان وحركاتها المتتالية، يوحي بها هذا التكرار والتضعيف في مقطعي الكلمة ( صر - صر ) الذي يوحي لك بصرير كل شيء من حركة هذه الرياح وشدها.

كذابٍ أشر: جاءت الكلمة الأولى على صيغة المبالغة (فعال) التي تدلُّ على المبالغة في وصف نبيهم بالكذب، تلتها الصفة المشبهة (فعل) التي تقيد الثبوت والدوام على تلك الصفة صفة الأشر والبطر ومجانبة الحق ؛ ولذا فقد ردَّ الله تلك الصفات عليهم فقال: ﴿سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ﴾<sup>(٧٢)</sup>.

ارتقبهم - وأصطبر: جاءت الكلمتان على صيغة (افتعل) التي تقيد تكلف الشيء وحمل النفس عليه، ففيها تصبير للنفس في ارتقاب ما ينزل بهؤلاء الكافرين من سوء الجزاء، وحمل النفس على الصبر على سوء صنيعهم مما يحتاج إلى كلفة في حمل النفس على تحمل ما يسوء، ولكن مما يهون ذلك عليها ارتقاب عقابهم وجزائهم.

تنزع: عبر بالفعل المضارع لبيان استمرارية ذلك النزاع وتكرره مما يزيد في بيان هول ما نزل بهم من العذاب.

(فتعاطى): "هو مطاوع عاطى، وكأن هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضاً، فتعاطاها قدار<sup>(٧٢)</sup> وتناول العقر بيده." <sup>(٧٣)</sup>

صَيِّحَةً وَاحِدَةً: عبّر باسم المرأة الذي يفيد الوحدة، وزاد على ذلك بتوكيده بـ(واحدة) مما يفيد عظمة قدرة الله تعالى حتى إن صيحة واحدة من ملك من ملائكة الله تعالى جعل هذه القرية كهشيم المحتظر.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ "أي: إنذاري. قال الضراء: الإنذار والنذر مصدران،...، وقيل: نذر جمع نذير، ونذير بمعنى الإنذار كالكبير: بمعنى الإنكار." <sup>(٧٤)</sup>

#### ٤- المستوى النحوي (التركيبى):

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قبل قومك. ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً عليه السلام وهو تفصيل بعد إجمال، وقيل معناه كذبوه تكديباً على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو كذبوه بعدما كذبوا الرسل. (وَقَالُوا مَجْنُونٌ) هو مجنون. (وازدجر) وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية، وقيل إنه من جملة قيلهم أي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته <sup>(٧٥)</sup>.

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: (فَكَذَّبُوا) بعد قوله: (كَذَبَتْ)؟ قلت: معناه: كذبوا فكذبوا عبداً أي: كذبوه تكديباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب. أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبداً، أي: لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً، كذبوا نوحاً؛ لأنه من جملة الرسل" <sup>(٧٦)</sup>

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾﴾  
فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿١١﴾ يَقُولُ

نلاحظ الربط بين هذه الجمل بالفاء التي تفيد التعقيب والسرعة؛ فعلى القول بأن الفاء للترتيب في قوله (فَكَذَّبُوا) فيكون المقصود أنهم كذبوا نبيهم بمجرد دعوته إليهم.

وكذلك يكون المعنى في قوله (فَدَعَا) أي حينما بلغ التكذيب مبلغه دعا ربه فكانت الإجابة على وجه السرعة: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾، وعطف الجمل التي بعدها عليها بالواو لأنها مشتركة معها في الحكم وزمن الوقوع؛ فالواو للدلالة على الجمع والاقتران؛ فلذا قال: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ يَقُولُ

وجملة: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) نعت لإظهار مدى العناية الإلهية في حفظ تلك السفينة. و(جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا) مفعول لأجله أي فعل ذلك (جزاء لمن كان كفر) "أي جعلنا ذلك ثواباً وجزاء لنوح على صبره على أذى قومه وهو المكفور به، فاللام في (لمن) لام المفعول له، وقيل: (كفر) أي جحد، ف (من) كناية عن نوح.

وقيل: كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب، أي عقاباً لكفرهم بالله تعالى. وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد (جزاء لمن كان كفر) بفتح الكاف والفاء بمعنى: كان الفرق جزاء وعقاباً لمن كفر بالله. " (٧٧)

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ "أي: إنذاري... والاستفهام للتسهيل والتعجيب، أي: كنا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف، وقيل: نذر جمع نذير، ونذير بمعنى الإنذار ككثير: بمعنى الإنكار. " (٧٨) فيكون المعنى: فكيف كان إنكاري وانتقامي؟

﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٢٤)  
قال الرازي: " وفي قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ﴾ مسائل:

**المسألة الأولى:** زيداً ضربته وزيد ضربته كلاهما جائز والنصب مختار في مواضع منها هذا الموضع وهو الذي يكون ما يرد عليه النصب والرفع بعد حرف الاستفهام، والسبب في اختيار النصب أمر معقول وهو أن المستفهم يطلب من المسئول أن يجعل ما ذكره بعد حرف الاستفهام مبدأ لكلامه ويخبر عنه، فإذا قال: أزيد عندك معناه أخبرني عن زيد واذكر لي حاله، فإذا انضم إلى هذه الحالة فعل مذكور ترجح جانب النصب فيجوز أن يقال: أزيداً ضربته وإن لم يجب فالأحسن ذلك فإن قيل: من قرأ ﴿أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ﴾ كيف ترك الأجود؟ نقول: نظراً إلى قوله تعالى: (فَقَالُوا) إذ ما بعد القول لا يكون إلا جملة والاسمية أولى والأولى أقوى وأظهر.

**المسألة الثانية:** إذا كان بشراً منصوباً بفعل، فما الحكمة في تأخر الفعل في الظاهر؟

نقول:.. إن البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به أكثر وهم كانوا يريدون تبيين كونهم محقين في ترك الاتباع فلو قالوا: أنتبع بشراً يمكن أن يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه، فإذا قدموا حاله وقالوا هو نوعنا بشر ومن صنفنا رجل ليس غريباً نعتقد فيه أنه يعلم ما لا نعلم أو يقدر ما لا تقدر وهو واحد وحيد وليس له جند وحشم وخيل وخدم فكيف نتبعه، فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع، واعلم أن في هذه الآية إشارات إلى ذلك أحدها: نكروه حيث قالوا (أَبَشْرًا) ولم يقولوا: أنتبع صالحاً أو الرجل المدعي النبوة أو غير ذلك من المعارف والتكبير تحقير.



ثانيها: قالوا أبشراً ولم يقولوا أرجلاً.

ثالثها: قالوا (مناً) وهو يحمل أمرين أحدهما من صنفنا ليس غريباً، وثانيهما (مناً) أي

تبعنا ...

رابعها: (واحدا) يحتمل أمرين أيضاً أحدهما: وحيداً إلى ضعفه وثانيهما: واحداً أي هو من الآحاد لا من الأكابر المشهورين، وتحقيق القول في استعمال الآحاد في الأصغر حيث يقال: هو من آحاد الناس هو أن من لا يكون مشهوداً بحسب ولا نسب إذا حدث عنه من لا يعرفه فلا يمكن أن يقول عنه قال فلان أو ابن فلان فيقول قال واحد وفعل واحد فيكون ذلك غاية الخمول، لأن الأردل لا ينضم إليه أحد فيبقى في أكثر أوقاته واحداً فيقال: للأردل آحاد.

وقوله تعالى عنهم: ﴿إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ يحتمل وجهين أحدهما: أن يكونوا قد قالوا في جواب من يقول لهم إن لم تتبعوه تكونوا في ضلال، فيقولون له: لا بل إن تبعناه نكون في ضلال. ثانيهما: أن يكون ذلك ترتيباً على ما مضى أي حاله ما ذكرنا من الضعف والوحدة فإن اتبعناه نكون في ضلال وسعر أي جنون على هذا الوجه<sup>(٧٩)</sup>.

فأجل ما ذكر قدموا (بشراً) في سؤالهم: لأنه هو موضع استنكارهم وسبب كفرهم - على زعمهم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ لَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾

قدم الفعل لأنه هو المستنكر المراد نفيه و"اللفي بطريق الاستفهام أبلغ لأن من قال: ما أنزل عليه الذكر ربما يعلم أو يظن أو يتوهم أن السامع يكذبه فيه فإذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه أن السامع يجيبني بقوله: ما أنزل فيجعل الأمر حينئذ منفيّاً ظاهراً لا يخفى على أحد بل كل أحد يقول: ما أنزل"<sup>(٨٠)</sup>

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ إضراب عن ما أنكروه بقولهم: ﴿أَلَمْ لَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي لم ينزل الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب فيما ادعاه، بَطْر متكبر<sup>(٨١)</sup>.

﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَّةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَخِطِرِ ﴿٣١﴾ يَقُولُ

استخدمت الفاء للربط بين الجمل لإفادة السرعة والترتيب والتعقيب، فكأن المعنى فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ مسرعين بذلك، فأسرع صاحبهم فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فبمجرد تعاطيه السيف أسرع إلى عقر الناقة دون تدبر أو روية.

وإزاء السرعة والتعجل في العصيان والمخالفة كانت السرعة في العقاب والمواخظة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٣٠) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَخْطَرِ﴾ (٣١) ﴿فَعَقَّرَ﴾ وقوله تعالى: (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) إشارة إلى أن الأمر من جانب الرسل قد تم ولم يبق إلا جانب المرسل إليهم بأن كانوا منذرين متفكرين يهتدون بفضل الله فهل من مدكر مهتد، وهذا الكلام يصلح حثاً ويصلح تخويفاً وزجراً<sup>(٨٢)</sup>.

فهو استفهام إنشائي غرضه إما الحث على التذكر، أو بغرض التخويف والزجر. ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ (٣٦) ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِيهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٣٧) ﴿فَعَقَّرَ﴾

ربط بين الجمل بالفاء كذلك للدلالة على السرعة والترتيب والتعقيب في كل مما ذكر.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ ﴿فَعَقَّرَ﴾ وانتصب (أخذ عزيز مقتدر) على المفعولية المطلقة مبيناً لنوع الأخذ بأفضع ما هو معروف للمخاطبين من أخذ الملوك والجبابة<sup>(٨٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ (٤٧) ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ يصح أن ينتصب (يوم) ظرفاً لكونهم في ضلالٍ وسُعْرٍ، أو ظرفاً لما يقال لهم ذلك اليوم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ).

والظاهر أن (يوم يسحبون في النار) ظرف للكون في ضلال وسُعْر على نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَبِعَهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧) ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات: ٨٦)، وقوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (القصص: ٤٢)<sup>(٨٤)</sup>.

ولعل أهم السمات الأسلوبية المميزة في هذا المقطع الذي يبدأ ببيان حال المكذبين السابقين إلى آخر السورة هي ظاهرة التكرار وهذا هو ما سوف نلمحه في بياننا لأهم السمات الأسلوبية لهذه السورة.

### أهم السمات الأسلوبية في السورة:

#### ١- الاختيار الأسلوبي المناسب:

وذلك من حيث اختيار الوسائل التعبيرية المناسبة لمقاصد السورة على كافة المستويات اللغوية المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية التي سبق التمثيل لها فيما سبق.

#### ٢- العدول الأسلوبي المناسب:

وذلك من خلال العدول عن القاعدة السياقية أو اللغوية الشائعة لتحقيق غرض بلاغي على نحو ما رأينا أمثلته فيما سبق.

## ٣- التكرار الأسلوبى المناسب:

وذلك على جميع المستويات اللغوية المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية: حيث يعد التكرار في هذه السورة من أهم عناصر الإعجاز بها حيث تم توظيفه بطريقة متناغمة ومنسجمة مع الغرض العام الذي سيقم السورة لأجله.

إن الناظر في هذه السورة الكريمة يكاد يستشعر أن التكرار يكاد يمثل الغاية والوسيلة معا في هذه السورة، فالغاية أو الغرض من هذه السورة هو عرض صور النذارة المتكررة لإزعاج هؤلاء الغافلين. ومن ثم نستطيع أن نلمح صور التكرار في هذه السورة ممثلة في:

**الصورة الأولى:** تكرار الآيات الكونية المندرة بقرب الساعة وعذاب الكافرين ممثلة في:

انشقاق القمر - الطوفان وسفينه نوح عليه السلام - ريح قوم عاد - ناقة ثمود - إهلاكهم بالصيحة - إهلاك لوط بالحاصب - الآيات التي جاء بها موسى لفرعون وقومه - إهلاك فرعون وقومه لما كذبوا بالآيات ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴾

**الصورة الثانية:** تكرار الآيات السمعية ممثلا في: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآبَاءِ مَا فِيهِ مَرْدَجٌ﴾ (القمر:٤) ذكر (القرآن) أربع مرات.

ذكر (الذكر) (القمر: ٢٥) مرادا به ما أنزل على الرسل السابقين.

**الصورة الثالثة:** تكرار ذكر الرسل وبعثهم ونذارتهم لأقوامهم ( قوم نوح وعاد وثمود ولوط وآل فرعون وأهل مكة ).

**الصورة الرابعة:** تكرار التكذيب من الأمم السابقة لرسولهم.

قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾.

"فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: (فَكَذَّبُوا) بعد قوله: (كَذَّبَتْ)؟ قلت: معناه: كذبوا فكذبوا عبداً أي: كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب. أو كذبت قوم نوح الرسول فكذبوا عبداً، أي: لما كانوا مكذبين بالرسول جاحدين للنبوّة رأساً، كذبوا نوحاً؛ لأنه من جملة الرسل"<sup>(٨٥)</sup>.

**الصورة الخامسة:** تكرار إنجاء المؤمنين من الأمم السابقة.

**الصورة السادسة:** تكرار الامتنان على العباد بنعمة تيسير القرآن للذكر أربع مرات.

**الصورة السابعة:** تكرار الحض على التذكر والاتعاظ مرارا "فهل من مدكر" ذكرت ست مرات.

**الصورة الثامنة:** تكرار النذارات إلى العباد بصورها المختلفة وقد تكررت كلمة (النذر) بلفظها في هذه السورة عشر مرات، كما تكررت النذارة بمادتها ومعناها أكثر من ذلك.

**الصورة التاسعة:** تكرار لفظ العذاب سبع مرات منسوبا - في ست منها - إلى الله تعالى (عذابي)، وتكرار الإذافة للعذاب مرارا حيث تكرر لفظ " فذوقوا عذابي ونذر " مرتين، وتكرر لفظ (ذوقوا) ثلاث مرات بعد قوله تعالى " ذوقوا مس سقر " .

**الصورة العاشرة:** تكرر لفظ (الزجر) بمادته مرتين (مزدجر) آية: ٤ (وازدجر) آية: ٩. الصورة الحادية عشر: تكرار مصارع المكذبين من الأمم السابقة.

ولذا تكرر لفظ الأخذ بمادته مرتين في ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٤٢).

**الصورة الثانية عشر: تكرار المشاكلة:**

وذلك كما سبق بيانه في المشاكلة بين قوله تعالى على لسان المجرمين: (إنا إذا لفي ضلال وسعر)، وقوله تعالى: عن عذاب المجرمين في الآخرة ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ فَعَقَرُوا، فالألفاظ واحدة ولكن المعنى مختلف بين ما وصفوا به أنفسهم لو اتبعوا رسولهم عليه السلام، وبين ما نزل بهم من العذاب في الآخرة بسبب تركهم اتباع نبيهم.

فقد وصفوا أنفسهم بأنهم يكونون على الضلال بمعنى مجانية الحق والصواب، وأنهم في جنون لو اتبعوا رسولهم الذي وصفوه بالجنون والضلال؛ فأثبت الله لهم الضلال والسعر بسبب ترك اتباع نبيهم؛ فكان ذلك تكديبا لهم ورداً لكلامهم، فهم في ضلال وسعر في الآخرة، وهو العذاب والحريق؛ بسبب ما كانوا فيه من ضلال وسعر في الدنيا، وهو مجانية الحق والتخبط والضلال.

وهذا الوصف - جاء أيضا - انتصارا لنبيهم الذي قالوا عنه (مجنون وازدجر).

كما نلمح كذلك هذا النوع من تكرار المشاكلة والمعاقبة كما في وصف الكافرين لما جاء به نبيهم بأنه: (سحر مستمر)

فما قبهم الله على ذلك بـ (يوم نحس مستمر).

كما نلمح كذلك تكرر كلمة (أشر) ومعناها الكبر والبطر عن الحق، وقد تكررت على سبيل المجازة والمعاقبة بين:

قوله تعالى: ﴿ أَهْلَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ ﴾ (٢٥).

وقوله تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ عَدَاً مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴾ (٢٦).

فوصفهم الله تعالى بما وصفوا به نبيهم على سبيل المجازة والمعاقبة لأنهم أولى بهذا الوصف وأحق به من نبيهم، وهو بريء منه تمام البراءة، بل هو مستحيل عليه.

هذا التحليل السابق لأهم صور التكرار في سورة القمر نستطيع أن نتخذة مفتاحا للوصول إلى سر التكرار الصوتي الذي اشتملت عليه فواصل هذه السورة الكريمة حيث تكرر صوت الراء

بصورة مطردة في جميع فواصل هذه السورة الخمسة والخمسين بلا استثناء، كما قد تكررت بعض الأحرف والحركات في هذه السورة لأغراض بلاغية بعيدة المدى. وإذا صح ما قلناه أنفاً من أن هذه السورة الكريمة قد اتخذت التكرار وسيلة وغاية في الوقت نفسه، فالغرض هو تكرير الحجج والآيات والبيانات والزواجر علي مسامع هؤلاء الغافلين، حتى لقد تكرر التكرار في هذه السورة بصور شتى.

إن هذه السورة إذا هي سورة التكرار؛ ومن ثم فليس ثمة حرف أنسب لفواصل هذه السورة من حرف الراء لاشتماله علي سمة التكرارية كسمة لازمة له في طبيعة النطق به؛ ومن ثم يأتي هذا الحرف بهذه السمة الصوتية متناغماً تمام التناغم مع سياق هذه السورة ومقامها وغرضها البلاغي.

وثمة مظاهر آخر للتكرار الصوتي في هذه السورة الكريمة تتمثل في تكرر الحركات وتواليها في كلمات هذه السورة كما في تكرر الضم (النُّذْرُ - نُكْرُ - الزُّبَيْرُ - الدُّبَيْرُ - سَعْرُ - دُسْرُ) وكما في تكرر الفتح وتواليه في (القمر - عقر - سحر - شكر - أمر - سقر - قدر - نهر) كما تبدو مظاهر التكرار الصوتي كذلك في تكرر بعض حروف هذه السورة إما بصورة متتابعة كما في تكرر السين في (مس سقر) أو بصورة منفصلة كما في تكرر السين في (نحس مستمر) ويمكننا أن نقف هنا عند بعض مظاهر هذا التكرار لتأمل ما فيه من الأسرار. فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر: ٤٨).

كمثال لتوالي الحرف وتكراره على التتابع والانفصال معا حيث تكررت السين أربع مرات في (يسحبون - مس - سقر) وتكررت على التوالي ثلاث مرات في (مس سقر) باعتبار الحرف المشدد في (مس) كما تكررت حركات الفتح على التوالي في أحرف (سقر) وحينما نتأمل السمات الصوتية لحرف السين بماله من طبيعة احتكاكية تبدو واضحة عند النطق به نستشعر مدى مناسبة هذا الصوت الاحتكاكي المهموس لسباق الآية ومعناها حيث يتهمم بالكافرين حينما تأكل النار أجسادهم بمجرد المماس لها ويأتي حرف السين بما فيه من احتكاك وصفير كأنه حكاية لصوت احتكاك تلك النيران بأجساد هؤلاء الكافرين، بل إننا لنستشعر عند النطق بهذه السينات المتتالية في "مس سقر" حكاية صوت الشيء الذي يشيط ويحترق عند تسليط النيران عليه، ويمكن أن نتذوق ذلك بأنفسنا بتكرار تلك السينات وتأمل هذا المعنى عند النطق بها في هذا السياق.

ويأتي هذا الصوت الاحتكاكي في هذه السينات المتتالية متجاوبا ومتناغماً مع صوت الاحتكاك المتجاوب في أول الآية من السين المعبرة أيضا تمام التعبير عن حكاية صوت السحب وما فيه من احتكاك واضح في قوله (يسحبون).

ومن ثم يتجاوب الاحتكاك المنبعث في أول هذه الآية مع الاحتكاك المتتابع في آخرها. كما يأتي هذا التتابع للاحتكاك والمس في إذاعة العذاب متجاوبا مع توالي الحركات المفتوحة في (سقر) التي تدل كذلك بتكرار حركات الفتح فيها على توالي العذاب، وسرعة غليان تلك النيران وتقلبها بأهلها فهي تفور بهم كما تفور القدر بالحب، ومن ثم يأتي توالي الحركات هنا محاكيا تمام المحاكاة لذلك الفوران والغليان، وإذا كنا قد

استشعرنا ذلك من توالي حركات الفتح في مثل (سقر) فإننا نكاد نستشعر كذلك مدى تلهف هذه النار على التهام أهلها وضمهم إليها في توالي الضم وتكراره في نحو (سعر) التي جاءت متجاوبة مع (سقر) في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ فَمَقَرَّ

## هوامش البحث ومصادره:

- (١) اللهم إلا محاولات بعض البلاغيين التي لم تصل إلى حد كبير من النضج والتعمق الأسلوبي بحسب طبيعة عصرها، وذلك كمحاولة الطيبي سنة ٧٤٣هـ في كتابه (التبيان في المعاني والبيان)، حيث جعل الفصاحة علما مستقلا قسيما للبلاغة، وليس مقدمة لها، ولا قسما منها، وقد بينت ذلك تفصيلا في تحقيقي للكتاب، طبعة مؤسسة نزار الباز- مكة، وفي رسالتي للماجستير عن الطيبي وجهوده البلاغية- ط مؤسسة نزار الباز.
- (٢) انظر في تعريف الأسلوب والأسلوبية: د/عبد السلام المسدي - الأسلوبية والأسلوب - الدار العربية للكتاب - تونس ١٩٧٧ ص ٥٧، وانظر/ برنند شبلنر/ علم اللغة والدراسات الأدبية/ ترجمة د/ محمود جاد الرب ص ٨١، و انظر د/ أحمد درويش - النص البلاغي في التراث العربي والأدبي - ط مكتبة النصر - داخل جامعة القاهرة، مقال في الأسلوب - جورج يوفون ص ١٨٩-١٩٤، وأنظر مقالة بعنوان الأسلوب والأسلوبية، في فصول ١/٨٤، ص ٦٠، وانظر: أحمد الشايب - الأسلوب ص ٣٦ - مكتبة النهضة المصرية - ٩ ش عدلى بالقاهرة ط ٢.
- (٣) أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان - البحر المحيط - مطبعة السعادة بمصر، طبعة مصورة ط دار الفكر - بيروت ١٧٤/١٠.
- (٤) سورة المعارج.
- (٥) النحل: ٧٧
- (٦) القمر: ٥٠
- (٧) القيامة: ٦
- (٨) قال الطبري في تفسيره في هذه الآية: "وقوله (وَأَنشَقُّ الْقَمَرَ) يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته؛ فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر، سحرنا محمد، فقال الله جلّ ثناؤه ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾" وينحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار، وقال به أهل التأويل.
- \* ذكر الآثار المروية بذلك، والأخبار عمن قاله من أهل التأويل:
- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة " أن أنس بن مالك حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين ". (انظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (جامع البيان في تفسير القرآن)، المطبعة الخيرية بمصر ١٢٣٠، طبعة مصورة.
- (٩) البحر المحيط ١٧٣/١٠
- (١٠) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح: عرض - الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م - تحقيق: محمود خاطر.
- (١١) ابن سيده المرسي الضريير أبو الحسن علي بن إسماعيل - المحكم والمحيط الأعظم / تح د عبد الحميد هندواي / دار الكتب العلمية ١٤٢١ هـ - مادة: سحر.
- (١٢) محمد الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير ط الدار التونسية ٤٠٤/١.
- (١٣) البحر المحيط ١٧٣/١٠
- (١٤) النجم: ٦
- (١٥) قال الطبري في تفسيره في هذه الآية: " وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يوجه قوله (مُسْتَمِرٌّ) إلى أنه مستفعل من الإمرار من قولهم: قد مرّ الجبل: إذا صلب وقوي واشتدّ وأمررت أنا: إذا قتلته قتلا شديدا، ويقول: معنى قوله (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ): سحر شديد."

(١٦) قال الرازي في تفسير (مستمر): "فيه وجوه أحدها: دائم فإن محمداً ﷺ كان يأتي كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية، فقالوا: هذا سحر مستمر دائم لا يختلف بالنسبة إلى النبي عليه السلام بخلاف سحر السحرة، فإن بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل وثانيها: مستمر أي قوى من حبل مرير الفتل من المرة وهي الشدة وثالثها: من المرارة أي سحر مر مستبشع ورابعها: مستمر أي مار ذاهب، فإن السحر لا بقاء له." الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين - تفسيره: مفاتيح الغيب (ج ١٤ / ص ٤٧٤).

(١٧) قال الرازي: "وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾، وهو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّا رَجَعْنَاكُمْ فِي أَسْمَاءٍ ﴾ (الزمر: ٧) أي بأنها حق ثانيها: وكل أمر مستقر في علم الله تعالى: لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا أهواءهم، والأنبياء صدقوا وبلغوا ما جاءهم، كقوله تعالى: (لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) (غافر: ١٦)، وكما قال تعالى في هذه السورة: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ (القمر: ٥٢، ٥٣)، ثالثها: هو جواب قولهم: (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) أي ليس أمره بذهاب بل كل أمر من أموره مستقر. تفسير الرازي - (ج ١٤ / ص ٤٧٥)

(١٨) الفيروزآبادي محمد بن يعقوب - القاموس المحيط - ط الرسالة: نبأ

(١٩) المرتضى الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - مادة: زجر

(٢٠) المحكم والمحيط الأعظم: بلغ

(٢١) ومنه "تذاذر القوم أنذر بعضهم بعضا شرا خوف بعضهم بعضا منه"

(٢٢) ابن الأثير أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلبي - المثل السائر / تحقيق

د. بدوي طبانة وزميطة ط دار نهضة مصر - الفجالة - القاهرة ١ / ١٦٩

(٢٣) التحرير والتنوير ٢٢٥/١٤

(٢٤) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٢٧)

(٢٥) التحرير والتنوير ٢٢٥/١٤

(٢٦) البحر المحيط: ١٧٣/١٠

(٢٧) التحرير والتنوير ٢٢٥/١٤

(٢٨) تفسير الرازي - (ج ١٤ / ص ٤٧٤)

(٢٩) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٢٥)

(٣٠) الألوسي: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

المثاني - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت (ج ٢٠ / ص ٥٣)

(٣١) جار الله الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر / الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / مصطفى الحلبي

القاهرة ١٣٩٢ هـ - (ج ٦ / ص ٤٤٩)

(٣٢) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله - الجامع لأحكام القرآن - دار إحياء التراث

العربي (ج ١٧ / ص ١٢٨)

(٣٣) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٢٥)

(٣٤) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٢٧)

(٣٥) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٢٧)

(٣٦) البحر المحيط: ١٧٤/١٠

(٣٧) المحيط في اللغة - (ج ١ / ص ٨)

(٣٨) المحكم والمحيط الأعظم (ج ٣ / ص ٣٠٩)



- (٣٩) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٢٩)
- (٤٠) الصحاح في اللغة - (ج ٢ / ص ٥٨)
- (٤١) ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن - جمهرة اللغة - تحقيق: رمزي البعلبكي - عدد الاجزاء: ٢ الطبعة رقم: ١ الناشر: دار العلم للملايين - (ج ٢ / ص ١٤)
- (٤٢) الصحاح في اللغة - (ج ٢ / ص ٢٥٢)
- (٤٣) تفسير الألويسي (ج ٢٠ / ص ٥٩)
- (٤٤) تفسير الرازي - (ج ١٤ / ص ٤٨٠)
- (٤٥) البحر المحيط: ١٧٤/١٠
- (٤٦) تفسير الرازي: ٢٧٢/١٦
- (٤٧) تفسير القرطبي - (ج ١٧ / ص ١٢٠)
- (٤٨) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٢٩)
- (٤٩) تفسير الألويسي (ج ٢٠ / ص ٥٧)
- (٥٠) تفسير الرازي - (ج ١٤ / ص ٤٧٩)
- (٥١) الكشاف - (ج ٦ / ص ٤٥٠)
- (٥٢) تفسير الألويسي (ج ٢٠ / ص ٥٨)
- (٥٣) الشوكاني محمد بن علي بن محمد - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - ط٢، مصورة ١٩٧٢م - (ج ٧ / ص ٨٩)
- (٥٤) الكشاف - (ج ٦ / ص ٤٥١)
- (٥٥) أساس البلاغة - (ج ٢ / ص ٥)
- (٥٦) تفسير الرازي - (ج ١٤ / ص ٤٨٨)
- (٥٧) تفسير القرطبي - (ج ١٧ / ص ١٢٨)
- (٥٨) فتح القدير - (ج ٧ / ص ٩٨)، تفسير القرطبي - (ج ١٧ / ص ١٤٧)
- (٥٩) السابق - (ج ٧ / ص ٣١٧)
- (٦٠) الصحاح في اللغة - (ج ١ / ص ١٤)
- (٦١) تفسير الرازي - (ج ١٥ / ص ٣)
- (٦٢) السابق - (ج ١٤ / ص ٤٩٦)
- (٦٣) لسان العرب - (ج ٦ / ص ٢٦٧)
- (٦٤) فتح القدير - (ج ٧ / ص ٩٦)
- (٦٥) المحيط في اللغة - (ج ١ / ص ٤٤٨)
- (٦٦) جمهرة اللغة - (ج ١ / ص ٣٩٠)
- (٦٧) الصحاح في اللغة - (ج ٢ / ص ١٤٨)
- (٦٨) فتح القدير - (ج ٧ / ص ٩٢)
- (٦٩) تفسير القرطبي - (ج ١٧ / ص ١٢١)
- (٧٠) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - (ج ١ / ص ١٦٩)
- (٧١) الأعراف: ٢، النمل: ٦٢، الحاقة: ٤٢
- (٧٢) هو قد ار بن سالف عاقر الناقة - انظر تفسير البحر المحيط - (ج ١٠ / ص ١٨٢)
- (٧٣) تفسير البحر المحيط - (ج ١٠ / ص ١٨٢)

- (٧٤) فتح القدير - (ج ٧ / ص ٩٠)  
(٧٥) البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ط الحلبي.  
(٧٦) الكشف - (ج ٦ / ص ٤٥١)  
(٧٧) تفسير القرطبي - (ج ١٧ / ص ١٣٣)  
(٧٨) فتح القدير - (ج ٧ / ص ٩٠)  
(٧٩) تفسير الرازي - (ج ١٥ / ص ١)  
(٨٠) تفسير الرازي - (ج ١٥ / ص ٣)  
(٨١) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٤٤)  
(٨٢) تفسير الرازي - (ج ١٤ / ص ٤٨٩)  
(٨٣) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٥٧)  
(٨٤) التحرير والتنوير (ج ١٤ / ص ٢٦٢)  
(٨٥) الكشف - (ج ٦ / ص ٤٥١)

**الخلاف في جواز تقديم جواب الشرط على  
الفعل والأداة  
عرض ودراسة**

**د. علي بن الحسن بن هاشم السرحاني**

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية

كلية المعلمين - جامعة الطائف



## الملخص

هذا البحث يتناول مسألة من مسائل الجملة الشرطية، وهي: تقديم جواب الشرط على الفعل والأداة، ويذكر مذاهب العلماء في هذه المسألة، وقد صنّف البحث مذاهب العلماء في هذه المسألة إلى أربعة مذاهب:

- المنع مطلقاً، وهو مذهب جمهور البصريين.
  - الجواز مطلقاً، وهو مذهب الكوفيين ومَن وافقهم من البصريين.
  - مذهب المازني، وهو يجيز التقديم إذا كان جواب الشرط مضارعاً، ويمنعه إذا كان ماضياً.
  - مذهب بعض البصريين، وهو جواز التقديم إذا كان فعل الشرط ماضياً.
- وقد تناول البحث هذه المذاهب بالدراسة والتحليل، وبين منشأ الخلاف والأصل الذي اعتمده كل فريق في تقرير مذهبه، وناقش أدلة كل فريق وحججهم، وعرضها على كتب المتأخرين من النحاة، وبعض الدراسات الحديثة، وذكر اختيارات المتأخرين من النحاة وأدلتهم، وناقش هذه الاختيارات مناقشة علمية، فأيد بعضها، ورد بعضها، واختار الباحث ما يراه أقرب للصواب، وما تؤيده الأدلة.

وختّم البحث بخاتمة تبين أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.



### المقدمة

الحمد لله حمداً يكافئُ سابغ نعمه، وأستديم به رضاه وعظيم مننه، والصلاة والسلام على مصطفىاه من خلقه، وشفيعنا يوم القيامة، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد أكثر نحاتنا الأوائل - عليهم رحمة الله - من الحديث عن الجملة الشرطية، فتناولوها من عدة جوانب، فتارةً يتحدثون عن مرتبة الجزاء من الشرط، وأيهما حقه التقديم على الآخر، ونراهم - تارة أخرى - يطيلون الحديث فيما يعمل في كل منهما<sup>(١)</sup>، ويختلفون كثيراً في تقرير هذه المسائل، إضافة إلى مسائل فرعية ترتبط بهذا الأسلوب - أعني أسلوب الشرط والجزاء - كخلافهم في تقديم المفعول بالجزاء على حرف الشرط<sup>(٢)</sup>، وخلافهم في جواز تقديم اسم مرفوع أو منصوب في جملة جواب الشرط<sup>(٣)</sup>، وخلافهم في عامل الرفع في الاسم المرفوع بعد (إن) الشرطية<sup>(٤)</sup>، وغيرها من المسائل المتعلقة بهذا الأسلوب مما تراه مبيثوثاً في كتب النحو.

ومما اختلفوا فيه من مسائل هذا الأسلوب ما إذا تقدم أداة الشرط جملة تصلح أن تكون جواباً، ثم ذكر فعل الشرط ولم يذكر له جواب؛ كقولهم: (أقومُ إن قُمتَ) و (أنت ظالم إن فعلت) فهل هذه الجملة المتقدمة جواب الشرط أو هي دليل على الجواب المحذوف؟ غير أن هذه المسألة لم تعط حقها من البحث والدراسة - فيما اطّلت عليه - فقد خلت منها مسائل ابن الأنباري في الخلاف بين المدرستين، ولم يتعرض لها إلا يسيراً في ثنايا المسائل التي أشرت إليها فيما قدمت، وكذلك جاء الحديث عنها فيما اطّلت عليه من الدراسات الحديثة التي تناولت جملة الشرط يدور حول ذكر المذهبين المشهورين في توجيه هذه المسألة دون الخوض في تأصيل هذين الرأيين - أعني المذهبين المنسوبين للبصريين والكوفيين - ولا غيرهما من الآراء إلا يسيراً، وفي مواضع متفرقة، لاتجلي هذه المسألة، فتجمع متفرقها، وتبسط خلافها، وتناقش آراءها، وتحتج لها، وهي - في نظري - أحق أن تبحث وأن تناقش؛ إذ هي الأصل الذي تنبثق منه تلك المسائل؛ فلو حُررت هذه المسألة لأغنت عن غيرها من المسائل، فأحببت أن أجمع شتات هذه المسألة في هذا البحث، وأتبع أقوال العلماء وحججهم وأدلتهم، وأقوم بمناقشتها ودراستها دراسة علمية، محايدة، لا تنتصر لمذهب على آخر، ولا لعالم بعينه، بل تحتكم إلى الحجة والبرهان، وتختار ما تؤيده الأدلة والشواهد.

والله أسأل أن أوفق إلى ما أردت، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

### آراء العلماء في جواز تقديم جواب الشرط على الفعل والأداة:

عُني النحاة بمباحث الجملة الشرطية، فلا تكاد ترى كتاباً في النحو يخلو من إشارة إلى المسائل الخلافية، في هذا الأسلوب، بل إن ابن الأنباري قد ذكر أربع مسائل خلافية بين البصريين والكوفيين؛ كما أشرت إليه أنفاً في مقدمتي، أمّا مسألتنا هذه فلم يفرد لها بحثاً يخصها، وكذلك وردت في أغلب كتب النحو مفرقة، ويشار إليها إشارة العابر، وهذا البحث يتناول المسألة المشار إليها أنفاً فيفصل الخلاف فيها ويشرحه، ويبين أدلة كل فريق، فأقول مستعيناً بالله:

اختلفت عبارات العلماء في تخريج الجملة التي تتقدم على أداة الشرط - فعلية كانت أو اسمية - وتصلح أن تكون جواباً، لا سيما إذا ذكر بعدها فعل الشرط ولم يذكر له جواب، ولهم في تخريج مثل هذا الأسلوب مذاهب أربعة ذكرها أبو حيان في ارتشاف الضرب: (٥)

أحدها: مذهب جمهور البصريين، أنه لا يجوز تقديم الجواب على الشرط، وأن هذا المتقدم دليل على الجواب المحذوف.

**الثاني:** مذهب الكوفيين، وأبي زيد، والأخفش، والمبرد، جواز أن يكون هذا المتقدم جواب الشرط.

**الثالث:** مذهب المازنيّ أنه إن كان ماضياً فلا يجوز تقديمه - يعني فعل الجواب - نحو: (قمتُ إن قام زيدٌ) و (قمتُ إن يقيمُ زيدٌ)، وإن كان مضارعاً جاز نحو (أقومُ إن قام زيدٌ) و (أقومُ إن يقيمُ زيدٌ).

**الرابع:** مذهب بعض البصريين أنه يجوز إن كان فعل الشرط ماضياً نحو: (أقومُ إن قمتُ)، أو كانا معاً ماضيين نحو: (قمتُ إن قمتُ).

### أدلة المانعين:

أما الذين قالوا بعدم جواز تقديم الجواب على الشرط - وهم جمهور البصريين - فجعّلوا هذا المتقدم دليلاً على الجواب المحذوف، وقدّروا الجواب من لفظ هذه الجملة المتقدمة، قال ابن السراج - بعد ذكره قول الضراء من أن نية الجزاء على تقديم الفعل نحو: أقومُ إن قمتُ - : " وهذا الذي ذكره الضراء مخالف لمعنى الكلام وما يجب من ترتبيه، وللاستعمال، وذلك أن كل شيء يكون سبباً لشيء أو علة له، فينبغي أن تقدم فيه العلة على المعلول؛ فإذا قلت: إن تأتي أعطك درهماً؛ فالإتيان سبب للعطية؛ به يستوجبها، فينبغي أن يتقدم... فأما قولهم: أجيئك إن جئتني، وأتيك إن تأتي، فالذي عندنا أن هذا الجواب محذوف، كفى عنه الفعل المقدم، وإنما يستعمل هذا على جهتين: إمّا أن يضطر إليه الشاعر فيقدم الجزاء للضرورة، وحقه التأخير، وإمّا أن



تذكر الجزاء بغير شرط ولا نية فيه، فتقول: أجيئك، فيعدك بذلك على كل حال، ثم يبدو له ألا يجيئك بسبب فتقول: إن جئتني، ويستغني عن الجواب بما قدّم، فيشبه الاستثناء<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن جنّي: "ولا يجوز تقديم الجواب على المجاب، شرطاً كان أو قسمًا أو غيرهما، ألا تراك لا تقول: أقم إن تقم، فأما قولك: أقوم إن قمت؛ فإن قولك: أقوم ليس جواباً للشرط، ولكنه دالٌّ على الجواب، أي: إن قمت قمت، ودلت أقوم على قمت، ومثله: أنت ظالم إن فعلت، أي: إن فعلت ظلمت، فحذفت ظلمت ودلّ قولك: (أنت ظالم) عليه..."<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن الحاجب: "ولمّا كان الشرط كالاستفهام في الإنشاء ووجود الحرف الدال على ذلك وجب له صدر الكلام الذي هو فيه؛ فلم يجز: عمرؤ إن تضرب أضرب ولا أشباه ذلك"<sup>(٨)</sup> وبمثل قوله قال الرضي في شرح الكافية، معتلاً بما ذكره ابن الحاجب من أن للشرط صدر الكلام<sup>(٩)</sup>.

وخلاصة القول عند هؤلاء ممن يمنعون تقدم جواب الشرط على الفعل والأداة أن سبب ذلك أن (إن) الشرطية وسائر أدوات الشرط لها صدر الكلام فلا ينبغي أن يتقدم عليها ما بعدها، وأن مرتبة الجزاء تالية لمرتبة الشرط وكذلك الجزاء مسبب عن الشرط وعلّة له، فحق ما كان كذلك أن تكون رتبته التأخير؛ إذ المسبب لا يتقدم على مسببه، وكذلك المعلول لا يتقدم على علته.

وقد نصّوا على أنه لا يجوز تقديم ما هو جواب في المعنى إلا إذا كان فعل الشرط ماضياً، لفظاً أو معنى، وذلك أن الأداة لا تعمل في الشرط لفظاً، كما لم تعمل فيما هو كالجزاء عندهم، ولا يجيء مضارعاً - عندهم - إلا في الشعر.

قال الرضي: "واعلم أنّه إذا تقدم على الشرط ما هو جواب في المعنى، فالشرط لا يكون حينئذٍ إلا ماضياً لفظاً أو معنى نحو: "أضربك إن ضربتني، وأضربك إن لم تعطني، وإنما جاز ذلك حتى لا تعمل الأداة في الشرط لفظاً كما لم تعمل فيما هو كالجزاء عند البصرية..."<sup>(١٠)</sup>.

وقال ابن هشام: "وحيث حُذِفَ الجواب اشترط في غير الضرورة مضيّ الشرط، فلا يجوز أنت ظالم إن تفعل، ولا والله إن تقم لأقومين"<sup>(١١)</sup>.

### أدلة المجيزين ومناقشة هذه الأدلة:

أما أصحاب المذهب الثاني - وهم أهل الكوفة ومن وافقهم من البصريين - فقد أجازوا أن يكون هذا المتقدم جواباً للشرط، فأما الكوفيون فقالوا: "الأصل في الجزاء أن يكون مقدّمًا على (إن)؛ كقولك: أضرب إن تضرب، وكان ينبغي أن يكون مرفوعاً، إلا أنه لما أحر انجزم بالجوار، وإن كان من حقه أن يكون مرفوعاً"<sup>(١٢)</sup>.

واستدلوا على ذلك بقول الشاعر<sup>(١٣)</sup>:

يا أقرعُ بن حابسٍ يا أقرعُ      إنك إن يُصرعَ أخوك تُصرعُ

قالوا التقدير: إنك تصرعُ إن يصرعَ أخوك، ولولا أنه في نية التقديم لوجب أن يكون مجزوماً،  
واستدلوا - أيضاً - بقول زهير<sup>(١٤)</sup>:

وإن أتاه خليلٌ يوم مسألةٍ      يقول لا غائبٌ مالي ولا حرمٌ

قالوا هو على نية التقديم، وتقديره: يقول إن أتاه خليل، ومثله قول الآخر<sup>(١٥)</sup>:

فلم أرَّفه إن ينجح منها وإن يمَّت      فطعنةٌ لأعسٍ، ولا بمغمَّرٍ

والتقدير فيه: إن ينجح فلم أرَّفه.

هذا ما أورده ابن الأنباري في احتجاج الكوفيين على جواز تقديم المفعول بالجزاء على حرف الشرط<sup>(١٦)</sup>، وهو صالح للاحتجاج به في مسألتنا هذه، كما ترى.

وأجاب عن قول الكوفيين: إن الأصل في الجزاء أن يكون مقدماً على الشرط بعكس ما ذكروا، فقال: إن مرتبة الجزاء تلي مرتبة الشرط؛ إذ الشرط سبب في الجزاء، والجزاء مسبب عنه، وتقديم المسبب على السبب محال<sup>(١٧)</sup>.

وأجيب عن البيت الأول بأن التقديم من أجل الضرورة الشعرية، وهذا لا حجة فيه، أما البيت الثاني فإنما رُفِعَ لأن فعل الشرط ماضٍ، وفعل الشرط إذا كان ماضياً لا يظهر فيه الجزم، ففعل الجزاء أولى بعدم الجزم، فيبقى على أول أحواله وهو الرفع.  
وأجيب عن الثالث بأن هذا المذكور دليل على جواب الشرط المحذوف<sup>(١٨)</sup>، وهو موضع الخلاف في مسألتنا هذه.

وقد وافق المبرِّد الكوفيين على جواز تقديم الجواب على الفعل والأداة في النثر، غير أنه لم يستدل بما استدلووا به من أن الأصل في الجواب أن يتقدم على الشرط، وهو مرفوع إلا أنه انجزم لما جاور فعل الشرط؛ لأن هذا مذهب الكوفيين فيما يعمل في جواب الشرط، وقد خالفهم البصريون في ذلك، فذهب الأكثرون منهم إلى أن العامل في فعل الشرط وجوابه هو حرف الشرط، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان في الجواب، وذهب آخرون إلى أن العامل في فعل الشرط هو حرف الشرط، وفعل الشرط يعمل في الجواب، واختار ابن الأنباري أن يكون العامل في جواب الشرط هو (إن) بواسطة فعل الشرط<sup>(١٩)</sup>، ولم أقف على من نسب هذا المذهب إلى المبرِّد، ولم يرد في كلام المبرِّد الاحتجاج بالأبيات المذكورة عند الكوفيين، بل ظاهر كلامه أنه إنما يجوز تقدُّم الجواب إذا كان فعل الشرط ماضياً، قال المبرِّد: "أما ما

يجوز في الكلام فنحو آتيك إن آتيتي، وأزورك إن زرتي، ويقول القائل: أتعطيني درهماً؟ فأقول: إن جاء زيدٌ، وتقول: أنت ظالم إن فعلت، فإن قلت: آتي من أتاني، وأصنع ما تصنع، لم يكن ههنا جزء، وذلك أن حروف الجزء لا يعمل فيها ما قبلها... فإذا كان الفعل ماضيًا بعد حرف الجزء جاز أن يتقدم الجواب؛ لأنَّ (إن) لا تعمل في لفظه شيئًا، وأما ما لا يجوز إلا في الشعر فهو: إن تأتي آتيك، وأنت ظالم إن تأتي؛ لأنها قد جزمت، ولأنَّ الجزء في موضعه، فلا يجوز في قول البصريين في الكلام...<sup>(٢٠)</sup>.

فهذه عبارته - عليه رحمة الله - وهي لا تشبه مذهب الكوفيين؛ إذ الكوفيون - سوى الفراء - يجيزون حذف جواب الشرط، وفعل الشرط مستقبل قياسًا على الماضي، فقد أجازوا: أنت ظالم إن تفعل، نص على ذلك أبو حيان في الارتشاف<sup>(٢١)</sup>.

فلاحتجاج مختلف، والاستدلال مختلف، وهو لا يوافقهم إلا في مطلق الجواز؛ ولذلك كان حقًا على أبي حيان - رحمه الله - أن يضعه مع أصحاب المذهب الرابع، وهو مذهب بعض البصريين؛ إذ كلامه أشبه بكلامهم.

وممن وافق الكوفيين الأخفش؛ كما نص على ذلك أبو حيان وغيره<sup>(٢٢)</sup>، ولم أقف على نص الأخفش الذي يؤيد هذه النسبة، وهل هو موافق لهم في الجواز فقط، أو هو موافق لهم فيما احتجوا به، وإن كنت أستبعد موافقته لهم في الاستدلال؛ لأن ابن الأنباري لم يذكر موافقته لهم في الاستدلال على العامل في الجواب ولا غيره من المسائل التي سبق أن أشرت إليها. أما أبو زيد الأنصاري فقد نسب إليه القول بالجواز جماعة من العلماء منهم ابن جني، وابن مالك، وأبو حيان، والأزهري صاحب التصريح<sup>(٢٣)</sup>.

ونقلوا عنه قوله بأن المتقدم على الشرط نفس الجواب، قال ابن مالك في شرح التسهيل: واحتج أبو زيد على أن المتقدم هو نفس الجواب بمجيئه مقرونًا بالفاء كقوله<sup>(٢٤)</sup>:  
فلم أرَّقه إن ينج منها وإن يمَّتْ      قطعنة لأغس، ولا بمغمم<sup>(٢٥)</sup>  
وقد ردَّ مذهب الكوفيين وممن وافقهم بأمر، سوى ما قدمت من كلام ابن الأنباري آنفًا، منها: - أن حرف الشرط دال على معنى في الشرط والجزاء، وهو الملازمة بينهما، فيجب تقديمه عليهما، كما يجب تقديم سائر حروف المعاني على ما فيه معناه، ذكره ابن مالك في التسهيل<sup>(٢٦)</sup>.  
- أنه لا يصح جعل هذا المتقدم جوابًا صناعة؛ إما لكونه جملة اسمية مجردة من الفاء في نحو: أنت ظالم إن فعلت، وكان حقَّ هذه الجملة الاسمية أن تقترب بالفاء لو كانت جوابًا كما هو معروف مشهور عند جميع النحويين، وإما لكونه جملة فعلية منفية مجزوم فعلها ب(لم)

كالببيت السابق وهي مقترنة بالفاء، والجواب المنفي بـ(لم) لا تدخل عليه الفاء، وإما لكونه فعلاً مضارعاً مرفوعاً، وهذا يناه في جعله جواباً؛ إذا الجواب مجزوم<sup>(٢٧)</sup>.  
- ومنها ما ردّ به ابن مالك احتجاج أبي زيد بالببيت السابق؛ إذ قال: " وليس بشيء لأنّ تقدير معطوف عليه خيرٌ من تقديم الجزاء على الشرط وتصدير حرف العطف"<sup>(٢٨)</sup>.

وقد أجيّب عن الأول - وهو عدم دخول الفاء - بأنّ الفاء إنما لم تدخل؛ لأنها لا تناسب الصدر، وهي خلف عن العمل، ولا عمل مع التقديم، وعن الثاني بأنّ الفاء قد تدخل على المنفي بـ(لم)، فقد أجاز الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾<sup>(٢٩)</sup> الآية أن يكون التقدير: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم.  
وأجيّب عن الثالث بأنّ رفع المضارع؛ لضعف الحرف أن يعمل مؤخراً، ذكر ذلك الأزهري في التصريح<sup>(٣٠)</sup>.

وقد نص الأزهري - رحمه الله - على أن الكوفيين ومن وافقهم أجابوا عن هذه الاعتراضات بما ذكر، وفيما ذكره نظرٌ من وجهين:

أحدهما: ما ذكره من دخول الفاء على المنفي بـ(لم) واحتجاجهم بقول الزمخشري في الآية؛ والزمخشري متأخّر، لا تقوم بقوله حجة، إلا أن يقال: إن هذا الرد قيل على لسان محتجّ لهم، والجواب عنه ما قدمت من تأخر الزمخشري.  
والآخر: ما ذكره في الجواب الثالث لا يصلح جواباً عند الكوفيين؛ لأنهم يقولون إن مرتبة الجزاء قبل الشرط، وحقّه التقديم والرفع، وأنه إنما ينجزم لمجاورته لفعل الشرط، وهذا سبق بيانه في تأصيل مذهبهم.

وممن اختار مذهب الكوفيين من المتأخرين عبد القاهر الجرجاني فيما نقله عنه صاحب التخمير، وابن القيم في البدائع، ولم أقف على ذلك في كتبه التي بين يديّ، بل الذي في المقتصد يدل على خلاف ما نقلاه<sup>(٣١)</sup>، وإليك عبارته بحروفها: "الدليل على أنّك إذا قلت: أتيتك إن أتيتني كان الشرط متصلاً بأتيتك، وأنّ الذي يجري في كلامهم من أنه لأبديّ من إضمار الجزاء ليس على ظاهره، ولكن لو توقفتنا على أنّ الشرط متقدم في النفي على الجزاء، أنا إن عملنا على هذا الظاهر صار إلى تبين ابتداء كلام ثانٍ، واعتقاد ذلك يؤدي إلى إبطال ما اتفق عليه العقلاء في الأيمان من أنّ افتراق الحكم بين أن يصل الشرط في نطقه وبين أن يقف ثم يأتي بالشرط، وأنه إذا قال لعبده: أنت حرٌّ إن شاء الله، فوصل لم يُعتق، وإذا قال: أنت حرٌّ، ووقف، ثم قال: إن شاء الله فإنه يُعتق"<sup>(٣٢)</sup> أ.هـ.

ومنهم ابن القيم في البدائع؛ إذ يقول بعد ذكر اختلاف البصريين والكوفيين في مسألتنا هذه، وبعد نقله كلام ابن السراج الذي قدمته في القول الأول: وقول الكوفيين هو الصواب، وهو اختيار الجرجاني، ثم ذكر قول الجرجاني المتقدم، وتعقبه بقوله: "ولم يكن به حاجة في تقرير الدليل إلى الوقف بين الجملة الأولى وجملة الشرط؛ فالدلالة قائمة ولو وصل؛ فإنه إذا قال: أنت حرّ، فهذه جملة خبرية ترتب عليها حكمها عند تمامها، وقوله: إن شاء الله، ليس تعليقا لها عندكم؛ فإن التعليق إنما يعمل في الجزاء، وهذه ليست بجزاء، وإنما هي خبر محض، والجزاء عندكم محذوف، فلما قالوا: إنه لا يعتق دلّ على أنّ المتقدم نفسه جزاء معلق، هذا تقرير الدلالة" (٣٣) أ.هـ.

### ردّ ابن القيم على أدلة المانعين:

قال ابن القيم -رحمه الله- بعد اختياره مذهب الكوفيين، رادا ما احتج به ابن السراج: "أما قول ابن السراج: إنه قصد الخبر جزماً ثم أعقبه بالجزاء فليس كذلك، بل بنى كلامه على الشرط؛ كما لو قال: له عليّ عشرة إلا درهما، فإنه لم يُقرّ بالعشرة ثم أنكر درهماً، ولو كان كذلك لم ينفعه الاستثناء" (٣٤).

ورد ما احتج به ابن السراج من أنّ هذا التقديم لا يقع إلا في ضرورة الشعر، فقال: ليس الأمر كما قال، فقد جاء في أفصح الكلام بكثرة، كقوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٥)، وقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣٦)، وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٣٧)، قال: فالصواب المذهب الكوفي؛ إذ التقدير لا يصر له إلا إذ لم يتم الكلام إلا به، فإذا تم الكلام فلا حاجة بنا إلى التقدير. (٣٨)

### وقد احتج ابن القيم لاختياره مذهب الكوفيين بأمر:

أحدها: أنّ تقديم الجزاء ليس بدون تقديم الخبر والمفعول والحال ونظائرها، فكما جاز تقديم هذه الأشياء فيجوز تقديم الجزاء على شرطه.

ثانيها: أنّ الشرط والجزاء جملتان قد صارتا بأداة الشرط جملة واحدة، وصارت الجملتان بالأداة كأنهما مفردان؛ فأشبهها المفردين في باب الابتداء والخبر، والخبر لا يتمتع بتقديمه على المبتدأ فكذلك الجزاء هنا.

ثالثها: أنّ الجزاء هو المقصود والشرط قيد فيه، وتابع له، فهو من هذا الوجه ترتيبه التقديم طبعاً، ولهذا كثيراً ما يجيء الشرط متأخراً عن المشروط؛ لأن المشروط هو المقصود، وهو الغاية، والشرط وسيلة، فتقديم المشروط هو تقديم الغايات على وسائلها، وتقدم الغاية على وسيلتها أقوى، فإذا وقعت في موقعها فأبى حاجة إلى تقديرها متأخرة؟

وأجاب عن قول البصريين بأن الشرط له صدر الكلام، وتقديم الجزاء يُخلُّ بتصدره، بقوله: هذه هي الشبهة التي منعت القائلين من تقديم الجواب، " وجوابها أنكم إن عنيتم بالتصدير أنه لا يتقدم معموله عليه، والجزاء معمول له؛ فيمتنع تقديمه، فهو نفس المتنازع فيه؛ فلا يجوز إثبات الشيء بنفسه، وإن عنيتم به أمرًا آخر لم يلزم منه امتناع التقديم" (٣٩).

وممن مال إلى مذهب الكوفيين في جواز تقديم الجواب واستحسنه الرازي في تفسيره عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِئْسَ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (٤٠) فجعل قوله (وهمَّ بها) هو الجواب، واستدل على ذلك بما تراه في ذلك الموضع من تفسيره. (٤١)

وقال أبو حيان عند حديثه عن جواب الشرط في آية يوسف السابقة: "... ولا نقول: إن جواب (لولا) متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها..." (٤٢).

فأبو حيان - عليه رحمة الله - لا يرى مانعاً يمنع من تقديم الجواب على الشرط، وإن كان اختار مذهب جمهور البصريين في هذه المسألة.

وقال عباس حسن في النحو الوافي بعد أن قرّر مذهب الكوفيين، وذكر أنهم لا يشترطون كون فعل الشرط ماضياً، بل يجيزونه في الماضي والمضارع على حدّ سواء، وذكر بعض أدلتهم: " والأخذ برأي الكوفيين - وإن كان ليس بالأعلى هنا - أنسب وأيسر؛ بسبب الشواهد القوية الكثيرة التي تؤيدهم، وبسبب ما يراه أكثر المحققين، وهو أن جواب الشرط قد يكون غير مترتب على فعل الشرط" (٤٣).

وممن رجح مذهب الكوفيين من المعاصرين الدكتور سمير شريف؛ إذ يقول وهو يتحدث عن التقديم والتأخير ضمن العمليات التحويلية في جملة الشرط: " تبين لنا من استقراء النصوص أن الجواب قد يتقدم تركيباً ودلالة، حتى عندما يكون الجواب المتقدم غير مقترن بالفاء، وهو الأمر الذي يرفضه كثيرون من النحاة، ونرى أنه صحيح..." (٤٤)

واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٥) ثم ذكر رأي البصريين من أن جواب (إن) في هذه الآية محذوف دل عليه ما قبله، كما هو المشهور من مذهبهم، فيكون أصل التركيب في نظرهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم، وذكر رأي الكوفيين من أن جواب الشرط في هذه الآية متقدم لفظاً ودلالة، ولا يكون محذوفاً من التركيب حتى وإن وجد في التركيب ألفاظ دالة عليه، وانتهى إلى أن رأي الكوفيين أقوى حجة (٤٦)

ثم قال: "ومهما يكن من أمر، فإن ما ذهب إليه البصريون خلاف الأولى، فقد وردت نصوص كثيرة واضح فيها وجه التقدم، وهو أولى بالاعتبار من القول بالحذف في النصوص التي قالوا بوجود الحذف لا التقديم فيها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤٧)</sup>، فقد جاء المشروط (إن عصيت ربي) محصوراً بين جزأي تركيب واحد، وهما: (إنني أخاف)، و(عذاب يوم عظيم)، فتكون الآية بذلك، على إيقاع: إن عصيت ربي فإني أخاف عذاب يوم عظيم، وأما على تقدير جمهور البصريين، فتقدير هذه الآية يكون على النحو التالي: إنني أخاف عذاب يوم عظيم، إن عصيت ربي فإني أخاف عذاب يوم عظيم، وفي هذا من الاعتساف والتكلف ما يربو على وصفه"<sup>(٤٨)</sup>.

وقال الدكتور إبراهيم الشمسان بعد ذكر المذهبين، وذكر ما احتج به ابن السراج على الفراء ورده مذهبه بما سبق ذكره في ثنايا هذا البحث: "إن الخلاف الذي دار بين البصريين والكوفيين في حال توسط الأداة حول ماهية الكلام السابق عليها ليس خلافاً حول تركيب واحد، وإنما هو خلاف ناتج عن اختلاف في التركيب موضوع الجدل، فيبدو أن كل مدرسة تتحدث عن تركيب يختلف عن التركيب الذي تتحدث عنه المدرسة الأخرى"<sup>(٤٩)</sup>.

وفرق بين التركيبين بأن التركيب الذي يدور كلام البصريين عليه هو تركيب الجمل الشرطية الجزائية، ومثال ذلك (إن يدرس زيد ينجح) فهذه الجملة مركبة من عبارتين، عبارة شرطية وهي (إن يدرس زيد) وعبارة جوابية (ينجح)، ولا تعبر إحداهما عن معنى كامل في حال إنفرادها، أما التركيب الذي يدور كلام الكوفيين عليه فهو الجملة الخبرية المشروطة، وهذه الجملة مركبة من جملة خبرية بسيطة + عبارة شرطية، كقولك (سيحضر زيد إن يدرك القطار)، والفرق بين التركيبين، أن التركيب الأول لا يمكن فيه الاستغناء عن جزء من مكونات الجملة، أما التركيب الثاني فيمكن الاستغناء عن العبارة الشرطية، وتبقى الجملة الخبرية البسيطة ذات فائدة، ولكنها تكون قد فقدت المعنى الذي تؤديه العبارة الشرطية<sup>(٥٠)</sup>.

إذاً فالكلام عند الدكتور الشمسان عبارة عن نمطين:

**النمط الأول:** الجملة الشرطية الجزائية، والنمط الثاني: الجملة الخبرية المشروطة.

غير أنه لاحظ أن النمط الأول قد يلتبس بالنمط الثاني في بعض الأحوال، وذلك حينما يقتضي سياق ما تقديم العبارة الجوابية على العبارة الشرطية، وبهذا يصبح مشابهاً من حيث ترتيب أجزائه للنمط الثاني، ورأى قصر هذا على الشعر تبعاً لابن السراج، كما هو ظاهر عبارته<sup>(٥١)</sup>.

هذا ملخص ما ذكره الدكتور الشمسان، ولي معه وقفتان:

**الوقفة الأولى:** أنّ هذا التفريق الذي ذكره لم يقل به أحد من العلماء من قبل؛ إذ هم مجمعون على أنّ النمطين أسلوبا شرط، ولهذا وجّهوا الجملة المتقدمة على الأداة بتوجيه لا يخرجها عن كونها جواباً، أو ساذّة مسد الجواب ودليلاً عليه.

**الوقفة الثانية:** النمط الثاني الذي ذكره فيه نظر ظاهر، وذلك أنّ هذا الأسلوب يكون في الجملة الإنشائية كما يكون في الجملة الخبرية، وقد مضى الاستشهاد بنحو قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٥٢)</sup>، وهذا كثير في القرآن العظيم؛ كما نصّ على ذلك ابن القيم فيما تقدّم<sup>(٥٣)</sup>، وفيه الردّ على قصر هذا الأسلوب على الشعر.

### مذهب المازنيّ:

أما ما ذكره أبو حيّان من مذهب المازني وهو القول الثالث في هذه المسألة فلم أقف عليه عند غير أبي حيّان، وهو مخالف لمذهب البصريين من أنّ هذا التقديم لا يجوز إلا إذا كان فعل الشرط ماضياً، ومخالف للجميع في جواز نحو: أنت ظالم إن فعلت.

### القائلون بجواز التقديم إذا كان فعل الشرط ماضياً:

المذهب الرابع - وهو مذهب بعض البصريين - كما ذكر ذلك أبو حيّان وأشرنا إليه في أول البحث، وهو ينص على جواز تقديم الجواب إذا كان فعل الشرط ماضياً، وسواء كان الجواب مضارعاً أم ماضياً، ولم يشر إلى تقدم الجملة الاسمية من نحو قولهم: أنت ظالم إن فعلت، ولم يذكر أبو حيّان أحداً من أصحاب هذا القول، وقد أشرت فيما تقدم من كلامي في القول الثاني أنّ المبرّد خيرٌ من يمثل هذا القول، وقد سقت عبارته هناك، وبينت أنّ كلامه لا يشبه كلام الكوفيين إلا في عموم جواز تقديم الجواب على الشرط.

ومن أصحاب هذا القول الصيمريّ صاحب التبصرة؛ إذ يقول: "وتقول آتيك إن آتيتي، وأكرمك إن أكرمتي؛ فتقدم الجواب وترفعه؛ لأنّ حرف الشرط لا يعمل فيما قبله، ولا يجوز في الكلام: آتيك إن تأتيتي، وأكرمك إن أكرمتي؛ لأنّ (إنّ) إذا عملت في الشرط فلا بدّ لها من جواب تعمل فيه أيضاً، فإذا قلت: أكرمك إن أكرمتي حسن؛ لأنّ (إنّ) لم تعمل في لفظ الشرط، وإنما عملت في موضعه..."<sup>(٥٤)</sup>.

ومنهم - أيضاً - صاحب التخمير، وهذه عبارته: "أعلم أنّ الجواب إذا تقدم حرف الشرط فإنه لا يعمل فيه وإن كان مضارعاً؛ وهذا لأنّ الحروف ضعيفة لا تعمل فيما قبلها، ولأحسن إذا قدّمت الجواب أن يكون ما بعد (إنّ) فعلاً ماضياً؛ ليتجاوب الجواب والشرط في إباتهما على حرف الشرط..."<sup>(٥٥)</sup>.



### الترجيح:

وبعد: فهذه أقوال العلماء في جواز تقديم جواب الشرط على الفعل والأداة، قد سقتها بأدلتها ومآخذها، والذي أميل إليه، وأراه أقرب للصواب هو القول الرابع، وهو قول لبعض البصريين ومنهم المبرد، والصيمري، وصاحب التخمير، وقد سقت من كلامهم ما يدل على هذا القول، وهو قول الفراء من الكوفيين، وهو أعدل الأقوال؛ لسلامته من المآخذ التي أخذت على الأقوال الأخرى، والذي دفعني إلى اختياره أمور منها:

- أن قول البصريين بالمنع مطلقاً أمر لا يعضده الدليل، كما نصّ على ذلك أبو حيان في كلامه على آية (يوسف).
- أن مذهب الكوفيين بالجواز مطلقاً، سواء كان ماضياً أم مضارعاً لا يستند إلى السماع القوي الذي يمكن أن يقاس عليه، أما الماضي فلا نزاع في جوازه، وأما المضارع فلم يرد فيه إلا القليل، وهو مخصوص بالشعر، وما كانت هذه حاله فلا سبيل إلى القياس عليه، أما الماضي فكثير جداً ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٥٦)</sup>، وقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ آبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥٧)</sup>، وهذا كثير جداً في القرآن العظيم<sup>(٥٨)</sup>.
- ما ذكره ابن القيم من أن الجزاء هو المقصود، والشرط قيد فيه وتابع له، فرتبته التقديم طبعاً، ويدل على ذلك مجيء الشرط متأخراً عن المشروط، لأن المشروط هو المقصود، وهو الغاية، والشرط وسيلة إليه، فتقديمه هو تقديم للغايات على وسائلها، وقد سقت كلامه هذا في الاحتجاج للمذهب الكوفي.
- أن الخلاف بين المدرستين أمر لفظي؛ فهم مجمعون على أن هذا المتقدم هو الجواب في المعنى، والخلاف في تسميته اللفظية أهو جواب الشرط أم ساد مسدّه ودليل عليه؟ وإذا كان الأمر كذلك فالقول ما قاله المجيزون؛ لأن المانع يقدر الجواب محذوفاً، ومعلوم أن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير لاسيما أن تقدير البصريين في غاية التكلف كما مرّ معنا في هذا البحث.

### الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، أحمدته على توفيقه، وأشكره على ما يسّر لي من إتمام هذا البحث، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد بن عبد الله إمام المتقين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين. وبعد:

فقد ظهر لي خلال بحثي هذا بعض النتائج أجمالها فيما يأتي:

- كثرة المباحث التي دارت حول الجملة الشرطية، واختلاف العلماء من المدرستين حول قضايا غير سيرة مما يتعلق بهذا الأسلوب، كالخلاف في العامل في الشرط والجواب، والخلاف في جواز تقديم معمول الجزاء أو الشرط على الأداة وغير ذلك من المباحث، والتي منها هذه المسألة التي جعلت البحث خالصاً لها.
- جُلّ مسائل هذه الجملة نوقشت بإسهاب عند ابن الأنباري في الإنصاف وغيره، إلا مسألتنا هذه، فقد كان الخلاف يلمسها لمساً رقيقاً جداً، إلا ما ذكره أبو حيان في الارتشاف، من ذكر أقوال العلماء في هذه المسألة، وجعلها أربعة مذاهب، قول للكوفيين وثلاثة للبصريين.
- أن الخلاف في هذه المسألة قديم جداً، ومنزع كل فريق يختلف عن الآخر، فجمهور البصريين يمنعون تقديم الجواب أو غيره على أداة الشرط؛ بحجة أنّ هذه الأدوات لها الصدر كالأستفهام فلا يتقدم عليها ما كان في حيزها، وأهل الكوفة لا يرون ذلك فيجيزون التقديم، ولهم في ذلك حجج أهمها أن الأصل في الجواب أن يكون متقدماً مرفوعاً، فإذا تأخر عن الشرط جُزم للمجاورة لفعل الشرط المجزوم، أما إذا تقدم فقد وقع في موقعه.
- أنّ الخلاف في هذه المسألة أقرب إلى الخلاف اللفظي؛ إذا الجميع مجمعون على أنّ هذا المتقدم هو الجواب في المعنى، غير أن البصريين يرونه دليلاً على الجواب ويقدرّون الجواب من لفظ هذا المتقدم، وأهل الكوفة يرونه هو الجواب بعينه، فلا يحتاجون لتقدير محذوف.
- يشترط البصريون في جواز هذا التقديم أن يكون فعل الشرط ماضياً لا تعمل فيه الأداة؛ لأنّ الأداة إذا عملت في الشرط فلا بُدّ لها من جواب تعمل فيه، ولم يخالف في ذلك إلا المازني؛ إذ أجاز هذا التقديم مع كون فعل الشرط مضارعاً.
- أهل الكوفة - سوى الفراء - يرون ذلك جائزاً، سواء كان فعل الشرط ماضياً أم مضارعاً، وهذا ما أضعف مذهبهم؛ فقياس المضارع على الماضي يحتاج إلى سماع لإثباته.

- تبين لي أن جعل المبرد موافقاً لمذهب الكوفيين من كل وجه أمرٌ غير سديد، فهو موافق لهم في مطلق جواز تقديم الجواب في مثل مسألتنا هذه، فالمبرد مذهبه هو المذهب المنسوب إلى بعض البصريين.
- الفراء يخالف أهل الكوفة في جواز التقديم إذا كان فعل الشرط مضارعاً، وهو موافق لمذهب بعض البصريين، ومنهم المبرد والصيمري، فينبغي أن ينسب مذهب الكوفيين إلى جمهورهم؛ إذ الفراء إمام من أئمة هذه المدرسة وهو مخالف لهم.
- أنّ المذهب الرابع وهو المذهب المختار - في نظري - مذهب خلا من تكلف القول بالحذف والتقدير كما في مذهب جمهور البصريين، وكذلك خلا مما في مذهب جمهور الكوفيين من قياس المضارع على الماضي في الجواز، وهو قياس مع الفارق.
- كثرة الآيات الواردة التي تؤيد كون فعل الشرط ماضياً في مثل مسألتنا هذه، وقد اكتفيت بالإشارة إلى (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) للشيخ عبد الخالق عزيمة؛ طلباً للاختصار.
- تبين لي ضعف دليل المنع عند المانعين؛ فهم يعتمدون في ردّ هذا الأسلوب على الدليل العقلي والمنطقي، وهو بعيد عن واقع اللغة، أما المجيزون فقد اعتمدوا على كثرة الشواهد الواردة، وابتعدوا عن التأويل والتقدير.
- هذا ما ظهر لي، والله تعالى أعلم.

## الهوامش والإحالات:

- (١) ينظر: الإنصاف ٦٠٢/٢ فما بعدها، المسألة رقم (٨٤).
- (٢) المصدر السابق ٦٢٣/٢، المسألة (٨٧).
- (٣) المصدر السابق ٦٢٠/٢، المسألة (٨٦).
- (٤) المصدر السابق ٦١٥/٢، المسألة (٨٥).
- (٥) ارتشاف الضرب ١٨٧٩/٤.
- (٦) الأصول ١٨٧/٢.
- (٧) الخصائص ٣٨٨، ٣٨٧/٢.
- (٨) الإيضاح في شرح المفصل ٢٥٥/٢.
- (٩) ينظر: شرح الكافية ٢٥٧/٢.
- (١٠) شرح الكافية ٢٥٨/٢، هذا مع (إن) أما إذا وقع غير ماضٍ مع (ما) أو (من) أو (أي) فيجب في السعة جعلها موصولات، وإعطاؤها حكم الموصول فتقول: أعط مَنْ يُعطي زيداً، وأحبب ما يُحببه، وأكرم أيهم يحبك، برفع الفعل والمجيء بالعائد، وكون الجملة لا محل لها، كذا قال الصبان في حاشيته على الأشموني ١١/٤، وقال المبرد: في المقتضب ٦٩/٢؛ ولو قلت آتي من أتاني للزمك أن يكون منصوباً بالفعل الذي قبلها، وهذا لا يكون؛ لأنَّ الجراء منفصل كالاستفهام، ولو قلت: آتيك متى أتيتني، أو أقوم أين قمت، على أن تجعل (متى) و(أين) ظرفين لما بعدهما كان جيداً.
- (١١) أوضح المسالك ٢٢١/٤.
- (١٢) الإنصاف ٦٢٣/٢.
- (١٣) الرجز لجرير بن عبد الله البجلي في الكتاب ٦٧/٣، وشرح أبيات سيبويه ١٢١/٢، ولسان العرب (بجل)، وله أو لعمر بن خثارم العجلي في خزنة الأدب ٢٠/٨، وبلا نسبة في شرح عمدة الحفاظ / ٢٥٤، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٨/٨.
- (١٤) البيت لزهير في ديوانه ١٥٣/، والكتاب ٦٦/٢، وشرح أبيات سيبويه ٥٨/٢، وشرح شواهد المغني ٨٢٨/٢، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢٠٧/٤، وهمع الهوامع ٦٠/٢.
- (١٥) البيت لزهير بن مسعود في نوادر أبي زيد الأنصاري / ٧٠، ولسان العرب (غسس) وبلا نسبة في الخصائص ٢٨٨/٢، قال أبو زيد الأنصاري: الغُسن: الضعيف، والمُغَمَّر: الغمَّر، وهو الذي لم يجرب الأمور، كذا قال في اللسان (غمر).
- (١٦) ينظر: الإنصاف ٦٢٣/٢، ٦٢٦.
- (١٧) ينظر: الإنصاف ٦٢٧/٢.
- (١٨) ينظر: المصدر السابق ٦٢٧/٢، ٦٢٨.
- (١٩) ينظر: الإنصاف ٦٠٨، ٦٠٢/٢.
- (٢٠) المقتضب ٦٨/٢ فما بعدها.
- (٢١) ارتشاف الضرب ١٨٨٠/٤.
- (٢٢) ينظر: ارتشاف الضرب ١٨٧٩/٤، والمساعد ١٥٠/٢.
- (٢٣) ينظر: الخصائص ٣٨٨/٢، وشرح الكافية الشافية ١٦١٠/٣، وارتشاف الضرب ١٨٧٩/٤، وشرح التصريح ٢٥٢/٢ فما بعدها.

- (٢٤) تقدم تخريجه في الحاشية (١٥).
- (٢٥) شرح التسهيل ٨٦/٢، وكذلك جاء عنه في شرح الكافية الشافية ١٦١٠/٢، فما بعدها، وقد جاء عن ابن مالك ما يدل على استحسانه لقول أبي زيد هذا في الكافية الشافية: إذ يقول:
- وما هو الجواب معنًى إن سَبَقَ      فشاهداً أبدأه من به نَطَقَ  
وهو الجواب نفسه عند أبي زيد      ومن والاه ليس بالغبسي
- شرح الكافية الشافية ١٦٠٢/٢.
- (٢٦) شرح التسهيل ٨٦/٢.
- (٢٧) ينظر: شرح المفصل ٧/٩، وشرح التصريح ٢٥٢/٢ فما بعدها.
- (٢٨) شرح التسهيل ٨٦/٢.
- (٢٩) جزء من آية (١٧) سورة الأنفال، وتخريج الزمخشري لها على ما ذكرنا في الكشاف ٢٠٧/٢، والفاء هي الفصيحة التي تفصح عن جواب شرط مقدر.
- وقال أبوحيان في البحر ٤٧١/٤: " وليست الفاء جواب شرط محذوف كما زعم، وإنما هي للربط بين الجمل؛ لأنه لما قال: ﴿ فَأَمْرِيؤُا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَمْرِيؤُا مِثْمَمٌ كَعَلَّ بَنَانٍ ﴾ - آية (١٢) من سورة الأنفال - كان امتثال ما أمروا به سبباً للقتل، فقيل (فَلَمَّ تَقْتُلُوهُمْ) أي: لستم مستبدين بالقتل..."
- (٣٠) شرح التصريح ٢٥٢/٢، فما بعدها.
- (٣١) ينظر: المقتصد في شرح الايضاح ١١٠٢/٢ فهو هناك يقرر مذهب البصريين.
- (٣٢) التخمير ١٥٠/٤، وبدائع الفوائد ٥٠/١.
- (٣٣) بدائع الفوائد ٥٠/١.
- (٣٤) المصدر السابق نفسه.
- (٣٥) البقرة ١٧٢/٢.
- (٣٦) الأنعام ١١٨/١.
- (٣٧) آل عمران ١١٨/١.
- (٣٨) ينظر: بدائع الفوائد ٥١/١.
- (٣٩) ينظر: بدائع الفوائد ٥٢.٥١/١.
- (٤٠) يوسف ٢٤/٢.
- (٤١) ينظر: تفسير الرازي ٩٤/١٨ فما بعدها.
- (٤٢) البحر المحيط ٢٩٤/٥ فما بعدها.
- (٤٣) النحو الواج ٤٥٥/٤.
- (٤٤) الشرط والاستفهام ٦٩/١.
- (٤٥) البقرة ٩١/١.
- (٤٦) الشرط والاستفهام ٦٩/١.
- (٤٧) يونس ١٥/١.
- (٤٨) الشرط والاستفهام ٧٠/١.
- (٤٩) الجملة الشرطية ١٧٨/١.
- (٥٠) المصدر السابق ١٧٨، ١٧٩.

- (٥١) المصدر السابق / ١٧٩، ١٨٠.
- (٥٢) البقرة / ١٧٢.
- (٥٣) ص ١٢ من هذا البحث.
- (٥٤) التبصرة والتذكرة ٤١٢/١.
- (٥٥) التخمير ٤/١٤٦.
- (٥٦) آل عمران / ١١٨.
- (٥٧) البقرة / ٩١.
- (٥٨) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣/٢٤٨، ٢٤٩ وقد ذكر ما يربو على مائة وعشرين موضعاً، وقد ذكرها تحت عنوان حذف جواب الشرط لتقدم الدليل عليه، وهو موطن الخلاف في هذه المسألة.

### المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق د. رجب عثمان محمد، و د. رمضان عبد التواب، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب النحوي، تحقيق د. موسى بناي العلي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية، إحياء التراث الإسلامي.
- البحر المحيط، أبو حيان، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة.
- التبصرة و التذكرة، الصيمري، تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين، ط١، من مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- التفسير الكبير - مفاتيح الغيب - الرازي، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، د. إبراهيم الشمسان، ط١، ١٤٠١هـ، مطابع الدجوي، القاهرة.
- حاشية محمد بن علي الصبان على الأشموني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب، البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، ١٩٧٩م الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخصائص، ابن جنبي، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- شرح أبيات سيبويه، السيرافي، دار المأمون للتراث، ١٩٧٩م دمشق و بيروت.
- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، هجر للطباعة و النشر.
- شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهرى، دار الفكر.

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبو العباس ثعلب، ١٣٦٢هـ - ١٩٤٤م مطبعة دار الكتب المصرية.
- شرح شواهد المغني، السيوطي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافظ، ابن مالك، تحقيق عدنان الدوري، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م مطبعة العاني، بغداد.
- شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي، من مطبوعات جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة - مكة المكرمة.
- شرح كتاب الكافية في النحو، رضي الدين الاسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
- شرح المفصل في صناعة الإعراب الموسوم بالتخمير، صدر الأفاضل القاسم بن الحسن الخوارزمي، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، ط١، ١٩٩٠م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، د/ سمير شريف سنيّة، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات العربية، دبي.
- كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، رتبه وصححه مصطفى حسين أحمد، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الريان القاهرة، دار الكتاب العربي بيروت.
- لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر، ودار صادر، بيروت.
- المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، تحقيق د. محمد كامل بركات، من مطبوعات جامعة أم القرى، مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة، ١٤٠٥هـ.
- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م دار الرشيد.
- المقتضب، المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- النحو الوالفي، عباس حسن، ط٢، دار المعارف مصر.
- النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م مؤسسة الرسالة.





# قناع عنتره ففي الشعر السعودي المعاصر

د. محمد مشعل الطويرقي  
أستاذ مشارك - جامعة الطائف



## الملخص

اقتنص الشعراء السعوديون الأبعاد الثرية التي تكتنزها شخصية عنتر، فوظفوها في أشعارهم وحملوها همومهم المعاصرة، واستثمروا مواقفها ليضيفوا لقصائدهم بعداً درامياً عن طريق التداخل وإلغاء عاملي التاريخ والجغرافيا، في حين لم يتنبه الشعراء العرب الآخرون لهذه الأبعاد ولم يستثمروا هذه الشخصية بما تستحقه، فجاءت صورتها لديهم محدودة ومشوّهة، كما يتضح ذلك في أشعار أمل دنقل، ونزار قباني، وحبيب الصائغ.

لقد تضافرت جهود الشعراء السعوديين وتكاملت على تشكيل قناع عنتر، واتسع على يديهم ليعبر عن موضوعات متعددة ومتباينة مثل: الفروسية، والانكسار، والحب، والخيانة..... وهذا ما كشفت عنه هذه الدراسة.



## مدخل

## مفهوم القناع:

القناع تشكيل لغوي يتوالد من المزج بين شخصيتين، إحداهما شخصية الشاعر والأخرى شخصية القناع، وتنجب هذه العلاقة كائنًا جديدًا يكتسب من صفات الشخصيتين معًا، لكنه لا يتطابق مع أي منهما. هذا الكائن الجديد كائن متلبس، يتكلم بأكثر من صوت، ويمتلك القدرة على اختراق الأزمنة، مما يتيح له حرية الحركة ويمنحه لغة توهم بأن ما يقوله حيادي ويمكن تحقيقه<sup>(١)</sup>.

تعود الريادة لاستدعاء هذا المصطلح من الأدب الانجليزي إلى الأدب العربي للشاعرين عبد الوهاب البياتي<sup>(٢)</sup> وصلاح عبدالصبور<sup>(٣)</sup>، وقد سبقهما الدكتور إحسان عباس إلى التعاطي معه في دراسته «الصورة الأخرى في شعر البياتي»<sup>(٤)</sup> لكنه لم يصرح باسم القناع بل أطلق عليه الصورة الكبيرة أو الأخرى<sup>(٥)</sup>.

بعد ذلك توالت الدراسات للقناع من حيث التنظير والتطبيق، وقد غلب عليها في الآونة الأخيرة الاستقصاء والتكرار، مما يشير إلى رسوخ مفهوم القناع وإجراءاته المنهجية والمعرفية، الأمر الذي يجعل الإفاضة في الحديث عنه تزيده لا طائل وراءه<sup>(٦)</sup>.

## شخصية عنتره من الأثر إلى النص:

عنتره بن شداد من أشهر الشعراء الفرسان في الجاهلية<sup>(٧)</sup>، كان هجينًا ابن أمة، ولم تشفع أبوة شداد له؛ فُعومل معاملة العبيد، وحالت كل من عبوديته ولونه دون حريته على الرغم مما كان يتوفر له من قوة ونبل وفروسية، ومع ذلك لم يخرج عنتره على القبيلة مثل كثير من الصعاليك، بل ظل يؤمن بقيمتها وقوانينها، ولا يعني هذا أنه كان مستسلمًا للواقع وإنما كان يفضل النضال من خلال القنوات العرفية لقوانين ذلك المجتمع ليحصل على حريته وحقوقه.

لقد كان الدفاع عن القبيلة والحفاظ عليها عند عنتره فروسية وبسالة يحتل بها مكانة الأحرار في صفحات التاريخ، وتحقق هذا الفعل كان بمثابة المعادل الذي يبرئ سقم نفسه ويشفيها:  
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وقد تضاربت الروايات حول هذه الشخصية التاريخية والأدبية، إذ يروى أنه شخصية أسطورية لا وجود لها<sup>(٨)</sup>، وتوغل الروايات في بيان وقوعه في الأسر ومصارعته الأسد، وقد كان شخصية قوية، لديها كل دوافع التمرد، وكان باستطاعته إعلان هذا منفردًا أو في حشد من أمثاله، لكنه أثر أن يعمل في ظل قوانين القبيلة التي دأب على الإعلاء من شأنها، وقد يكون وراء ذلك رغبته المحمومة للظفر بحب عيلة<sup>(٩)</sup>.

إننا أمام شخصية متعددة الأبعاد تجمع بين القوة والدعة، والفروسية والنبيل، والرق والحرية، والشبع والجوع، والصحة والمرض، والشباب والشيخوخة، عزت به القبيلة ولم تهن عليه نفسه، عندما احتاجته القبيلة تعامل مع الموقف بأخلاق الفرسان ولم تزده جفوة القبيلة وقسوتها إلا إصرارا على الدخول في نسيجها.

هذه الشخصية التي ملأت الذاكرة الثقافية وألهمت المخيلة الشعبية لم تستثمر بما تستحقه من قبل الشعراء العرب المعاصرين غير السعوديين؛ ففي الوقت الذي احتفلوا فيه بالشخصيات الشعرية أمثال امرئ القيس، والشنفري، وتأبط شرا، وقطري بن الفجاءة، وأبي نواس، ومهيار، ووضاح، والمتنبي... نجدهم يعزفون عن شخصية عنتره، فلم ترد هذه الشخصية عندهم محورا لقصيدة على الإطلاق<sup>(١١)</sup>، ليس هذا فحسب بل إن حضورها جزئيا في بعض القصائد كان مشوها وباهتا؛ فقد أسقط نزار قباني على هذه الشخصية دلالات بعيدة عما هو معروف في تاريخها، فهي شخصية مستبدة حولت البلاد إلى شقة مفروشة تمارس فيها النقائص، يقول:

هذي البلاد شقة مفروشة

يملكها شخص يسمى عنتره

ويسكر طول الليل عند بابها<sup>(١١)</sup>.

كما استحال عند الشاعر الإماراتي حبيب الصانع إلى شخصية مطاردة تتسكع في البارات:

فهلأ سألت

أيا عبلة الخيل عنه

أما زال في البار يشرب نخب الوصول<sup>(١٢)</sup>.

وهو نفس السؤال الذي وجهه عنتره القديم لعبلة لكن الإجابة مختلفة، وهي إجابة تتسع لرصد التناقض بين عنتره القديم وعنتره المعاصر.

أما صوت عنتره عند أمل دنقل فهو صوت شخص موتور أسير لماضي، غير معني بالقبيلة، يريد أن يقبض الثمن أولا حتى يكون الدفاع عن القبيلة مشروعا:

أنا الذي ما ذقت لحم الضأن

أنا الذي لا حول لي أو شأن

أنا الذي أقصيت عن مجالس الفتيان

أدعى إلى الموت ولم أدع إلى المجالسة<sup>(١٣)</sup>.

وهذا لا يتجانس مع صوت عنتره التاريخي الذي يببب على الطوى، ويفشى الوغى، ويعف عند توزيع المغانم.

وقد يعود السبب في ذلك إلى أن هؤلاء الشعراء، وهم في حالة اندفاع وثورة على ما أصاب الأمة من ضعف وهوان، لم يجدوا في شخصية عنتره ضالتهم ولم يروا فيه إلا شيخا مسالما لأعدائه، أعماه الحب عن المطالبة بحقوقه، وكأنني بهم قد غفلوا عن الأبعاد الشعرية التي تكتنرها هذه الشخصية، التي أزعج أن الشاعر السعودي قد اقتنصها بكل اقتدار، وهذا ما ستكشف عنه هذه الدراسة بمشيئة الله.

- ١ -

### أبعاد القناع الموضوعية

إن ثراء شخصية عنتره وتعدد أبعادها مكن الشعراء السعوديين من تحميلها همومهم المعاصرة فوظفوها في قصائدهم طرديا وعكسيا، واستثمروا مواقفها ليحققوا لقصائدهم بعدا دراميا عن طريق التداخل والغاء جغرافية الزمن، ولعل أبرز الأبعاد الموضوعية التي شكلت قناع عنتره في النصوص الشعرية السعودية التي اطلعت عليها ما يلي:

#### الانكسار والخيبة :

تجسد قصيدة محمد الثبيتي «أيا دار عبلة عمت صباحا» الهم العربي، ومأساة الأمة من خلال ما خلفته النكسات المتكررة، وكذلك الشعور بالقلق أمام التحولات الكبرى، مما أحدث هزة وخلخلة في البنى الاجتماعية والثقافية، فالإنسان العربي يحس بالخيبة والهوان أمام كل هذه الإخفاقات التي جعلته غير قادر على تمثل هويته الحضارية والاحتفاظ بأبعادها المشرقة. كل هذه الأمور شكلت الخلفية التي كانت وراء استدعاء شخصية عنتره استدعاء عكسيا ليوازي بها حالة العجز الكلي الذي تحيا فيه الأمة، والشاعر المعاصر أحد أفرادها، وقد توشحت القصيدة بالمفردات السوداوية مثل: الليل، الهزائم، الجروح، الأشباح، الموت، المراثي، الجدري، ومسخت كل شيء إلى نقيضه:

غريق ليل الهزائم سيفي

ورمحي جريح

ومهري على شاطئ الزمن العربي

يلوك العنان

أعائق في جسدي شبعا

مئخنا بالجراح

ومرثية للكمى الذي ضاع من يده

الصولجان

وفي كل يوم

أموت على الطرقات

ويفترس الجدري ملامح عشقي

ويمسخ لوني

٢٠٠



كأن حصاني لم يعزف الموت  
لحنا فريدا  
وحرّبا عوان<sup>(١٤)</sup>.

وفي ذات النسق تأتي قصيدة جاسم الصحيح «عنترة في الأسر» حيث يبدو السيف شاحب  
للمعان منكسر الصليل، والحصان فارق الصهيل، أما عنترة نفسه فهو أسير فقير:  
سيف هنالك شاحب للمعان منكسر الصليل  
ومُطَّهم ذبلت على شذقيه رائحة الصهيل  
وقصيدة مطعونة  
بقيت على الرمضاء ينزف من جراحتها العويل  
والفارس العبسي مغلول الملامح  
في انهيار المستحيل<sup>(١٥)</sup>.

وهذا الاستدعاء لا يفارق استدعاء الثبتي بل إنه يقصر عنه في التفاصيل التي أرتنا صورة  
الفارس وأدواته تضيع من يديه، والجدرى يفترس ملامح عشقه، ويمسخ لونه.....

### الفارس المخلص:

«في إيقاعات متورمة» لسعد الحميدين يتأكد أن التورم خبيث، حيث يعم الفساد هذا العصر  
فتنحو الأشياء نحو الغرابة التي يمكن من خلالها تصور وقوع الخوارق بظهور الفارس المخلص  
«عنترة» وبإمكانات الفروسية والبسالة ممتطيا صهوة جواده، ممتشقا حسامه ليفعل شيئا «ما»  
من أجل تغيير هذا الواقع الغريب، يقول:

يا سيدي  
هل عادت الخيول فوقها الفرسان  
أكاد لا أشك  
أن أشجع الشجعان  
قد جاء شاهرا بتاره  
ويعتلي شيخ الخيول الأبحر  
لأن في زماننا يا سيدي  
كل الأشياء تنحو للغرابة  
وتتكي على بساط وافر من الفوارق  
وخلفها الخوارق<sup>(١٦)</sup>.

فالشاعر يخاطب عنتره بقوله «يا سيدي» ويبحث فيه عن السيد الفاعل المخلص في زمن عز فيه السادة، ويسم مرارة السخرية التي تستدعي عنتره بالخوارق ويجعلها صانعة لسر الاستدعاء.

أما علي عمر عسيري فيستعير حالة «عنتره» في النضال والدفاع عن القبيلة فيجريها على لسان شيخ يتكلم لغة جيلية، موازيا بين الجادين في حياتهم والكسالى الذين يركنون إلى الإحساس باللذة العابرة من تعاطيهم للقات، ولكن هيهات أن تكون هذه النشوة كتلك التي كانت تعتري عنتره من جراء بسالته ونضاله:

فنجس بنشوة عنتره العبسي  
ولا نسكر<sup>(١٧)</sup>.

### حب الوطن

يستثمر أحمد الصالح في قصيدته «عندما يسقط العراف» حالة الحب بين عنتره وعبلة لكي تحمل دلالات القصيدة بجوار سائر الرموز التاريخية المحتشدة داخل هذا النص، يقول:

لا تحب الخيل عبلة  
تعشق الفارس عنتر  
تعرف الرمح  
وأشعار أبي الطيب  
والأرض لها طعم البكارة<sup>(١٨)</sup>.

ولا يخفى أن توظيف الحب بين الشخصيتين (عنتره، عبلة) في جو طقوس الفروسية لا يعني هنا غير حب الوطن، سواء أكان هذا الوطن هو ما ضم من رفات الشاعر القديم ومحبوته، أو القدس.

أما محمد الحربى فقد جعل قصيدته «العبسي يحاصر الذاكرة» معبرة عن الإنسان المعاصر في علاقته بالوطن، إذ تستغرقه شجاعة عنتره واضطهاده، والاعتراف بفروسيته وقت النزال وإنكاره فيما دون ذلك، والاشمئزاز من لونه الأسود، والتأكيد على عبوديته رغم تماهيه في القبيلة، وإعلانه لحب عبلة التي هي بعض منه، لا يفارقها ولا تفارقه لأنها وطنه وسكنه:

ملقى  
وعبلة لا تفارقتني  
لكأن رأسي خدرها  
ويدي أصابعها

...

خدرها وطن  
وعيناها يدان<sup>(١٩)</sup>.

لكن اللافت أن قصيدة الحربى لا تعبر عن الحالة الخاصة لظاهرة الحب بين عنترة وعبلة، وإنما هي تستخدمها للتعبير عن واقع معاصر يضم الشاعر ووطنه في اتحاد حلولي يجمع بين العاشق والمعشوق:

وارتعاشك بالحجاز الطائف الجبلي<sup>(٢٠)</sup>.

ويستحيل الحب إلى رثاء وذرف للدموع في قصيدة احمد الوايف «حذاء للسنين الهاربة»، حيث يقول:

أنا يا « عبل » تحملني إليك قصائد ثكلى  
وليل جائع الأقدام في عيني لا يبلى

.....

أجئ إلى خيام القوم أحمل في يدي كفني  
تجدف أرجلي زمني  
كأشجع فارس أبلى

.....

وكانت ناقتي هزمت  
وضاع السيف.... ذاك السيف في سفري

فبدلاً من قصائد الحب التي تحمل إلى عبلة الأمل جاءت قصائد الرثاء محملة بجمولة الفقد الدائم مغمورة في تشهي الزمن المظلم، زمن الليل الذي لا يبلى أبداً في عيني الشاعر، الذي يربط نهايته بالموت حيث تصبح الشجاعة تراثاً نظرياً، وتاريخاً لشخصية ضاع منها السيف وهزلت ناقتها من جراء السير في الفيافي التي أكلت من شحمها ولحمها وهي تصارع الجفاف و التصحر.

### الخيانة والاستبداد:

يبدو أن لغة نزار قباني المحملة باتهام عنترة بالخيانة قد تسللت إلى القصيدة السعودية، فقد أسقط أسامة عبدالرحمن في قصيدته «عنترة» أبشع صور الخيانة على عنترة بعد أن باع السيف والشرف والناقة والنخلة، وتخلّى عن عبلة وباع قلاذتها ووسادتها، يقول:

عنتره

قد باع كرامته

قد باع شهامته

قد ضيع قوته

قد ضيع حوله

قد حالف كل مليشيات المحتل

وقد أصبح ظلّه (٢٢).

ولا يختلف الأمر كثيرا في قصيدة أحمد الصالح «ما لهذا الأمر» عندما يبيع عنتره عبلة، يقول:

اقلب الصفحة..!!

هذا «عنتر»؟!

قد باع في الماخور عبلة

ومشى في الشانزلزيه

كقرء.. رقصت من نقر طبله (٢٣).

وهذه الصورة تؤول إلى ما تسلل إلى المخيلة الشعبية عن شخصية عنتره، وما حملته من عنترية وعدم التزام بالمبادئ، وهي صورة لا تتسجم مع ما عرف عن شخصية عنتره في مصادرها الأصلية.

### انتقاد العادات والتقاليد:

رأى الشاعر عبد الله بن سالم الحميد في صمود عنتره وعدم استسلامه للعادات والتقاليد القبلية وجها ثريا من أوجه هذه الشخصية، فأخذ يحملها مهمة انتقاد بعض العادات التي تقيس الإنسان بلونه وشكله لا بمعدنه وأصله، يقول في قصيدته «وقفه عنترية على أطلال بني عبس»:

وثلة هناك طيبون!!

اللون في عيونهم مقياس

والشكل في اعتقادهم أساس

والعرف والعادات والأجناس

في عرفهم مقياس

والمعدن الأصيل لا يقاس

من يعرف المعادن الأصيله؟

من يدرك القياس؟؟ (٢٤).

## حالة المرأة العربية المعاصرة:

استثمرت أشجان هندي حالة عبلة في قرانها بعنتره، وهي حبيسة الخيام في مضارب القبيلة وأسقطتها على حالة المرأة العربية المعاصرة وهي سجينه التقاليد العتيقة رغم وجودها في المجتمع المعاصر، فكلتاهما تجلد بالسياط من قبل الصعاليك وتحرمها التقاليد ممارسة الحقوق:

أيا دار عبلة

مقفرة بعدك العين

وأنت إذا علق الليل زينته في شحوب الغيوم

تحوم تحوم

تحوم ويلهب رجليك سوط الصعاليك

والشنفري

إذ يدب على أضلع الدار

يفتقها<sup>(٢٥)</sup>.

وتتجاوز في لغتها الأشياء المتناقضة وكأنما أرادت أن تقيم بناء لغويا يوازي حياتها، وهي لغة مسكونة بإرادة الحياة على الرغم من الصعوبات التي تواجهها، فالضحكة تخرج من ثنايا النار والحياة مستمرة على الرغم من محاولة اغتيالها على يد المغتصب:

ها.. صوت عبلة مختزن في هشيم الحطب

وضحكتها تمخر الصخر

تنشق عن عشبة يحتسيها اللهب

وحناؤها في كفوف الرمال

تشي ببقايا من النبض

يا للحياة تفتق في ساعد مغتصب

مخضبة بالغبار<sup>(٢٦)</sup>.

وهكذا يتضح تعدد الأبعاد الموضوعية التي نطق بها قناع عنتره في الشعر السعودي المعاصر وتنوعها، الأمر الذي يكشف عن ثراء هذه الشخصية وسعتها..

- ٢ -

### استراتيجيات التشكيل

تتجلى الأبعاد الفنية لقناع عنتره في الشعر السعودي من خلال العلاقة بين طريفي القناع، أنا القصيدة من جهة وشخصية عنتره من جهة أخرى، وما يرتبط بهما من عوالم وعلاقات، وقد تكشف النصوص الشعرية عن عدد من الاستراتيجيات الفنية التي شكل بها الشاعر السعودي المعاصر قناع عنتره لعل أبرزها:

#### انصهار الثنائيات:

يلتزم محمد الثبتي في قصيدته «أيا دار عبلة عمت صباحا» بتكنيك القناع بشكل متواصل، حيث يتداخل صوته مع صوت عنتره، وتمحي الفواصل الزمانية والمكانية، وتتجاوز المتناقضات، وتتوحد الشخصيتان لمواجهة الواقع العربي المبني على الهزائم المتكررة نتيجة لفرقة العرب وتشتتهم.

لقد جعل الثبتي عنتره يتحدث مسترسلا من خلال ظروف عصرنا نحن وليس عصره، فهو ذلك الفارس العظيم الذي ذبح بسيف هزائمنا المتتابعة، إنه رمز من رموز الماضي الجميلة وقد مسختها المعطيات السيئة للحاضر<sup>(٢٧)</sup>:

غريق بليل الهزائم سيضي

ورمحي جريح

ومهري على شاطئ الزمن العربي

يلوك العنان

أعائق في جسدي شبعا

مثخنا بالجراح

ومرثية للكمى الذي ضاع من يده

الصولجان<sup>(٢٨)</sup>.

لكن ليس هذا هو المستوى الوحيد الذي ينطق به القناع، فهناك مستوى آخر تشع منه الانتصارات والبطولات:

كتبت على صفحات البيارق

ملحمة من دمي

وألبست أرصفة الوطن المتمرد

ثوبا قشيبا من الأرجوان<sup>(٢٩)</sup>.

ويتلاشى التناقض الذي يتبدى لأول وهلة بين المستويين، وتتقارب المسافات حينما يتضح لنا أن هذه البطولات التي ينطق بها القناع إنما هي حالة تعيش في الذاكرة، يتكئ عليها البطل المعاصر المهزوم، وليست واقعا ملموسا يجب الاحتشاد له، إنها مجرد تغنٍ بأمجاد الزمن الماضي وبطولاته.

كما تتجاوز الأمكنة في هذا العالم على الرغم من التنوع الجغرافي والتباعد فيما بين هذه الأمكنة؛ فالوطن وإن كان متمردا إلا أنه وطن واحد، والصحراء بقسوتها وشظفها ترتوي من ماء دجلة والنيل، وشمسها تروي تيمًا وزحلة والقيروان:

كأنني لم ألق في ماء دجلة

والنيل

حزن الصحاري

ولم أسق من عرق الشمس

تيمًا..

وزحلة..

والقيروان<sup>(٣٠)</sup>.

وهكذا فانمحاء الفواصل بين اتجاهات الزمن، ومستويات الأمكنة يؤدي إلى اندغام طريفي القناع في بعضهما، بحيث يتخلى كل طرف منهما عن بعض صفاته بل معظمها؛ ليكتسب بعض صفات الطرف الآخر، لكن هناك صفات تظل عالقة بشخصية القناع، حتى إذا ما وجد الشاعر المعاصر فرصة لاستثمارها، بنى عليها بعض مقاطع قصيدته؛ إمعانا في الاتحاد والتلاحم، ففرقة العرب في الوقت الحاضر استدعت فرقة القبائل العربية قديما، وكما يكتوي الشاعر المعاصر بأثار هذه الفرقة يكتوي الشاعر القديم «عنترة» بالنيران المماثلة كما حدث في داحس والغبراء:

تري يا ابنة العم

ماذا جرى

وهل حمد القوم عند الصباح السرى

وداحس ماذا دهاه

أما زال يحجل من كبوات الرهان

ويمسح آثامه في جبين الزمان<sup>(٣١)</sup>.

### تماهي الهوية بين الإحتذاء والإبداع:

يبتدئ محمد الحربي قصيدته «العبيسي يحاصر الذاكرة» من حيث انتهى محمد الشيبتي، الذي آل أمره إلى الصراخ والاستغاثة، بعد أن افترس الجدري ملامح وجهه وأصبح مرمياً على الطرقات.

يقتنص الحربي حالة الضياع هذه فيفتتح قصيدته بكلمة «ملقى»، وهي كلمة شعرية ترتمي في أحضان الضياع وعدم الحاجة إلى هذا الكائن أو التأثر بفقدته، لكن المفارقة أن الحربي لم يستسلم ولم يصرخ بل أقام عالماً خيالياً يطامن به حدة السوء الذي يلقاه في واقعه، فأحال رأسه إلى بيت ليسكن عبلة فيه، فهو مسكون بحبها لا تفارقه، يقرأ ويكتب من خلالها:

ملقى

وعبلة لا تفارقتي

لكأن رأسي خدرها

ويدي أصابعها

تزيل الليل عن عينين واسعتين

اقرأ في سوادهما وأكتب - حين أكتب - دمعتين

خدرها وطن

وعيناها يدان<sup>(٣٢)</sup>.

لقد تفاعل الحربي مع شخصية عنتره؛ لما تكتنزه هذه الشخصية من قيم، فعنتره البطل رغم تنكر القبيلة له يحتل مساحة من أقاليم الذاكرة، وبلغه الشاعر إن القيم الموجودة في هذه الشخصية تحاصر الذاكرة بما تحويه من انتصارات، وبما تحويه من قمع أيضاً، ولهذا فإن هذا عنوان القصيدة «العبيسي يحاصر الذاكرة» هو البؤرة التي تتمحور حولها القصيدة، حيث يعد مفتاحاً لشعرية الانتصار، كما يعد مفتاحاً لشعرية الهزيمة في الواقع المعاصر. لذا فإن الزمكان يعد مسرحاً تلعب عليه منظومة القيم التي تجمع بين الشيء وضده كالعبودية والحرية، الإخفاقات والانتصارات، البغض والحب، الفرقة والاتحاد... دون أن يكتمل الموقف الإنساني وينمو الحدث في الواقع المعاش، وهذا ما جعل الشاعر يعود إلى التاريخ يستلهمه رؤياه المستقبلية العاجزة:

يا عبل بي جوع وطريفي لم ينم

لا السيف سيفي في الغبار

ولا القدم<sup>(٣٣)</sup>.



ولهذا فإنه في حاجة إلى روح تدب في جسده الهامد، والروح في قصيدته هي المياه التي يظل يبحث عن مصدرها بوصفها أصل الحياة، والحياة ليست فقط في الانتصار على الأعداء، وإنما هي في الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي. والرؤيا المستقبلية للشاعر هي أن يتحرر الإنسان من الذل والعبودية، والفقر والجهل، بحيث يكون له دوره الفاعل في الحياة:

قطعان قلبي

لم تجد مرعى يليق بجائع

وطيور عيني دون ماء

...

قطعان قلبي دون ماء<sup>(٢٤)</sup>.

وإذا كانت حياة الإنسان تتطوي على بطل منقذ مزود بقيمه حتى وإن آلت به هذه القيم إلى الحرمان، فإنه لن يخشى المخاطر التي تحاصره من جراء احتجاجه المستمر، وهو ذلك الأسود النافر الذي لم يتحرر من عبوديته رغم حاجة القبيلة الماسة لخدماته خاصة عند النوازل:

فعلام يحتاطون من لوني

ويرعبهم لساني

وأنا السنين تمر لم أبرح مكاني

وأنا القصيدة لم تتم<sup>(٢٥)</sup>.

لهذا فإن هذا الشاعر القديم أو المعاصر - لا فرق -، يظل مُلقَى على قارعة الطريق دون أن تفارقه قيمه وأحلامه مجسدة في عبلة الرمز:

ملقى

وعبلة لا تفارقتي<sup>(٢٦)</sup>.

فعبلة ذلك الحضن الدافئ، هي الوطن الذي يرتاح الشاعر على زنده، وهو في هذه الحالة عينان ساهرتان على حماية هذا الوطن على الرغم من جدل العلاقة بينهما، إذ رغم الجوع، وشح الماء فإن هذا الوطن لا يكف عن ههددة هذا الشاعر القديم أو المعاصر في أرض الحجاز، وبالتحديد في الطائف الذي تنعم جباله بالمطر الدائم، ومع ذلك فقد شحت المياه وغاب المطر عنه:

مدن تعلمك الكتابة والحديث

مدن تعلمك الرهان وكيف تخسر في الرهان

تركض من طفولتك الفقيرة

وارتعاشك في الحجاز: «الطائف» الجبلي

والماء الرضي

إلى ارتعاشك في سوادهما..

زمان غامض

والجوع وديان من الحزن الحثيث

لكن عيلة لا تفرط بالحديث<sup>(٢٧)</sup>.

ولعل هذا الحديث - الذي يتضمن الأسرار والهموم التي تجمع بين الشاعر والوطن - هو ما يدفع الفكرة لتخرج إلى حيز الوجود فتصير كتابة، حتى وإن كانت هذه الكتابة تنطوي على المغامرة وخسارة الرهان فإن الحالة التي بات عليها الشاعر من الفقر الذي نشأ معه في طفولته أو الذي رافقه في بواكير التاريخ العربي، لم يقو على قهره وإجباره على الخضوع والاستسلام. إن هذا الشاعر الممثل للإنسان في الحياة العربية مستعد للتضحية من أجل وطنه والدفاع عنه فليس لديه ما يخسره ولديه القدرة على مواصلة الحياة بالشيء القليل فهو يتوسد الحذاء ويلتحف السماء:

حذائي تحت رأسي

والسما خفيضة

ولصيقة بفي

ودمي تعطل عن مجارة الهواء

فمن يكفن أنجمي السقطت

ومن ذا شافع لخطيئة الأعراب<sup>(٢٨)</sup>.

في هذه اللحظة يتحول الرفض وعدم قبول الضيم إلى تمرد، فتحضر شخصية الخارجي قطري بن الفجاءة في هذا السياق:

من يؤوي الفجاءة

في نهار طلق التاريخ دورته

وتقاسم الأحزاب ثورته

فما من جذوة لخطاي

ما من رقية لخطى الصباح المظلم<sup>(٢٩)</sup>.

فمن خلال الجمع بين شخصيتي عنتره وقطري بن الفجاءة يحاول الشاعر أن يصنع تاريخاً جديداً حتى وإن كان في هذا التاريخ غموض لا يبده هذا الصباح الآتي، لأن الشاعر يرى - من

وجهة نظره - أن هذا الصباح مظلم أيضا، وإن قل إظلامه عن ليل التاريخ في الدرجة، والغموض الذي يكمن في حركة هذا الشاعر المتمردة مجسد في سطرين من التقطيط يعبران عن معنى هذا الصوت الغائب، على الرغم من القطع الزمني بين تاريخ وتاريخ وحالة وحالة، فالظلام يخيم على كل الحالات كما يوضح بيت عنتره:

إن كنت أزمعت الفراق فإنما زمت ركابكم لليل مظلم

فحالة الإظلام عند عنتره هي نفسها عند الحربي، حيث الصباح المظلم الذي يحمل يأس الشاعر من نجاح المحاولة رغم أنه يحشد لها من تاريخ الفوارس والخوارج ما يجعل دمه معطلا عن مجازاة الهواء السائد، ولكن هذا اليأس لا يدوم أمام الأمل الذي جعل الشاعر متلهفا إلى طاقة ترفع خطاه أو رقية تزيح عنه هذا الإظلام، ولعل هذا المسكوت عنه في التقطيط، والذي لا يقدر على البوح به، هو الذي جعله يطالب دار عبلة بالبوح به:

يا دار عبلة بالجوار تكلمي<sup>(٤٠)</sup>.

ولعل ما يتضمنه كلام عبلة هو نفسه ما تتطوي عليه الذاكرة التي يحاصرها العبسي ويجسده خروج قطري بن الفجاءة.

وهكذا يتماهى الشاعران في الغاية وإن اختلفت الوسيلة فإذا كان عنتره قد ناضل من أجل انتصار الوطن رغم تنكر القبيلة له، فإن الشاعر المعاصر قد استلهم الصباح الذي يأمل أن يخيم على وطنه رغم ما يتبدى له من معوقات.

### القناع التسجيلي:

من يطالع التاريخ العربي يجده يعج بالصراعات والفرقة في معظم فتراته، سواء أكان ذلك في الجاهلية أو بعد مجيء الإسلام؛ لذا فإن الاستغراق في التأسي على الماضي يشكل بعض أوجه هذا القناع، وبمعنى آخر فإن الحالة العربية بحاجة إلى فارس شمولي يصحح أوضاعها؛ وهذا ما جعل عبد الله الحميد يوقظ عنتره من كهفه ليسرد حكايته كما وردت في الأساطير، ويرسم صورة تسجيلية لجانبي البطولة والحب في هذه الشخصية، يقول:

من كهفه

قام الهمام عنتره<sup>(٤١)</sup>.

فالقصيدة تبشر بقيام عنتره من كهفه، وكأني به يستثمر قصة أصحاب الكهف الواردة في محكم التنزيل، وما انتظم حياتهم من تقوى وصلاح؛ ليضفي على هذا الفارس منظومة من القيم الأصيلة، قيم تبين عن معادن الرجال والفخر والوفاء والسلام:

عن فارس نامت عيون الأرض

وهو لا ينام

يبحث عن ملامح الفخر

والوفاء.. والسلام<sup>(٤٣)</sup>.

هذا الفارس يحمل على عاتقه مهام جسيمة بعد أن أسرج الخيل؛ لتوحيد الصفوف واسترداد ما ضاع من الأوطان سواء أكانت هذه الأوطان لعيس أم كانت لكليب:

ويسأل الناس عن الديار

والأطلال

..

يبحث عن مضارب بلا حدود

...

يسأل عن آثار عيس أو كليب<sup>(٤٣)</sup>.

لكن هذا الفارس لا يظفر في النهاية إلا بخيبة الأمل؛ لما يلاقيه من المقاومة التي يواجه بها من الكلاب والأسود:

فتبج الكلاب في طريقه

وتزأر الأسود

وتسج الأشواك ألف حد فاصل<sup>(٤٤)</sup>.

ولم يكن أمام الشاعر والحال هذه إلا أن يلجأ إلى قصة أهل الكهف مرة أخرى؛ ليستثمر ما آل إليه حالهم، ويعيد عنتره إلى كهفه:

وحائراً يعود

وحائراً يعود<sup>(٤٥)</sup>.

أما غازي القصيبي فهو يرشح «عنتره» بجانب عدد من عظماء التاريخ أمثال: مصعب بن الزبير، وطارق بن زياد، ويوليوس قيصر، ونابليون بونابرت، ودون كيشوت بحثاً عن فارس الفرسان الذي تفوق على غيره في احتلاله مكانة متميزة من صفحات التاريخ:

يا سيدي التاريخ

فارسك المفضل

يصمت التاريخ<sup>(٤٦)</sup>.

لكن القصيبي يسجل تاريخ عنتره على عكس ما روته التواريخ عن فروسيته، فهو في السبعين

من عمره، أعمى، يركب ناقه وليس فرسا، فيصيبه سهم الموت كسائر الكائنات دون أن يظهر أية مقاومة، وذلك ليكشف ما آلت إليه أحوال الأمة من شيخوخة في ركب الحضارة الإنسانية حين استكانت للماضي وتخلت عن مفاتيح النصر والقوة، وامتطت الناقه بديلا عن الفرس:

يا عبل! يا حبي الذي لم يهزم

..

حاربت حتى خر سيفي من يدي  
وهوى حصاني في كمين من دمي  
ولقد ذكرتك والحبال تحزني  
«فوددت تقبيل السيوف» لأنها  
أحنى وأرحم من شماتة أرقم<sup>(٤٧)</sup>.

فالسخرية الجميلة - هنا - هي عنصر المفارقة التي تجعل عنتره العبسي على يد غازي القصيبي شهيدا في فروسيته وحبه العميق لعبلة، ولقبيلته على الرغم من قسوة أهله وقد شنقوه في عبوديته ولونه معا.

وفي مداخلة الشاعر القصيبي الخاصة إلى كل امرأة من الجمهور يقرن الفروسية في النزال بالفروسية في الحب، إذ كتاهما تؤدي إلى هوان:

أرأيت فرسان الزمان  
يتأرجحون على ثرى التاريخ  
ما بين الكرامة والهوان<sup>(٤٨)</sup>.

### إضافة أبعاد جديدة للقناع:

حفظ الرواة من شعر عنتره ما انتظم في عقد الحب والفروسية والتسامح وسمو الأخلاق، إلا أن هناك أشعارا أخرى أسقطوها؛ إما عمدا حفاظا على صورة البطل الزاهية، أو سهوا حسب رواية الشاعر إبراهيم الوائلي الذي توفر على رواية هذه الأشعار في قصيدة أسماها «ما لم يحفظه الرواة من شعر عنتره العبسي».

تدور القصيدة على حالة الضياع والانكسار التي تعيشها الأمة عبر تاريخها الممتد، وأنبتت على ثلاث حركات:

الحركة الأولى: سرد لمشاهد سوداوية من الواقع.

الحركة الثانية: حلم.

الحركة الثالثة: تفسير الحلم.

في مفتتح القصيدة يلثم الشاعر الواه في الفجوة الزمنية بينه وبين شخصية عنتره فيتحدث عن الليل على نسق الشعراء القدماء، فالزمن العربي واحد، والليل واحد بدءاً من ليل امرئ القيس: «وليل كموج البحر» ومروراً بليل تأبط شرا: «وليل كجوف العير» ووصولاً إلى ليله هو «وليل كلون الجلد»

هذا الليل ظلّامه دامس لا يسلم إلى صباح، فقد غابت عيونه، وأفل نجمه، واغترب قنديلته، وهو ليل واسع قادر على الاحتواء والابتلاع:

ليل..

كلون الجلد

يبتلع العيون الحالمات

تخثرت في الأفق

تنتشق الغياب..!

النجم فوق جبينه

ألق شتائي

وقنديل اغتراب<sup>(٤٩)</sup>.

وتستمر القصيدة في تنمية الأحداث بشكل سوداوي تجسيدا لحالة الضياع التي تحياها الأمة بعد أن أحاط بها الأعداء وأحكموا قبضتهم عليها.

والنار حول خيامنا

نشرت نواجذها

..

الباب موصود

..

أم هل لعين

تسبر الأحلام

خانعة

لعرف الاغتصاب

من موطن حر

إذا ساخت خطا الفرسان

كانت

فوق هامات السحاب<sup>(٥٠)</sup>.

هذه الأحداث المساوية والمشاهد السوداوية أسهمت في تغييب العقل الواعي، وأسلمته إلى لحظة حلمية أنتجت شريطاً ممتداً من الكوايبس والنبوءات والظلام، وهو شريط تحققت فيه شرائط الحلم بالجمع بين أفكار متناثرة لا رابط بينها، يقول:

هل للعبيد

ذؤابة أخرى

وهل للضأن ثدي آخر

أم هل لهذي النوق

من راع جليل؟

أين الغزاة<sup>(٥١)</sup>.

لكن الشريط في بعض أجزائه يبشر بزوال الليل وشروق الشمس، وهي شمس غريبة لا ترى إلا في الأحلام، فهي شمس محمرة تستولي على الكئيبان وتسهل للمقبل. في الحركة الأخيرة من القصيدة يفيق الشاعر من غفوته فيتقمص دور مفسر الأحلام، فيقول:

يا أنت يا عبلاً القبيله

يا طعنة العم التي

تمو على قلبي

كنوار القفار<sup>(٥٢)</sup>.

عبلة هي الشمس، لكن عبلة هذه ليست عبلة التي لاكتها أسنة الرواة واستغرقها عنتره في الحب، لذلك فهو لا يناديها بابنة العم على طريقة عنتره، بل بطعنة العم، فيضيفها للقبيلة ويصفها بالفتيلة، وهي: نوار القفار، والنوء الذي هرعت له الرمال السمر، والنوء الذي استضوى رجال القبيلة، والسراج الذي يضيء الليل، وهي الأمل والخلاص:

يا أنت يا عبلاً الفتيله

يا ذلك النوء الذي

هرعت له

كل الرمال السمر

واستضوى رجال القبيلة<sup>(٥٣)</sup>.

لقد استمدت القصيدة نسيجها من مسكوت عنه لا نعلمه، وشعر لعنترة لا نحفظه، حتى عبلة تم تهमيش العلاقة التي كانت بينها وبين عنترة، وبهذا تحقق القصيدة شرط عنوانها وتتحدث عن المسكوت عنه بمصارحة ومكاشفة، إذ إن الوضع لا يحتمل المجاملة والتغني بالبطولات والأمجاد لا يجدي نفعا، وهذا لا يقوم به إلا رجال تلوح أعناقهم في الأفق ويرقصون على شفاه الموت:

أين الراقصون على شفاه الموت

بل أين الدليله

إني أرى في الأفق

أعناق الرجال

وأبصر الأنواء في شفتيك

تمطرني

بإعصار الوسيلة<sup>(٥٤)</sup>.

وهكذا يروي الشاعر إبراهيم الوافي ما سقط سهوا من شعر عنترة، ويكمل الفراغات التي أحاطت بالنص القديم والتي لم يحفظها الرواة فهم لم يحتفلوا إلا بالجانب المشرق من حياة هذه الشخصية أما الجانب الآخر المرتبط بالهزيمة فقد أغفلوه وأسقطوه.



-٣-

## أدوات تشكيل القناع

حاور قناع عنتره تاريخا عربيا ممتدا من الجاهلية إلى عصرنا الحاضر، ونبش الهزائم والانكسارات التي أحاطت بالأمة، وهو بهذا الشكل يقف في مواجهة مع الأنساق الثقافية المتوارثة التي تحكمت بالذاكرة والتي تعودت على التغمي بالأمجاد والبطولات الماضية، فكان لا بد أن يتوسل القناع بآليات وأدوات تقربه من المتلقي وتشعره بحياديته، ويمكن أن أوجزها فيما يلي:

## السردية:

يلجأ الشعراء وهم يتقنعون بالشخصية التراثية إلى سرد وقائع معروفة في حياة هذه الشخصية لإعادة تمثيلها، بتجسيدها وإعادة حكي وحداتها الصغرى بوصفها وحدات دالة على مساحات من البياض، أو متواليات غائبة، أو تنقيط يحتاج إلى لغة في خطاب الراوي، وهم بذلك يخلقون لغة فنية يكون فيها النص الشعري قادرا على هضم الكثير من خصائص النصوص السردية<sup>(٥٥)</sup>.

ففي «صدي الصهيل» يستثمر عبداللّه الحميد ما عرف عن بطولة عنتره فيخرجه من كهفه، ثم يمتطي فرسه، ويمتشق حسامه، بعد أن تدرع، وسبح في عالم الخيال، وبهذا يكون الشاعر قد أحال هذه الشخصية التاريخية إلى بطل أسطوري سواء كان في الوعي أو في الخيال، وليس في هذه الوسيلة تشويه لواقع الشخصية إنما هو توسيع لها وإثراء<sup>(٥٦)</sup>. ثم ينتقل الشاعر إلى وجهة أخرى تظهر فيها هذه الشخصية الباطنية باحثة عن المستحيل الذي يقف الواقع حائلا دون بلوغه، أما في الوحدة الثالثة من القصيدة فإن هذا الفارس الباطني «عنتره» لا يرى إلا كما يرى سائر الناس، في الديار والأطلال، فعنتره في هذه القصيدة هو الحلم الإنساني الذي يجسد ملامح السلام والوفاء، وإن كان الواقع الخرب في السردية لا يعادله إلا ضياع عيس أو كليب، وهذه هي الرؤية في القصيدة باعتبارها خلقا فنيا موازيا للعجز في الواقع.

كما استثمر عدد كبير من الشعراء قصة الحب بين عنتره وعبلة لكون هذه القصة تحتضن جزءا ضخما من تاريخ عنتره وسيرته وشعره:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل  
منى وبيض الهند تقطر من دمي  
فوددت تقبيل السيوف لأنها  
لمعت كبارق تغرك المتبسم

وحضورها يثير مشاعر ودلالات لدى المتلقي، تسهم في حفظ القصيدة من السقوط في السردية الباهتة وتحول دون سيطرة النبرة الخطابية عليها<sup>(٥٧)</sup>.

ففي قصيدة أحمد الصالح «عندما يسقط العراف» تساند شخصية عبلة شخصية عنتره في حمل إحدى دلالات القصيدة بجوار سائر الرموز التاريخية المحتشدة داخل هذا النص:

لا تحب الخيل عبلة  
تعشق الفارس عنتر  
تعرف الرمح  
وأشعار أبي الطيب  
والأرض لها طعم البكارة<sup>(٥٨)</sup>.

أما محمد الثبتي فهو يتلذذ بتقليب اسم عبلة بأشكال مختلفة في قصيدته «أيا دار عبلة عمت صباحاً» فتارة ينادي دارها، وتارة يناديها بابنة العم، وأخرى بـ «واعبلتاه»، ويتكرر ذلك بشكل لافت في أكثر من تسع مرات في القصيدة.

لقد تصدرت عبلة عنوان القصيدة كما تصدرت أغلب مقاطع القصيدة، ولم يكن تصدرها مجرد إشارات عابرة بل كان حضورها جوهرياً لا يمكن قراءة القصيدة بدونه. فقد استغل الثبتي حالة التماهي بينه وبين عنتره فأقام وشائج القرى بينه وبين عبلة من خلال مناداتها بابنة العم مما جعلها تحتل جانبا واسعا من قصيدته مقاسمة القناع حمل أعباء القصيدة.

وعبلة لا تفارق الحربي في قصيدته «العبيسي يحاصر الذاكرة»:

ملقى  
وعبلة لا تفارقتي<sup>(٥٩)</sup>.

وهي المفتاح الذي يحول كل السياقات والمفردات إلى دوال رمزية تشير إلى شخصية عنتره وصورته التاريخية، وهي أيضا المفتاح لذاكرته ولا يتحقق وجوده إلا بسماع صوتها وكلامها<sup>(٦٠)</sup>:

لكأن رأسي خدرها  
ويدي أصابعها  
تزيل الليل عن عينين واسعتين  
أقرأ في سوادهما  
وأكتب - حين أكتب - دمعتين  
خدرها وطن  
وعيناها يدان<sup>(٦١)</sup>.

لذا فهو يلجأ إليها في ختام القصيدة لتكمل المشوار، ولتقول ما لم يستطع قوله:  
يا دار عبلة بالجوار تكلمي<sup>(٦٢)</sup>.

لقد أسهمت عبلة في تشكيل قناع عنتره في الشعر المعاصر على نحو لم يتحقق لأي شخصية أخرى، ومكنت الشعراء المعاصرين من إثراء هذا القناع وتوسيعه فحلقوا به بجناحين أحدهما عنتره والآخر عبلة.

### الدرامية الذاتية:

تطوي قصيدة القناع على درامية ذاتية بمعنى أن السياق الثقافي للشخصية المستدعاة يفرض نفسه على الشاعر، ولأن الشاعر يسعى إلى إدخال هذه الشخصية في نسق جديد فإن التاريخي يتحول إلى إنساني عام، وتحل الموضوعية بديلاً للذاتية في فهم العقل الإنساني في صراعاته الداخلية والخارجية<sup>(٦٣)</sup>.

وتقارب قصيدة القناع الدراما من خلال المونولوج الداخلي، وهو حديث مفرد يقوم به شخص واحد لتقديم الحالات والعمليات النفسية بالتداعي الحر عن طريق الفيضان التلقائي أو مناجاة النفس وينقسم إلى مباشر يقدم فيه الكلام بضمير الغائب وغير مباشر يقدم فيه الكلام بضميري المتكلم والمخاطب<sup>(٦٤)</sup>.

ففي «أيا دار عبلة» يستخدم الثبتي المونولوج الداخلي بنوعيه، إذ يسرد الشاعر بضمير المتكلم: سيفي غريق، ورمحي جريح، مهري بلوك العنان، وملامح عشقي يفترسها الجدرى، يمسخ لوني، كأن حصاني، ألبست أرسفة الوطن ثوباً قشيباً.. وهكذا<sup>(٦٥)</sup>، وهي كلها حالات وصفية لحالات شخصية في الشعور واللا شعور، ثم يظهر ضمير الغائب في بعض مفاصل النص مثل: داحس ماذا دهاه، أما زال...، ثم ينتقل إلى ضمير المخاطب: أيا دار عبلة عمت صباحاً، من غال في صدرك الصبوات، من ذر على شعرك الذهبي الرمال<sup>(٦٦)</sup>... الخ ولعل سبب هذا التنوع في الضمير يعود إلى أن عنتره «يتحدث من خلال ظروف عصرنا نحن وليس عصره هو»<sup>(٦٧)</sup>.

وفي قصيدة محمد الحربى «العيسى يحاصر الذاكرة» يطفى ضمير المتكلم على ما عداه كما يتضح في: ملقى، لا تفارقتي، رأسى، يدي، حذائي تحت رأسى،، دمي، قطعان قلبي<sup>(٦٨)</sup>... فالذاكرة هي ذاكرة الشاعر ومفردات شخصية البطل هي مرتكزات الموقف عند هذا الشاعر، ولأن الشاعر راوٍ عام فإن المفهوم الإنساني يتسع ليستوعب هذه الذاكرة الفردية لتصبح ذاكرة أمة، وليس أية أمة، بل أمة لها موقف ورأي يتأسسان على قاعدة الاحتمال بالماضي والوقوف عند حدوده الزمانية في عجز عن اختراق الحاضر بمفردات هذا الماضي وتخطيه.

**الخاتمة :**

القناع أحد الأدوات الفنية التي عني بها الشعراء السعوديون بوصفه وجهاً من وجوه النظر إلى التراث، وقد استنطقت هذه الدراسة عدداً من النصوص التي اتخذت من شخصية عنترة قناعاً، ويمكن تدوين مجموعة من النتائج في خاتمة هذه الدراسة على النحو التالي:

حظيت شخصية عنترة باهتمام كبير من الشعراء السعوديون فحملوها همومهم المعاصرة واستثمروا مواقفها بأشكال مختلفة، وهو أمر لا تجده عند غيرهم من الشعراء العرب؛ حيث كان حضور هذه الشخصية لديهم محدوداً ومشوهاً.

التزم عدد من الشعراء السعوديون بتشكيل القناع بشكل متواصل، فتداخلت أصواتهم مع صوت عنترة، ويتمثل هذا الأمر في عدد من النصوص مثل "أيا يا دار عبلة عمت صباحاً" للثبيتي و"العبيسي يحاصر الذاكرة" للحربي، "ما لم يحفظه الرواة من شعر عنترة العبيسي" للواقي.

ما زال بعض الشعراء أسيراً للغنائية، فخاطب القناع بصوته المباشر مما أدى إلى تمزيق القشرة الدرامية التي تغلف القناع، ويتجلي هذا الأمر بوضوح في قصيدة "عنترة" لأسامة عبدالرحمن.

حملت شخصية عنترة دلالات لا تسجم مع تجربتها مثل الخيانة والاستبداد، وهذا ما يتجلي في قصيدة "عنترة" لأسامة عبدالرحمن، وقصيدة "ما لهذا الأمر" لأحمد الصالح.

جاءت صورة عنترة عند جاسم الصحيح في قصيدته "عنترة في الأسر" بنفس المدلول الذي جاءت عليه عند الثبيتي في قصيدته "أيا دار عبلة عمت صباحاً" بل قصرت عنها في بعض التفاصيل، مما أوقع قصيدة الجاسم في النمطية والتكرار.

## الهوامش والمراجع:

- ١- راجع: خلدون الشمعة: الشمس والعنقاء: دراسة نقدية في المنهج والنظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧١، ص ٢٠٠.
- ٢- عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٦٨، ص ٣٤، ٣٥.
- ٣- صلاح عبدالصبور، حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٠٢.
- ٤- نشرت الدراسة في مجلة الأداب ع(٣)، ١٩٦٦، ثم احتواها كتابه "من الذي سرق النار"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- ٥- د. إحسان عباس: من الذي سرق النار، مرجع سابق، ص ١٥٧.
- ٦- للإطلاع والاستزادة راجع:  
- خلدون الشمعة: مرجع سابق، ص ١٩٩ وما بعدها.
- جابر عصفور "أقنعة الشعر المعاصر - مهيار الدمشقي" مجلة فصول مج ١، ع ٤، ١٩٨١، ص ١٢٤ وما بعدها.
- محيي الدين صبحي: الرؤيا في شعر البياتي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٦، ص ١٥٩ و ١٦٠.
- سامح الرواشدة: القناع في الشعر العربي الحديث، دراسة في النظرية والتطبيق، جامعة مؤتة، مطبعة كنعان، إربد، ١٩٩٥، ص ٢١ و ٢٢.
- عبدالرحمن بسيسو: قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر، تحليل الظاهرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩، ص ٨٩ و ٩٠.
- عبدالله أبو هيف: قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٣ و ١٤.
- ٧- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، مجلد (٨)، ص ٢٣٥ و ٢٣٦.
- ٨- انظر: طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، ط ١٢، ١٤٥/١.
- ٩- انظر: عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٣٢.
- ١٠- راجع: عبدالرحمن بسيسو، مرجع سابق، ص ٢٤١ و ٢٤٢.
- ١١- نزار قباني، الأعمال السياسية ١/٤، ص ١٦١.
- ١٢- حبيب الصانع، هنا بار بنى عبس، دار الكلمة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٥٨.
- ١٣- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥، ص ١٠٨.
- ١٤- محمد الثبيتي، تهجيت حلما تهجيت وهما، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٤، ص ٦٨.
- ١٥- جاسم الصحيح، رقصة عرفانية، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٣، ص ٦١.
- ١٦- سعد الحميد، الأعمال الشعرية، مكتبة دار المدى، دمشق، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣، ص ١٩١.
- ١٧- علي عمر عسيري، رماد الوجه الحنطي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤٠٥، ص ٤٧.
- ١٨- أحمد الصالح، عندما يسقط العراف، دار المريخ، القاهرة، ط ١، ١٣٩٨، ص ١٤٣.
- ١٩- محمد جبر الحربي، خديجة، دار الكنوز الأدبية بيروت، ط ٢، ٢٠٠٤، ص ١١٣.
- ٢٠- نفس المصدر، ص ١١٤.
- ٢١- أحمد الوائلي، رائحة الزمن الآتي، مطبوعات نادي المدينة المنورة ط ١، ١٤١٧، ص ١٨.
- ٢٢- أسامة عبدالرحمن، دفاتر الشجن، دار الجديد، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٤٩.
- ٢٣- أحمد الصالح، انتفضي أيتها المليحة، دار العلوم للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٣، ص ٩٦.

- ٢٤- عبد الله سالم الحميد، صوت الحجارة وأصداء الصهيل، دار طويق، الرياض، ط١، ١٤١٨، ص٤٧.
- ٢٥- أشجان هندي، للحلم رائحة المطر، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٨، ص٢٧، ٢٨.
- ٢٦- نفس المصدر، ص٢٨.
- ٢٧- سعد البازعي، ثقافة الصحراء، دراسات في أدب الجزيرة العربية المعاصر، شركة العبيكان للطباعة والنشر الرياض، ط١، ١٤١٢، ص٢٤.
- ٢٨- محمد الثبيتي، مصدر سابق، ص٦٩.
- ٢٩- نفس المصدر، ص٧١.
- ٣٠- نفس المصدر، ص٧٠، ٧١.
- ٣١- نفس المصدر ص٧٢، ٧٣.
- ٣٢- محمد جبر الحربي، مصدر سابق، ص١١٢.
- ٣٣- نفس المصدر، ص١١٤.
- ٣٤- نفس المصدر، ص١١٥، ١١٦.
- ٣٥- نفس المصدر، ص١١٤.
- ٣٦- نفس المصدر، ص١١٢.
- ٣٧- نفس المصدر، ص١١٢، ١١٤.
- ٣٨- نفس المصدر، ص١١٥.
- ٣٩- نفس المصدر، ص١١٥.
- ٤٠- نفس المصدر، ص١١٦.
- ٤١- عبد الله سالم الحميد، انتقاضة القصائد، مطبوعات النادي الأدبي بالرياض، ١٤٢٣، ص٢٥.
- ٤٢- نفس المصدر، ص٢٧.
- ٤٣- نفس المصدر، ص٢٦، ٢٧.
- ٤٤- نفس المصدر، ص٢٦.
- ٤٥- نفس المصدر، ص٢٧.
- ٤٦- غازي القصيبي، ورود على ضفائر سناء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢، ص٥٠.
- ٤٧- نفس المصدر، ص٤٦.
- ٤٨- نفس المصدر، ص٤٥.
- ٤٩- إبراهيم الوائلي، سقط سهواً، جدة، ط١، ٢٠٠٠، ص١٥٢.
- ٥٠- نفس المصدر، ص١٥٢، ١٥٣.
- ٥١- نفس المصدر، ص١٥٤.
- ٥٢- نفس المصدر، ص١٥٥.
- ٥٣- نفس المصدر، ص١٥٦.
- ٥٤- نفس المصدر، ص١٥٦، ١٥٧.
- ٥٥- انظر: د. علي جعفر العلاق، الدلالة المرئية، قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٢، ص١٥٥.
- ٥٦- انظر: ديفيد كان، الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٢، ص٤١٦.
- ٥٧- انظر: عبد الله أبوهيف، مرجع سابق، ص٢٧.

- ٥٨- أحمد الصالح، مصدر سابق ص١٤٢.
- ٥٩- محمد جبر الحربى، مصدر سابق ص١١٢.
- ٦٠- انظر: د. علوي الهاشمي، التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث، كتاب الرياض، ١٤١٨، ص٢٥٣.
- ٦١- محمد جبر الحربى، مصدر سابق ص١١٢.
- ٦٢- نفس المصدر، ص١١٦.
- ٦٣- انظر: د. عبداللّه أبوهيف، مرجع سابق، ص٢٧.
- ٦٤- روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة وتقديم د. محمود الربيعى، دار المعارف مصر، ط٢ ١٩٧٥ ص٥٩.
- ٦٥- محمد الثبتي، مصدر سابق، ص٦٩-٧١.
- ٦٦- نفس المصدر، ص٧٢، ٧٤.
- ٦٧- سعد البازعي، مرجع سابق، ص٢٤.
- ٦٨- محمد جبر الحربى، مصدر سابق، ص١١٦.





# الجناس والتجليات الأسلوبية في شعر أمل دنقل

د. محمد عبدالرحمن عطا الله  
كلية الآداب - جامعة الطائف



## الملخص

يوضح البحث حقيقة مؤداها أن الجناس لا يعد زينة وتحسينا، بل هو نسق أسلوبى يعبر عن الشكل والمضمون معا.

وتناول البحث أربعة محاور رئيسية، الأول يشمل الدراسة الإحصائية، والثاني: يدرس الجناس في حشو السطور، والثالث: يدور حول الجناس في منطقة القافية، والرابع: يحمل عنوان الجناس وتوظيف التراث.

أما المحور الأول: فقد أسفر عن تفوق الجناس في منطقة القافية على الجناس في حشو السطور بنسبة ٤: ١ تقريبا.

وفي المحور الثاني: اعتمدت حركية النظام الصوتي في تقنية الجناس عند أمل دنقل - في الغالب - على ما يسمى بالاستبدال، وهو استبدال صوت أو أكثر محل آخر، وتحول الجناس بنماذجه المتنوعة إلى وسيلة أسلوبية أسهمت إسهاما فاعلا في التهام الشكل بالمضمون. أما الجناس في منطقة القافية فقد كثرت نماذجه بصورة واضحة باعتبار القافية انحرافا عن المعيارية، ومع كثرة الجناس في منطقة القافية، لم يكن وسيلة ضغط على المعنى، بل أفرزت دواله تماثلات دلالية ارتبطت بالسطر الشعري والسياق العام أشد ارتباطا.

وفي المحور الرابع: تجلى توظيف التراث في دوال الجناس من خلال الاعتماد على النص القرآني والنبوي وأقوال الصحابة والعلم التراثي والأسطورة القديمة، وكان لهذا أثره في إثارة المتلقي وتحريك ذهنه من خلال المراوحة بين النص الغائب والنص الحاضر.



يُعد الجنس أحد فروع البديع، الذي لاقى تهوينا من النقاد بسبب بعض النماذج الرديئة في تراثنا العربي، لكن يجب علينا «أن نعيد النظر في فهمنا لطواهر البديع لنخرج بها من الدور الهامشي المنحصر في التحسين والتزيين، لنكسبها دورا إيجابيا قوامه الإسهام في الخلق والبناء والتشكيل»<sup>(١)</sup>.

إن استخدام المبدع المحسنات لأبعد عييا، إنما هو «نسق أسلوبى له تشكلا ته الجمالية، وله قيمة الأسلوبية، شريطة أن تكون (المحسنات) في غير نماذجها الرديئة المتكلفة، وتقي عن الإحساس بتلك القيم، ويستطيع البحث الأسلوبى أن يستكشف تلك الجماليات الأدائية، بإعادة استشراف لغوي دقيق، شريطة أن يهمل النظر المتوازن المكتفى برصد ما يسمى بالمحسنات، وتكرار إشارات سقيمة تتكرر كلما تتكرر صورها، شريطة إغفال المتوارث عن مفهومها المحاصر في كونها مجرد حلية أو زينة، والتي لا يشفع لها الزعم بأنها قد تكون معنوية، أو قد تكون لفظية»<sup>(٢)</sup>.

والبديع نسق لغوي، لا يختلف عن الأنساق اللغوية الأخرى في العطاء الفني، فاللغة كما يرى سبيتزر «هي الشكل السطحي لعمق بعيد ضارب في القوة والحيوية، فاللغة بتجلياتها المختلفة ليست إلا الوجه الظاهري لشكل عميق باطن تربط بينهما وشائج لا تقطع وعرى لا تنفصم»<sup>(٣)</sup>.

ومن ثم لا يصبح البديع - بوصفه نسقا لغويا - زينة وتحسينا للكلام فحسب، بل لا ينفصم الشكل عن المضمون في كل أنماطه معنوية كانت أم لفظية.

ومع الإيمان بتأزر الشكل و المضمون في أنماط البديع، لا ننفي عنها خاصة اللفظية منها - بروز الجوانب الموسيقية، ولذا «دأب الشاعر المعاصر في البحث عن وسائل موسيقية يثري بها النص الشعري لديه تعويضا عما فقدته قصيدته من النواحي الموسيقية الخيلية»<sup>(٤)</sup>. وكانت الأنماط البديعية إحدى الوسائل الموسيقية التي اعتمدها الشاعر المعاصر أداة فنية ينقل بها تجربته إلى المتلقي.

والجناس نسق بديعي له سماته الصوتية المتميزة، ولهذا أطلق الدكتور سعد مصلوح على الجنس الناقص شبه التكرار<sup>(٥)</sup>.

ومن هنا كان الجنس حقا من حقول الأسلوبية التي تهتم «بالتكرار المعبر لبعض النغمات والسمات الصوتية، والنبرات المميزة والتراكيب الإيقاعية»<sup>(٦)</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن «أيقونة الجنس ليست مجرد جمع بين لفظين متشابهين في الشكل مختلفين في المعنى، إذ إنها خاصة إذا وفق الشاعر في توظيفها تكون ذات أثر فعال في المتلقي، فهي تدفعه حثيثا صوب الكشف عن المختلف من خلال المؤتلف»<sup>(٧)</sup>.

إذًا، في الجناس تتشابه الدوال وتختلف المدلولات، أو يتحد الشكل ويختلف المضمون وهذا ما قصده الدكتور رجاء عيد بقوله<sup>(٨)</sup>: «أن يكون (الجناس) ذا مسار فني يدفع المستمع إلى إقامة مقارنة تدفعها مفارقة، الأولى: ناتجة عن تشابه اللفظين، والأخرى: ناتجة عن اختلاف المعنيين»<sup>٠</sup> ومن كل ما سبق يتضح أن الجناس التثام في الظاهر وتشظ في الباطن، ومن ثم كثرت نماذجه في شعر أمل دنقل، فهو تعبير عن ذاته التي تحاول الالتئام بينما هي في حقيقة الأمر ذات متشظية تشد مجتمعا مثاليا، فيلوح أمامها الحلم سرايا<sup>٠</sup>

وليس هذا ضربا من المغالاة، فقد وضع سببترز «التطور النحوي والصريفي والصوتي في شبكة العلاقات الأخرى المتداخلة مع تاريخ الأدب ونفسية المتكلم، فطبيعة التراكيب وأشكالها هي انعكاس خاص لنفسية المتكلم»<sup>(٩)</sup><sup>٠</sup>

كل الأسباب السابقة دفعتني لاختيار الجناس في شعر أمل دنقل موضوعا للبحث، وقد اعتمدت على الأعمال الكاملة لشعر أمل دنقل التي قامت بنشرها الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة<sup>٠</sup> ويمكن تقسيم البحث إلى أربعة محاور، الأول: يشمل الدراسة الإحصائية، والثاني: يدرس الجناس في حشو السطور، والثالث يدور حول الجناس في منطقة القافية، والرابع: يحمل عنوان الجناس وتوظيف التراث<sup>٠</sup> ويمكن دراسة هذه المحاور على النحو التالي:

### أولا: الدراسة الإحصائية للجناس في شعر أمل دنقل

يلعب الجناس دورا كبيرا في شعر أمل دنقل، فهو يثري النص من خلال شحنه بقدر كبير من النغم الموسيقي، مع ملاحظة اختلاف المدلولات<sup>٠</sup>

والمتصفح لديوان أمل دنقل يجد شيوع الجناس الناقص في منطقتي الحشو والقافية، وندرة الجناس التام فيكاد يختفي تماما من شعره، ومن ثم نرى بنية الجناس بنية فاعلة في مختلف النصوص، ويلعب الجناس أيضا دورا في توليد البنى المتوازية في نصوص كثيرة، مع تنوع الدلالة، وسوف يظهر شيوع هذا النوع من الجناس من خلال الإحصاء إن شاء الله<sup>٠</sup>

وفي هذه الدراسة الإحصائية يمكن قياس نسبة الجناس لعدد القصائد في الديوان البالغة ٧٩ قصيدة، وكذلك قياس نسبة الجناس لعدد صفحات الديوان الخالصة للطباعة البالغ عددها:

٣٧٧ صفحة<sup>٠</sup>

والإحصاء يشمل الجناس في حشو السطور ومنطقة القافية كلاً على حدة، ويتضح ذلك من خلال الجدولين الآتيين:

## أ- نسبة الجناس في حشو السطور:

النسبة مقاسة إلى عدد صفحات الديوان	النسبة مقاسة إلى عدد القصائد	تردد الجناس في الحشو	عدد صفحات الديوان	عدد القصائد	الديوان
		٢٥	٥٦	١٦	١- مقتل القمر
		٢٢	٩٤	١٨	٢- البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
		٢٩	٦٩	١٣	٢- تعليق على ما حدث
		٢٦	٦٠	٩	٤- العهد الآتي
		٢٣	٢٨	٣	٥- أقوال جديدة عن حرب البسوس
		٣٨	٥٠	١٣	٦- أوراق الغرفة (٨)
		٤	٢٠	٧	٧- قصائد متفرقة
٤٤٪ تقريبا	٢١١٪ تقريبا	١٦٧	٣٧٧	٧٩	المجموع

## ب- نسبة الجناس في منطقة القافية:

		٧٤	٥٦	١٦	١- مقتل القمر
		١٢٨	٩٤	١٨	٢- البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
		١٠٤	٦٩	١٣	٢- تعليق على ما حدث
		٨٠	٦٠	٩	٤- العهد الآتي
		٣٦	٢٨	٣	٥- أقوال جديدة عن حرب البسوس
		٤٠	٥٠	١٣	٦- أوراق الغرفة (٨)
		٢٦	٢٠	٧	٧- قصائد متفرقة
١٣٢ تقريبا	٦٣٠٪ تقريبا	٤٩٨	٣٧٧	٧٩	المجموع

من الجدولين السابقين يتضح أن نسبة تردد الجناس في حشو السطور تكاد تكون متقاربة في الدواوين المختلفة، باستثناء قصائد متفرقة التي وردت في آخر ديوان لأمل دنقل، فقد قل الجناس فيها بنسبة ملحوظة.

أما بالنسبة لتردد الجناس في منطقة القافية، فقد سجل ديوان "أقوال جديدة عن حرب البسوس" ٢٦ تردداً، وهذه نسبة تُعد مرتفعة إذا وضعنا في الحسبان أن الديوان يشتمل على ثلاث قصائد فقط، وهي "لاتصالح - أقوال اليمامة - مراثي اليمامة".

أما القصائد السبع المتفرقة، فقد سجلت ٢٦ تردداً في منطقة القافية، وهذا يعد أقل الترددات، يليها ديوان "أوراق الغرفة ٨"، الذي تردد فيه الجناس في منطقة القافية ٤٠ مرة في ١٢ قصيدة.

ويأتي بعده في المرتبة الديوان الأول لأمل دنقل "مقتل القمر" حيث ورد الجناس في القافية ٧٤ مرة في ١٦ قصيدة. أما باقي الدواوين فتكاد تكون فيها النسب متقاربة.

ويمكن لتعليل انخفاض نسبة تردد الجناس في منطقة القافية في هذه الدواوين الثلاثة عن باقي الدواوين الأخرى علي النحو التالي:

يُعد ديوان "مقتل القمر" الديوان الأول لأمل دنقل، وفيه بعض القصائد العمودية، التي عمد الشاعر إلى كتابتها بطريقة السطر الشعري. مثل قصائد: طفلتها - يا وجهها - شيء يحترق - قالت - استريحي - رسالة من الشمال. ومن ثم لم يكثر الشاعر من تلك التقنية المتمثلة في الجناس التي تعوض الخفوت الموسيقي في شعر التفعيلة.

وديوان "أوراق الغرفة ٨" يضم القصائد الأخيرة التي كتبها أمل دنقل طوال فترة مرضه الذي صارعه قرابة أربع سنوات من أوائل سبتمبر ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٢. فالديوان ينطوي على أوراق الغرفة رقم ٨ وهي آخر الغرف التي قاوم فيها أمل مرضه، قرابة عام ونصف في الدور السابع من المعهد القومي للأورام، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٢<sup>(١٠)</sup>.

إذاً، قلة الجناس في منطقة القافية في هذا الديوان مقاسا بالدواوين الأخرى، ترجع إلى المعاناة الشديدة التي لاقاها أمل دنقل في أثناء مرضه، وهذه المعاناة لا يناسبها تزيين أو تحسين، فقد انخفضت نسبة الجناس في قصائد: الجنوبي - زهور - سبتمبر - الطيور. واختفى تماماً من قصائد: ضد من - السرير - الموت.



أما انخفاض نسبة تردد الجناس في منطقة القافية في القصائد السبع المتفرقة، فيعود إلى قصر القصائد، واعتماد الشاعر في هذه القصائد على التوازي في معظم القوافي، مما يعوضه عن استخدام الجناس، وتضم هذه القصائد قصيدتين عموديتين، الأولى: قصيدة "لا أبكيه" فقد كتبت بالشكل العمودي التراثي، والثانية: قصيدة "أيدوم النهر" التي كتبها الشاعر بالشكل السطري على نمط شعر التفعيلة.

### ثانياً: الجناس في حشو السطور

اعتمدت حركية النظام الصوتي في تقنية الجناس عند أمل دنقل - في الغالب - على ما يسمى بالاستبدال بمعنى «أن يحل صوت أو أكثر محل آخر ٠٠٠ فيتغير بذلك المعنى إيجاباً أو سلباً»<sup>(١١)</sup>. فترى أمل دنقل يستبدل صوت الميم بصوت اللام، وهما صوتان مجهوران يندرجان تحت الأصوات البينية التي تمتاز بالوضوح السمي<sup>(١٢)</sup>، حيث يقول في قصيدة «طفلتها» من ديوان «مقتل القمر»:

إِنِّي أَعْرِفُهَا فَاقْتَرِبِي      فَكَلَانَا فِي طَرِيقِ أَخْطَاءِ  
سَاقَتِي حُمَقِي وَفِي حَلْقِي مَرَا      رَةَ شَوْقٍ وَأَمَانَ صَدَائِكَ  
فَابْسُمِي يَا طِفْلَتِي مُنْذُ مَضَتْ      وَابْتِسَامَاتِ الضُّحَى مُنْطَمِتَةً<sup>(١٣)</sup>

إن الاستبدال في (حُمَقِي - حَلْقِي) أدى إلى تباين المعنى، وبقي الإيقاع الموسيقي له حضوره، لاعتماده على التكرار الصوتي، والتوازي بين الكلمتين، وكذلك التجاور المكاني بينهما. ويستبدل الشاعر صوت الكاف المهموس بصوت الراء المجهور في بعض مقاطع القصيدة التي تحمل عنوان ديوان «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة»، يقول:

قِيلَ لِي أَحْرَسُ  
فَحَرَسْتُ، وَعَمَيْتُ وَانْتَمَمْتُ بِالْخَصِيَانِ  
ظَلَلْتُ فِي عَيْبِدِ عَبَسِ أَحْرَسُ الْقَطْعَانَ  
.....  
.....  
وَهَا أَنَا سَاعَةَ الطَّعَانِ  
سَاعَةَ أَنْ تَخَاذَلَ الْكُمَاةُ ٠٠ الرُّمَاءُ ٠٠ وَالْفِرْسَانُ  
دُعَيْتُ لِلْمِيدَانِ  
أَنَا الَّذِي مَا دُفَّتْ لَحْمَ الضَّانِ  
أَنَا الَّذِي لَا حَوْلَ لِي أَوْ شَانَ

أَنَا الَّذِي أَقْصَيْتُ عَنْ مَجَالِسِ الْفَتِيَانِ  
أُدْعَى إِلَى الْمَوْتِ، وَلَمْ أَدْعُ إِلَى الْمَجَالِسَةِ (١٤)

جانس الشاعر بين (الكماة- الرماة) في قصيدته التي كتبها إبان نكسة ١٩٦٧، واعتمد في نقل تجربته على رمزين تراثيين، الرمز الأول: زرقاء اليمامة، والرمز الثاني: عنتره بن شداد، ومثلت زرقاء اليمامة الفئة المثقفة من الشعب الذين حذروا الفئة الحاكمة من أخطار النكسة، ولم تعبأ برأيهم، ثم أثبتت الأحداث بعد ذلك صواب هذه الرؤية.

والرمز الثاني الذي بين أيدينا في هذه السطور: عنتره الذي يرمز إلى الجندي المصري والمواطن المصري، فكلاهما عاش مهمشاً، وعندما حاق الخطر بالبلد زُجَّ بهما في ساحة النزال . إن الكماة والرماة بوقعهما الموسيقي الجميل مثلتا منطقة الضد، أو بالأحرى المفارقة بين سادة عبس وعنتره العبد، أو بين السلطة وبين المواطن المصري على حد سواء . فالجناس هنا لم يكن وسيلة ضغط على المعنى، بل أضحى وسيلة ربط بين الماضي والحاضر، فهو ينبئ عن نوع من أنواع الظلم الذي لم تختلف صورته في أي عصر من العصور .

ويعتمد أمل دنقل على استبدال صوت مهموس بآخر مهموس، واستبدال صوت مجهور بآخر مجهور في قصيدة « الخيول » من ديوان « الغرفة ٨ »، يقول :

أَرْكُضِي لِلْفَرَارِ  
أَرْكُضِي أَوْ قَفِي فِي طَرِيقِ الْفَرَارِ  
تَنْسَاوِي مَحْصَلَةَ الرُّكْضِ وَالرَّفْضِ فِي الْأَرْضِ ،  
مَاذَا تَبَقَّى لَكَ الْآنَ ،  
مَاذَا

سَوَى عَرَقٍ يَنْصَبُّ مِنْ تَعَبٍ  
يَسْتَحِيلُ دُنَانِيرَ مَنْ ذَهَبَ  
فِي جُيُوبِ هُوَاةِ سَلَالَتِكَ الْعَرَبِيَّةِ  
فِي حَلَبَاتِ الْمَرَاهِنَةِ الدَّائِرِيَّةِ  
فِي نَزْهَةِ الْمَرَكَبَاتِ السِّيَاحِيَّةِ الْمُشْتَهَاةِ  
وَفِي الْمَتْعَةِ الْمَشْتَرَاةِ  
وَفِي الْمَرَاةِ الْأَجْنَبِيَّةِ . تَعْلُوكِ تَحْتَ  
ظِلَالِ أَبِي الْهُوَلِ .

هَذَا الَّذِي كَسَرَتْ أَنْفَهُ  
لَعْنَةُ الْإِنْتِظَارِ الطَّوِيلِ<sup>(١٥)</sup>

نلاحظ أن أمل دنقل هنا يستبدل الكاف المهموسة بالفاء المهموسة في (الركض - الرفض)، أما كلمة الأرض المجاورة لهما فقد أحدث الشاعر فيها نوعا من الخلطة فزحح الراء عن مكانها، وتم الاستبدال في صوت الهمزة المجهور<sup>(١٦)</sup>، مما كان له أكبر الأثر في كسر حدة الإيقاع.

والجناس هنا بين (الركض - الرفض) يتأزر مع السياق في إحداث المفارقة التي تتسم بها هذه السطور، أو بالأحرى التي تلف القصيدة بأسرها، وهناك تقابل بين (الركض والرفض)، والتقابل في حد ذاته مفارقة، لكن هذا التقابل الذي يقوم على تمايز الأشياء يفقد وظيفته، فلا يحدث تمايز بين الضدين، بل تتساوى محصلة (الركض والرفض)، وهذه مفارقة أعظم، سببها كسر المؤلف أو المعتاد، فقد فقدت الخيل مهمتها ولم تعد رمزا للفتح أو النضال، بل تحولت إلى متعة تُباع وتُشترى، والأنكى من ذلك مارست المرأة الأجنبية الفعل الذكري وامتنعت ظهرها تحت تغطية عربية، مثل أبو الهول المعادل الموضوعي لهذه التغطية.

ولا يعتمد أمل دنقل الاستبدال الصوتي في كلمتين فحسب، لكن تتسع المساحة فتشمل مجموعة من الكلمات، وتكون هندسة الكتابة الشعرية لها أثرها، حيث قام بتقطيع بعض الكلمات إلى حروف هجائية محدثا تجانسا صوتيا وداليا بينها.

يقول في قصيدة «سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس» من ديوان «العهد الآتي»:

الْبَسْمَةُ حَلْمٌ  
وَالشَّمْسُ هِيَ الدِّينَارُ الزَّائِفُ  
فِي طَبَقِ الْيَوْمِ  
(مَنْ يَمَسُّحُ عَنِّي عَرَقِي فِي هَذَا الْيَوْمِ الصَّائِفِ)  
وَالظِّلُّ الْحَائِفُ  
يَتَمَدَّدُ مِنْ تَحْتِي ،  
يَفْصَلُ بَيْنَ الْأَرْضِ ٠٠ وَبَيْنِي  
تَضَاءَلْتُ كَحَرْفٍ مَاتَ بِأَرْضِ الْخَوْفِ  
(حَاءٌ ٠٠ بَاءٌ)  
(حَاءٌ ٠٠ رَاءٌ ٠٠ يَاءٌ ٠٠ هَاءٌ)  
الْحَرْفُ: السَّيْفُ

مَا زَلْتُ أُرُودُ بِلَادَ اللَّوْنِ الدَّاكِنِ  
أَبْحَثُ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَالْمَوْتَى الْأَحْيَاءَ  
حَتَّى يَرْتَدَّ النَّبْضُ إِلَى الْقَلْبِ السَّاكِنِ  
لَكِنْ ٠٠!!<sup>(١٧)</sup>

الجناس هنا في منطقة الحشو تمتد مساحته لتشمل مجموعة من الكلمات: (حرف - الخوف) - (حاء - باء) - (حاء - راء - ياء - هاء) - (الحرف - السيف)، وهذه السطور التي تحتوي هذه الدوال المتجانسة تكررت بعينها في قصيدة العراف الأعمى<sup>(١٨)</sup>.

والاستبدال في هذا المقطع تنوع بين المجهور والمهموس، ومع توالي دوال الجناس وكثرتها، بقيت الدلالة لها تمييزها الخاص، فيفقد الحرف مهمته، ويموت القلم في زمن الخوف، عندما تمارس السلطة سياسة القهر والظلم، ولا حياة للقلم أو الكلمة إلا من خلال دالين:

حَاءٌ ٠٠ بَاءٌ  
حَاءٌ ٠٠ رَاءٌ ٠٠ يَاءٌ ٠٠ هَاءٌ

الدال الأول «حب» والدال الثاني «حرية».

لعل الشاعر عمد إلى تقطيع الدالين إلى حروف أو أصوات محدثا بينها بياضا أو فراغات، وهذه الفراغات لها دلالتها، فهي تعبر عن الغياب، غياب الحب والحرية، أو بالأحرى موتها في أرض الخوف، وزمن القهر.

لا بد أن يحيا الحرف والسيف معا، فالحرف والسيف صنوان، والشاعر ما زال يبحث عن الحرف/السيف بين الأحياء الموتى الذين يعيش بين ظهرانيهم - فهم موتى لأنهم رضوا بالهزيمة والانكسار - وبين الموتى الأحياء من الأجداد الذين فتحوا البلاد من أقصاها إلى أقصاها، ودانت لهم الدنيا. وتبقى لَكِنْ ٠٠!! في نهاية المقطع مردوفة بفراغ وتعجب معبرة عن تفوق الأحياء الموتى ساكني الخيام، على الموتى الأحياء الذين يعيشون في القصور، لكنها أضرحة.

ويحدث الاستبدال بين صوتين، لكن تزيد حروف إحدى الكلمتين على الأخرى في قصيدة «

سفر الخروج» من ديوان «العهد الآتي»، يقول الشاعر:  
أذكريني  
فَقَدْ لَوْنْتَنِي الْعَنَاوِينَ فِي الصُّحُفِ الْخَائِنَةِ  
لَوْنْتَنِي ٠٠ لِأَنِّي مُنْذُ الْهَزِيمَةِ لَا لَوْنٌ لِي  
(غَيْرَ لَوْنِ الضِّيَاعِ)  
فَبَلَّهَا كُنْتُ أَقْرَأُ فِي صَفْحَةِ الرَّمْلِ

وَالرَّمْلُ أَصْبَحَ كَالْعَمَلَةِ الصَّعْبَةِ،  
 وَالرَّمْلُ أَصْبَحَ أَبْسَطَةً ٠٠ تَحْتَ أَقْدَامِ جَيْشِ الدَّفَاعِ  
 فَادْكُرْنِي، كَمَا تَذْكُرِينَ الْمُهْرَبَ ٠٠ وَالْمُطْرَبَ الْعَاطِفِيَّ  
 وَكَابَ الْعَقِيدَ ٠٠ وَزَيْنَةَ رَأْسِ السَّنَةِ  
 اذْكُرْنِي إِذَا نَسَيْتَنِي شُهُودَ الْعِيَانِ  
 وَمَضْبُطَةَ الْبِرْلَمَانِ  
 وَقَاعَةَ التَّهْمِ الْمَعْلَنَةِ  
 وَالْوَدَاعِ!  
 الْوَدَاعِ! (١٩)

الجناس هنا بين (لوثنتي - لوثنتي) يسير على الطريقة السابقة في استبدال صوت بآخر مع التوازي ٠ أما الجناس بين (المهْرَب - المطْرَب) فيعتمد على الاستبدال بين صوتين مهموسين هما: الهاء والطاء، لكن تبقى كلمة المهْرَب بها صوت زائد عن كلمة المطْرَب حيث إن الراء مضعفة في كلمة المهْرَب، مما يكون له أثر في كسر رتابة الإيقاع.

مهما يكن من أمر فالجناس بين (المُهْرَب ٠٠ وَالْمُطْرَب) يكشف عن انقلاب الأوضاع، والفراغات بين طريقتي الجناس، وبين (كَابَ الْعَقِيدِ ٠٠ وَزَيْنَةَ رَأْسِ السَّنَةِ) يكشف عن المسكوت عنه، والمسكوت عنه أن هذه الأشياء معها مضبطة البرلمان، وقاعة التهم المعلنة هي أبواق السلطة آنذاك، وهذا يتساقط مع الصحف الخائنة في بداية المقطع ٠

أما الشاعر الممثل للمثقف المصري والمواطن المصري، فهو في دائرة النسيان، ومع آلام النسيان يتألم الشاعر مرة أخرى لأنه لم يعد يقرأ صفحة الرمل، لأن الرمل أصبح عملة صعبة، والرمل في المقطع يرمز إلى تاريخنا الإسلامي والعربي المفعم بالفتوحات والانتصارات ٠ ويتنشى الجناس في القصيدة الأولى من ديوان «العهد الآتي»، ويلف معظم سطورها، وأية ذلك قول الشاعر:

أَبَانَا الَّذِي فِي الْمَبَاحِثِ ٠ نَحْنُ رَعَايَاكَ ٠ بَاقٍ  
 لَكَ الْجَبْرُوتُ ٠٠ وَبَاقٍ لَنَا الْمَلَكُوتُ ٠ وَبَاقٍ  
 لِمَنْ تَحْرُسُ الرَّهْبُوتُ

تَقَرَّرْتُ وَحَدَاكَ بِالْيَسْرِ ٠ إِنَّ الْيَمِينَ لَفِي الْخَسْرِ  
 أَمَّا الْيَسَارُ فَفِي الْعَسْرِ ٠ إِلَّا الَّذِينَ يَمَاشُونَ

إِلَّا الَّذِينَ يَعِيشُونَ يَحْسُونَ بِالصُّحُفِ الْمَشْتَرَاةِ  
الْعَيُونَ • فَيَعِشُونَ • إِلَّا الَّذِينَ يَشُونَ • وَالْأَلِ  
الَّذِينَ يُوْشُونَ يَأْقَاتِ قَمَصَانِهِمْ بِرِبَاطِ السُّكُوتِ •

تَعَالَيْتِ مَاذَا يَهْمُكَ مَمَّنْ يَذْمُكَ ؟ الْيَوْمَ يَوْمَكَ  
يَرْقَى السَّجِينُ إِلَى سُدَّةِ الْعَرْشِ  
وَالْعَرْشُ يُصْبِحُ سَجَنًا جَدِيدًا وَأَنْتَ مَكَانَكَ • قَدْ  
يَتَبَدَّلُ رَسْمُكَ وَأَسْمُكَ • لَكِنَّ جَوْهَرَكَ الْفَرْدَ  
لَا يَتَحَوَّلُ • الصَّمْتُ وَشَمُّكَ • وَالصَّمْتُ وَشَمُّكَ  
وَالصَّمْتُ بَيْنَ خُيُوطِ يَدَيْكَ الْمَشْتَبِكَتَيْنِ الْمَصْمَعَتَيْنِ يُلْفُ  
الْفَرَاشَةَ وَالْعَنْكَبُوتَ • •

أَبَانَا الَّذِي فِي الْمَبَاحِثِ كَيْفَ تَمُوتُ ؟  
وَأَغْنِيَةُ النُّورَةِ الْأَبْدِيَّةِ  
لَيْسَتْ تَمُوتُ !! (٢٠)

القصيدة مكونة من أربعة سطور انتهت جميعها بقافية مقيدة بتاء ساكنة مردوفة بواو (الرهبوت - السكوت - العنكبوت - تموت) • وفي السطرين الثاني والثالث طغى الجناس طغيانا ظاهرا، لكنه لم يؤثر في المعنى، ولم يفسد الدلالة •

وعند معاودة النظر في هذه القصيدة مرة أخرى، نرى السطرين الأول والرابع قصيرين بالقياس إلى السطرين الثاني والثالث، فكان السطر الأول بمثابة المقدمة، والسطر الرابع يمثل خاتمة القصيدة، وبقي السطران الثاني والثالث يمثلان موضوع القصيدة، وقد طال كل سطر منهما طولا ظاهرا حتى أضحي كل سطر مقطعا شعريا كاملا، ومن ثم لجأ الشاعر إلى تقنية الجناس، لينجو المقطع من الخفوت الموسيقي •

وعندما نعاين هذين المقطعين نلمح طغيان أربعة أصوات اثنين مهموسين هما: الكاف والتاء، واثنين مجهورين هما: الراء والنون، ولعل هذه الأصوات تحمل معنى المفارقة الأليمة بين حالتين إحداهما: خاصة بالسلطوي، والأخرى: خاصة بالمحكوم (٢١) •

وظاهرة أخرى يمكن رصدها في هذين السطرين، هي تفوق الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة، فقد بلغ عدد المجهور ١٨٧ صوتا، والمهموس ٩٣ صوتا، أي بمعدل ٢ : ١ • وتفوق المجهور

على المهام هنا يعني تفوق السلطوي على المحكوم، ويبقى السلطوي صاحب الجبروت و  
الرهبوت، والمحكوم صاحب الصمت والسكوت.

إذاً، فالجناس في هذه القصيدة وسيلة أسلوبية أسهمت إسهاماً فاعلاً في التحام الشكل  
والمضمون، والصوت والدلالة، ومن خلال هذه الوسيلة نفذت القصيدة إلى المتلقي، ونقلت تجربة  
الشاعر إلى المتلقي.

ولم تختفِ روح الشاعر خلف هذا الركام الهائل من الدوال المتجانسة، وهذا يتناسب مع  
أسلوبية سببترز التي تبث عن روح المؤلف في لغته، ومن هنا اتسمت أسلوبيته بالمزج بين ما هو  
نفسي، وما هو لساني»<sup>(٢٢)</sup>.

ومهما يكن من أمر فالجناس في كل ما سبق من نماذج يعد نوعاً من أنواع التكرار على حد  
قول جورج مولينييه<sup>(٢٣)</sup> «هناك الصورة التي تبنى على المادة الصوتية نفسها، ومن أهمها في هذه  
الفئة وأقواها من بين كل الصور التكرار - مع تنوعاته وعمله المعقد - يدخل في عداده ظواهر  
التبديل الصوتي والتقريب، دون الوقوع في تكرار المضمون - هناك تكرار الصدارة، والتكرار  
الختامي، والتكرار الاشتقائي، والصور الاشتقاقية والجناس الدلالي والتورية».

وهذا التكرار لبني الجنس مع إسهامه في تنوع الدلالة فإنه أضفى على النص الشعري عند  
أمل دنقل نغمية عالية لأن «تكرار البنى يُصعد من نغمية النص فالإيقاع لا يتمحور حول التفعيلة  
والقوافي فحسب، بل انهمال التفعيلة والقوافي يتعضدان إيقاعياً بهذا التماثل التركيبي الذي  
يتمخض عن تكرار البنى اللسانية في الأسطر الشعرية، ولكن ليس التكرار وحده هو الذي يوحى  
بهذا البعد النغمي الملحق أو التكميلي، بل الإلحاح على هذا التكرار وتنوع البنى اللسانية المكررة،  
الأمر الذي يؤدي إلى تمخضها عن بنى أسلوبية متميزة ترفد الإيقاع الكامن في التفعيلة والقافية  
لتضفي إيقاعاً آخر منبعثاً من طبيعة التركيب وتكراره»<sup>(٢٤)</sup>.

وهذا الإلحاح على تكرار البنى الجناسية، وتنوع تلك البنى ظهر بصورة واضحة في كل  
ماسبق من أمثلة، وسوف تتجلى صورته أيضاً في منطقة القافية، إن شاء الله.

### ثالثاً: الجنس في منطقة القافية

مثلت القافية العمود الفقري في الشعر العمودي، وشعر التفعيلة في حاجة لها أيضاً فهي «أنسب  
صوت أو كلمة ينتهي بها السطر الشعري، بحيث يمكن الوقوف عندها، والانتقال منها إلى السطر  
التالي - القافية، إذن، في الشعر الجديد تتيح للقارئ الوقوف والحركة في آن واحد»<sup>(٢٥)</sup>.

والقافية تقنية أسلوبية باعتبارها انحرافا عن المعيارية • يقول الدكتور رجاء عيد<sup>(٢٦)</sup>: «أما الانحراف الثاني لأية رسالة ما عن النمط القاعدي فإنه يكون بإدخال محددات إضافية أبعد من محددات القاعدة نفسها، ويتضح هذا الشكل في القافية»•

وإذا عاينا شعر أمل دنقل وجدنا معظم قصائد ديوانه الأول «مقتل القمر» تسيطر عليها القافية الموحدة، وخاصة أن كثيرا من قصائد هذا الديوان عمودية كتبها الشاعر بطريقة شعر التفعيلة - كما اتضح من قبل - أما باقي الدواوين فقد نحا الشاعر فيها منحى شعر التفعيلة إلا فيما ندر، ومع ذلك لم يتخلل الشاعر عن القافية، بل ظلت تاج قصائده تحفها وسائل جمالية ودلالية، وعبر أمل دنقل عن هذا بقوله: «إنتي أعتقد أنه يجب على الشاعر أن يستولي على وجدان قارئه • إن الأذن العربية لم تتخلل عن تقاليد السماعية، والقافية تحقق عنصرا مهما من عناصر الموسيقى في القصيدة، وإن مهارة الشاعر الحديث لا تكمن في التخلي عن القافية، أو الوسائل الكلاسيكية الأخرى بقدر ما تكمن في إعادة توظيفها لصالح القصيدة»<sup>(٢٧)</sup>•

ويفصح أمل دنقل في قوله السابق عن عدم التخلي عن القافية، وبعض الوسائل الكلاسيكية الأخرى، ومن الوسائل الكلاسيكية التي عني بها أمل دنقل: الجناس، وكان هدفه توفير الموسيقى للقصيدة، وهذا يتفق مع قول ليفين «فالأداتان الشعريتان: القافية والجناس ••• تتطلبان -كشروط ضروري - تماثلا صوتيا وحسب، ففي هذه الحالات يكون التماثل الدلالي زائدا»<sup>(٢٨)</sup>•

ومع كثرة الجناس في منطقة القافية، ورغم اعتراف أمل دنقل بهدفه في توفير الموسيقى للقصيدة، لم يكن الجناس وسيلة ضغط على المعنى، بل أفرزت دواله تماثلات دلالية ارتبطت بالسطر الشعري، والسياق العام أشد ارتباطا •

ولكثرة النماذج الدالة على ذلك يمكن الوقوف على بعضها حتى لا يضيق بنا المجال يقول الشاعر في قصيدة «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة»:

أَيُّهَا الْعَرَّافَةُ الْمُدَّسَّةُ  
جِئْتُ إِلَيْكَ مُتَّخِئًا بِالطَّعْنََاتِ وَالِدَّمَاءِ  
أَزْحَفُ فِي مَعَاطِفِ الْقَتْلِ وَفَوْقَ الْجِثِّ الْمُدَّسَةِ  
مُنْكَسِرَ السَّيْفِ مُغْبِرَ الْجَبِينِ، وَ الْأَعْضَاءِ  
أَسْأَلُ يَا زَرْقَاءُ  
عَنْ فَمِكَ الْيَاقُوتِ عَنْ نَبْوءَةِ الْعَدْرَاءِ  
عَنْ سَاعِدِي الْمَقْطُوعِ •• وَهُوَ مَا يَزَالُ مُمْسِكًا بِالرَّايَةِ الْمُنْكَسَةِ



عَنْ صُورَةِ الْأَطْفَالِ فِي الْخُودَاتِ ٠٠ مُلَقَاةً عَلَى الصَّحْرَاءِ  
 عَنْ جَارِيِ الَّذِي يَهْمُ بِارْتِشَافِ الْمَاءِ  
 فَيَتَّقِبُ الرَّصَاصُ رَأْسَهُ ٠٠ فِي لَحْظَةِ الْمَلَامَسَةِ !  
 عَنْ النَّمِّ الْمَحْشُوِّ بِالرَّمَالِ وَالْمَاءِ  
 أَسْأَلُ يَا زَرْقَاءَ  
 عَنْ وَقْفَتِي الْعَزَلَاءِ بَيْنَ السِّيفِ وَالْجِدَارِ ! عَنْ صَرَخَةِ الْمَرَاةِ بَيْنَ السَّبِيِّ وَالْفَرَارِ !  
 كَيْفَ حَمَلْتُ الْعَارَ ؟  
 ثُمَّ مَشَيْتُ ؟ دُونَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي ؟ دُونَ أَنْ أَنْهَارَ ؟  
 دُونَ أَنْ يَسْقُطَ لِحْمِي ٠٠ مِنْ غُبَارِ التُّرْبَةِ الْمُدْنَسَةِ (٢٩)

من الملاحظ هنا أن قافية الشاعر مقيدة تنتهي بروي الهمزة، وعندما تطول السطور ينأى بها الشاعر عن الخفوت الموسيقي فيعتمد قافية داخلية رويها صوت السين الموصل بهاء ٠ ويمكن اعتبار هذه القافية الداخلية قافية خارجية إذا اعتمدنا الوقفة الصوتية دون الوقفة المعنوية، وهنا يكون نظام التقفية قائماً على التبادل بين صوتي السين والهمزة، بدلا من نظام التوالي القائم على الهمزة فقط ٠

ومهما يكن من أمر فقد وفر الشاعر في هذا المقطع والتصيدة بأسرها درجة عالية من الموسيقى باعتماده على الجناس والتوازي في منطقة القافية، وآية ذلك :

الجناس في: (المقدسة - المكذبة - المنكسة - المدنسة) - (الدماء - الماء - الدماء) ٠ التوازي في: (الأعضاء - زرقاء - العذراء - الصحراء - زرقاء) - (الجدار - الفرار) ٠

والشاعر عندما أحدث نوعا من التبادل بين روي السين والهمزة كسر رتبة الإيقاع القائم على التوازي في منطقة القافية، وكذلك عندما انتقل أمل دنقل إلى روي الراء أُرْدَف دَائِي (الجدار - الفرار) بدال (أنهار) ليكسر حدة الإيقاع المعتمد على التوازي بين هذين الدالين ٠ ومع هذه التقنية البديعية التي اتكأ عليها الشاعر في منطقة القافية بقيت الدلالة لها فرادتها معبرة عن مرارة النكسة، وذل الانكسار ٠ وتكثر دوال الجناس في منطقة القافية في قصيدة «الموت في الفراش» التي كتبها أمل دنقل سنة ١٩٧٠، ويمكن اختيار المقطع التالي من هذه القصيدة :

عَلَى مَحَطَّاتِ الْقُرَى  
 تَرَسُو قَطَارَاتِ السُّهَادِ

فَتَطَّوِي أَجْنَحَةَ الْغُبَارِ فِي اسْتِرْخَاءِ الدُّنُو  
وَالنَّسْوَةِ الْمُتَشَحَّاتِ بِالسُّوَادِ  
تَحْتَ الْمَصَابِيحِ عَلَى أَرْصَفَةِ الرُّسُو  
ذَابَتْ عِيُونُهُنَّ فِي التَّحْدِيقِ وَ الرُّنُو  
عَلَى وُجُوهِ الْغَائِبِينَ مِنْذُ أَعْوَامِ الْحَدَادِ  
تَشْرِقُ مِنْ دَائِرَةِ الْأَحْزَانِ وَالسُّلُو  
.....

يَنْظُرْنَ - حَتَّى تَتَأَكَلَ الْعِيُونَ  
تَتَأَكَلُ اللَّيَالِي،

تَتَأَكَلُ الْقَطَارَاتُ مِنَ الرُّوَّاحِ وَالْغُدُو  
وَالْغَائِبُونَ فِي تُرَابِ الْوَطَنِ - الْعُدُو  
لَا يَرْجِعُونَ لِلْبِلَادِ

لَا يَخْلَعُونَ مِعْطَفَ الْوَحْشَةِ عَن مَنَاكِبِ الْأَعْيَادِ (٢٠)

القافية في هذا المقطع اعتمدت على التوازي والتجانس والتداخل، فالشاعر يراوح بين صوتين هما: الدال صوت صامت، والواو صوت صائت، ونلمح الجناس والتوازي على حد سواء في كل الدوال المنتهية بصوت الواو (الدنو - الرنو) - (الرسو - السلو) - (الغدو - العدو) •

وشبه التكرار واضح في هذه الدوال، فقد اعتمدت على استبدال صوت مجهور بآخر مجهور بين كل دالين، واحتل الاستبدال مكانا ثابتا في (الدنو - الرنو) - (الغدو - العدو)، ثم أحدث الشاعر خلخلة في الاستبدال المكاني في دالي (الرسو - السلو)، وهذا من شأنه إحداث تنوع في النغمة • أما كلمات القافية القائمة على روي الدال المردف بمد، فقد استندت إلى التوازي - باستثناء الكلمة الأخيرة في المقطع (الأعياد) - (السهاد - السواد - الحداد - البلاد)، ولا يخفى علينا التجانس بين (السهاد - السواد) •

ومن كل ما سبق يتضح أن القافية في اعتمادها على تقنيّتي الجناس والتوازي قد أدت دورا جماليا في القصيدة، وتتجلى مشاركتها مع باقي دوال القصيدة بالقيام بدور وظيفي في إثراء الدلالة وتنوعها، فقد رسم الشاعر في هذا المقطع صورة كلية للحزن الشديد المعتصر قلوب النساء المنتظرات الأزواج والإخوة والأبناء الذين غيبتهم الحرب، وكان قوام هذه اللوحة الشعرية: الصور التقليدية في البلاغة القديمة، والكلمات الدالة على الصوت واللون والحركة، وإيحاء الكلمات التي تفيض بالحزن والأسى •

وكانت القافية بجناسها وتوازيها إحدى الوسائل الفنية المعبرة في هذه اللوحة، فقد اندغمت جميع دوال القافية في السياق العام للمقطع، مما ساعد على نقل تجربة الشاعر، والتأثير في المتلقي.

إضافة إلى ما سبق نلمح اتكاء الشاعر على المد المتمثل في روي (الواو) والمد / الردف السابق لروي (الدال)، يرسم صورة لليأس والأمل والحزن والرجاء داخل هؤلاء النسوة المنتظرات الأحباب.

واعتماد الشاعر على القافية المقيدة يعني سكون النفس الحزين، والنفس المكلومة عند نهاية كل سطر شعري، « والسكون يعني الوقفة، وتأتي الوقفة الكاملة مصاحبة بنغمة هابطة»<sup>(٢١)</sup>، وهبوط النغمة عند كل سطر دليل على هبوط النفس الحزين، ثم يعاود النفس الصعود مرة أخرى مع بداية السطر الجديد، وتستمر المراوحة بين الصعود والهبوط، معبرة عن حالة من الحزن والرجاء، واليأس والأمل.

ويمكن الوقوف على قصيدة «زهور» من ديوان أمل دنقل الأخير «أوراق الغرفة ٨» حيث يقول:

وَسَلَالٌ مِنَ الْوَرْدِ ،  
الْمَحْهَأُ بَيْنَ إِعْمَاءٍ وَإِفَاقَةٍ  
وَعَلَى كُلِّ بَاقَةٍ  
أَسْمٌ حَامِلُهَا فِي بَطَاقَةٍ

...

تَتَحَدَّثُ لِي الزَّهْرَاتُ الْجَمِيلَةَ  
أَنَّ أَعْيُنَهَا أَشْعَتْ - دَهْشَةً -

لَحْظَةَ الْقَطْفِ

لَحْظَةَ الْقَصْفِ،

لَحْظَةَ إِعْدَامِهَا فِي الْخَمِيلَةَ !

تَتَحَدَّثُ لِي ..

أَنَّهَا سَقَطَتْ مِنْ عَلَى عَرْشِهَا فِي الْبَسَاتِينِ  
ثُمَّ أَفَاقَتْ عَلَى عَرْضِهَا فِي زُجَاجِ الدُّكَاكِينِ، أَوْ بَيْنَ أَيْدِي

الْمَنَادِينَ ،

حَتَّى اشْتَرَتْهَا الْيَدُ الْمُتَفَضِّلَةُ الْعَابِرَةَ

تَتَحَدَّثُ لِي ..

كَيْفَ جَاءَتْ إِلَيَّ  
( وَأَحْزَانُهَا الْمَلَكِيَّةُ تَرْفَعُ أَعْنَاقَهَا الْخُضْرَ )  
كَيْ تَتَمَنَّى لِي الْعَمْرَ  
وَهِيَ تَجُودُ بِأَنْفَاسِهَا الْآخِرَةَ !!

كلُّ بَاقَةٍ ٠٠

بَيْنَ إِعْمَاءَةٍ وَإِفَاقَةٍ  
تَتَنَفَّسُ مِثْلِي بِالْكَادِ - ثَانِيَّةٌ ٠٠ ثَانِيَّةٌ  
وَعَلَى صَدْرِهَا حَمَلَتْ - رَاضِيَّةٌ  
أَسْمَ قَاتِلِهَا فِي بَطَاقَةٍ (٣٣)

أثرت هنا أن أنقل القصيدة كاملة، لأنها تمثل لوحة فنية مترابطة، تألفت عناصرها وأجزاؤها فنقلت تجربة الشاعر، وعبرت عن مشاعره وإحساساته أشد تعبير.

وإذا رحنا نبحث عن دوال الجناس في منطقة القافية وجدناها تتمثل في: (إفافة - باقة - بطاقة) - (الجميلة - الخميطة)، وبينهما القافيتان الداخليتان (القصف - القطف) ٠ أما القوافي التي خلت من الجناس فقد اتكأ الشاعر فيها على التوازي (البساتين - المنادين) - (العابرة - الآخرة) - (ثانية - راضية) ٠

واعتماد الشاعر على هذه الحيل البديعية في منطقة القافية، لم يكن عنصر حجب للدلالة، بل تآزر الدال والمدلول، والشكل والمضمون في نقل تجربة الشاعر الفريدة في هذه القصيدة، فالشاعر مسجى على الفراش في معهد الأورام، في حالة وسطى بين الحياة والموت، والزهور في مثل حالته ( بَيْنَ إِعْمَاءَةٍ وَإِفَاقَةٍ ) ٠

والشاعر في المقطعين الأول والثالث، اعتمد على اللغة المعيارية في وصف الزهور، واعتمد في المقطعين الثاني والأخير على اللغة الانزياحية أو العدولية، فخلع على الزهور السمات الإنسانية ٠

والمراوحة بين المعيار والانحراف معادل للمراوحة بين الحياة والموت، تلك الحالة التي يعانيها الشاعر والزهور على حد سواء، فقد تداخل عالم الإنسان مع عالم الطبيعة، فالموت لا يفرق بين هذا وذاك فالكل أمام سطوته سواء ٠

وفي قصيدة «فقرات من كتاب الموتى» من ديوان «تعليق على ما حدث» نرى أمل دنقل يجمع بين الجناس التام والجناس الناقص في منطقة القافية ٠ يقول:

أَعُودُ مَخْمُورًا إِلَى بَيْتِي  
 فِي اللَّيْلِ الْأَخِيرِ  
 يُوقِنُنِي الشَّرْطِي فِي الشَّارِعِ لِلشَّبْهَةِ  
 يُوقِنُنِي بَرَهَةً  
 وَبَعْدَ أَنْ أَرَشُوهُ ٠٠ أُوَاصِلُ الْمَسِيرِ  
 تُوقِنُنِي الْمَرَاةَ  
 فِي اسْتِنَادِهَا الْمُثِيرِ  
 عَلَى عَمُودِ الصَّوِّءِ  
 ( كَانَتْ مُلصَقَاتُ «الْفَتْحِ» وَ «الْجَبْهَةِ» )  
 تَمَلًّا خَلْفَ ظَهْرِهَا الْعُمُودَا  
 سَأَلْتَنِي لِفَافَةِ  
 لَمْ يَتْرِكِ الشَّرْطِي  
 وَاحِدَةً مَنْ تَبِعَهَا اللَّيْلِي  
 تَسَأَلُنِي إِنْ كُنْتُ أَمْضِي لَيْلِي ٠٠ وَحِيدًا  
 وَعِنْدَمَا أَرْفَعُ وَجْهِي نَحْوَهَا  
 سَعِيدًا  
 أَبْصُرُ خَلْفَ ظَهْرِهَا شَهِيدًا  
 مُعَلَّقًا عَلَى الْحَائِطِ نَاصِعَ الْجَبْهَةِ تَغُوصُ عَيْنَاهُ ٠٠ كَنَصَلَيْنِ رُصَاصِيَيْنِ  
 أَصْرُخُ مِنْ رَهَافَةِ الْحَدِيدِ  
 أَمْضِي بِلا وَجْهَةٍ (٢٣)

الشاعر كتب هذه القصيدة سنة ١٩٦٩، ومرارة النكسة غصة في الحلق، ومن ثم عبر هذا المقطع عن واقعين متناقضين يعيشهما الشعب المصري، أحدهما: واقع يسوده الفساد والانحراف، والآخر: واقع النضال والجهاد.

يمثل واقع الفساد الشاعر المخمور الراشي، والشرطي المرتشي، والفتاة الساقطة، ويمثل واقع الجهاد: ملصقات الفتح معلقة على عمود الكهرباء، وصورة الشهيد معلقة على الجدار خلف الفتاة الساقطة. إذاً، فالمقطع كله يحمل عنصر المفارقة.

وهناك تقنيات بلاغية استخدمها الشاعر، من هذه التقنيات اتكاؤه على الفصل في هذا المقطع، وكذلك اعتماده على الجناس في منطقة القافية مثل: (المسير - المثير) - (الجبهة - الجبهة)-

وجهة)، والجناس يمثل اتحاداً في الشكل واختلافاً في المعنى، وهذا في حد ذاته مفارقة، وأشدها يمثله الجناس التام بين (الجبهة) بمعنى ساحة القتال، و(الجبهة) المعبرة عن جبين الشهيد. وتبقى دوال الجناس مصورة الحزن والأسى، ومعبرة عن المفارقة في قصيدة « من مذكرات المتنبى في مصر» من ديوان « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» فقد كتبها الشاعر بعد النكسة في يونيو ١٩٦٨، يقول في بعض مقاطعها :

«حَوْلَةٌ» تَلَكَّ الْبَدْوِيَّةُ الشُّمُوسَ  
لَقِيَتْهَا بِالْقُرْبِ مِنْ أَرِيحَا  
سُوَيْعَةً، ثُمَّ افْتَرَقْنَا دُونَ أَنْ نَبُوحَا  
لَكِنَّهَا كُلَّ مَسَاءٍ فِي خَوَاطِرِي تَجُوسُ  
يَفْتَرُ بِالشُّوقِ وَالْعِتَابِ نَغْرَهَا الْعَبُوسُ  
أَشْمُ وَجْهَهَا الصُّبُوحَا  
أَضْمُ صَدْرَهَا الْجَمُوحَا

.....

سَأَلْتُ عَنْهَا الْقَادِمِينَ فِي الْقَوَافِلِ  
فَأَخْبَرُونِي أَنَّهَا ظَلَّتْ بِسَيْفِهَا تُقَاتِلُ  
فِي اللَّيْلِ تُجَارُ الرَّقِيقَ عَنْ خَبَائِهَا  
حِينَ أَغَارُوا، ثُمَّ غَادَرُوا شَقِيْقَهَا ذَبِيحَا  
وَالْأَبَّ عَاجِزَا كَسِيحَا  
وَاخْتَطَفُوهَا، بَيْنَمَا الْجِيرَانُ يَرْنُونَ مِنَ الْمَنَازِلِ  
يَرْتَعِدُونَ جَسَدًا وَرُوحَا  
لَا يَجْرُؤُونَ أَنْ يَغِيثُوا سَيْفَهَا الطَّرِيحَا

.....

( سَأَلَنِي كَافُورٌ عَنْ حَزْنِي  
فَقُلْتُ إِنَّهَا تَعِيشُ الْآنَ فِي بِيْرِنَطَةَ  
شَرِيْدَةً كَالْقَطَّةِ  
تَصِيحُ كَافُورَاهُ ٠٠ كَافُورَاهُ )  
فَصَاحَ فِي غُلَامِهِ أَنْ يَشْتَرِي جَارِيَةً رُومِيَّةً  
تُجَلِّدُ كَيْ تَصِيحَ وَأَرْوَمَاهُ ٠٠ وَأَرْوَمَاهُ (٢٤)

يمثل هذا المقطع والقصيدة بأسرها حالة من حالات المفارقة، فالمتنبى المعادل للفئة المثقمة يُعد بوقاً من أبواق السلطة المنهزمة والعاجزة في الوقت نفسه، وهذا ما قاله المتنبى في القصيدة:

وَصِرْتُ فِي الْقُصُورِ بَبْغَاءًا<sup>(٣٥)</sup>

بينما كافور المعادل للسلطة المصرية

سَيْفُهُ يَأْكُلُهُ الصَّدَأُ<sup>(٣٦)</sup>

وبقيت «خولة» في هذا المقطع رمزا للبداءة، أبية شموسا، لعل الشاعر رمز بها إلى فلسطين المنكوبة، وشقيقها الذبيح رمز لمصر المنهزمة، والأب الكسيح السلطة الحاكمة، والجيران المرتعدون جسدا وروحا الدول العربية.

وتزداد المفارقة أقصى مدى عندما يتناص الشاعر في نهاية المقطع مع نصرة المعتصم المرأة التي صاحت وامعتصماه، وعجز كافور/السلطة عن نصرة أمة بأسرها تصيح وكافوراه « وهدف الشاعر من هذا الأسلوب (المفارقة) هو خلق نص جديد يحمل طبيعة الرؤية المعاصرة، التي تعددت أبعادها، وتشابكت، وتداخلت في تعقيد شديد»<sup>(٣٧)</sup>.

وظلت دوال الجناس معبرة عن هذه المفارقة من خلال مراوحتها بين الإطلاق والتقييد، وبين التجانس والتوازي، وكذلك صورت دوال الجناس في منطقة القافية أشد حالات الأسى والألم التي تعتصر قلب الشاعر، وتعمل في وجدان الأمة • (أريحا - نبوحا - ذبيحا - روحا) - (القوافل - تقاتل)، ومن هنا حققت القافية دورها الجمالي والوظيفي في آن واحد.

ويخبو الدور الجمالي للجناس في منطقة القافية في قصيدة «لا تصالح» من ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس»، ويمكن اختيار المقطع الثاني من هذه القصيدة، يقول الشاعر:

لَا تُصَالِحْ عَلَى الدَّمِّ •• حَتَّى يَدَّمَ  
لَا تُصَالِحْ ! وَلَوْ قِيلَ رَأْسُ بِرَأْسٍ ،  
أَكُلُ الرُّؤُوسِ سَوَاءً ؟  
أَقَلْبُ الغَرِيبِ كَقَلْبِ أَخِيكَ ؟  
أَعَيْنَاهُ عَيْنَا أَخِيكَ ؟  
وَهَلْ تَتَسَاوَى يَدٌ •• سَيْفُهَا كَانَ لَكَ  
بِيَدِ سَيْفِهَا أَنْتَ لَكَ ؟  
سَيَقُولُونَ :

جَنَّتَاكَ كَيِّ تَحَقِّنَ الدَّمَّ

جِنَّاتِكَ كُنْ - يَا أَمِيرُ - الْحَكَمُ :

سَيَقُولُونَ :

هَذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ عَمِّ

قُلْ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَمْ يَرَاعُوا الْعُمُومَةَ فِيمَنْ هَلَكَ

وَأَغْرَسَ السَّيْفَ فِي جَبْهَةِ الصَّحْرَاءِ ٠٠

إِلَى أَنْ يُجِيبَ الْعَدَمَ

إِنِّي كُنْتُ لَكَ

فَارِسًا

وَأَخًا

وَأَبًا

وَمَلِكًا<sup>(٣٨)</sup>

هذه القصيدة كتبها الشاعر سنة ١٩٧٦، عندما عزم الرئيس السادات على زيارة القدس، وإبرام معاهدة السلام مع إسرائيل، والشاعر في قصيدته هذه غلبت عليه الواقعية، ولجأ إلى المنطقية والحجاج، محاولاً بشتى الطرق الإقناع بعدم جدوى هذه المعاهدة، ومن ثم جاءت عباراته في كثير من الأحيان تقريرية، وتفوقت اللغة النفعية على اللغة الجمالية، ومن ثم لم يُعَنَّ الشاعر بتحقيق أكبر قدر من النغمية في منطقة القافية عنايته بها في قصائده الأخرى، فيختفي التوازي بين الدوال المتجانسة إلا نادراً.

ونماذج الجناس في منطقة القافية كثيرة ومتنوعة في شعر أمل دنقل، وما عُرض من شواهد يكفي لتوضيح الفكرة، فقد عبرت هذه النماذج أشد تعبير عن طريقة الشاعر في استخدامه هذه الوسيلة الفنية التي حققت في كثير من قصائده دورها الجمالي والوظيفي في نقل تجربة الشاعر إلى المتلقي، وبقيت هذه التجربة متجددة في وجدانه، لا تتطفئ ولا تخبو.

#### رابعاً: الجناس وتوظيف التراث

من المعروف لدى الباحثين أن الشاعر لا ينفصم عن تراثه، فعلاقة «الشاعر بالتراث لا تتوقف لأنها علاقة جدل دائم مع موروثه الخاص من التراث ككل، ترميها قدرات وثقافة، ومهمة واضحة للنص الشعري، وتختلف هذه العناصر كلها - الأداة والمهامية والمهمة والقدرات والموروث - من شاعر لآخر، ومن جيل إلى جيل، ومن عصر لآخر، ومن مذهب لآخر»<sup>(٣٩)</sup>.

ويعد توظيف التراث من أكثر الظواهر الأسلوبية التي حفل بها شعر أمل دنقل، فالشاعر لا بد أن يكون بينه وبين تراثه علاقة تبادلية قائمة على الأخذ والعطاء، يسترشد تراثه أدوات وعناصر



ومعطيات يوظفها لتجسيد رؤيته المعاصرة بحيث تردت هذه العناصر أكثر غنى وحيوية وتجندا وقدرة على البقاء<sup>(٤٠)</sup>.

وكان هدف الشاعر أن « يسقط الأبعاد المعاصرة مباشرة على الملامح التراثية التي برع في التقاطها، بحيث تتراسل تراسلا بارعا مع الأبعاد المعاصرة، وتلك ناحية برع فيها أمل دنقل براعة كبيرة في كل توظيفها ته التراثية، بحيث يقيم تكافؤا بارعا بين الدلالة التراثية والدلالة المعادلة للمعطيات التراثية بإيحاءات بالغة الغنى والرحابة»<sup>(٤١)</sup>.

ويهمنا في هذا الصدد توظيف أمل دنقل التراث في دوال الجناس . ومن ثم كان للنص القرآني حضور في شعره، فقد تناص مع الآية القرآنية « وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ »<sup>(٤٢)</sup> في قوله:

تَقَرَّرْتُ وَحَدَكْ بِالْيَسْرِ . إِنَّ الْيَمِينَ لَفِي الْخُسْرِ  
أَمَّا الْيَسَارُ فَفِي الْعَسْرِ . إِلَّا الَّذِينَ يَمَاشُونَ الْخ

ومع توظيف الشاعر النص القرآني توظيفا عكسيا ليشيع جوا ساخرا من رجل المباحث، إلا أن النص الديني أضفى قدسية على النص الشعري .

ويتشابه النص القرآني مع النص النبوي وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في إحداث تجانس في منطقة القافية . في قول الشاعر:

قُلْتُ: فَلْيَكُنْ الْعَدْلُ فِي الْأَرْضِ، عَيْنٌ بَعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ  
قُلْتُ: هَلْ يَأْكُلُ الذَّنْبُ ذَنْبًا، أَوْ الشَّاةُ شَاةً ؟  
وَلَا تَضَعِ السَّيْفَ فِي عُنُقِ اثْنَيْنِ: طِفْلٌ . . وَشَيْخٌ مُسِنٌّ  
وَرَأَيْتُ ابْنَ آدَمَ يَرِدِي ابْنَ آدَمَ، يَشْعَلُ فِي  
الْمَدِينِ النَّارَ، يَغْرَسُ خَنْجَرَهُ فِي بَطُونِ الْحَوَامِلِ ،  
يَلْقَى أَصَابِعَ أَطْفَالِهِ عِلْفًا لِلْخِيُولِ، يُقْصُ الشَّفَاهُ  
وَرُودًا تَزِينُ مَائِدَةَ النَّصْرِ . . وَهِيَ تَنْ  
وَأَصْبَحَ الْعَدْلُ مَوْتًا، وَمِيزَانُهُ الْبِنْدَقِيَّةُ، أَبَاؤُهُ  
صَلَبُوا فِي الْمِيَادِينِ، أَوْ شَنَقُوا فِي زَوَايَا الْمَدِينِ  
قُلْتُ: فَلْيَكُنْ الْعَدْلُ فِي الْأَرْضِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ<sup>(٤٤)</sup>

الشاعر في السطر الأول يتناص مع الآية: « وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا . . »<sup>(٤٥)</sup>، وفي السطر الثاني يوظف الشاعر الحديث النبوي « . . . اغْرَوْا وَلَا تَغْلَوْا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيَدًا . . »<sup>(٤٦)</sup>.

ويوظف أيضا وصية أبي بكر رضي الله عنه لأسامة بن زيد وأصحابه « لا تَخُونُوا وَلَا تَعْدِرُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً وَلَا شَيْخاً كَبِيراً وَلَا امْرَأَةً ٠٠٠ »<sup>(٤٧)</sup>، ويفصل الشاعر بين النصيين الدينيين باتكاء على نص شعري للإمام الشافعي في بداية السطر الثاني:

وَلَيْسَ الذَّنْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضَنَا بَعْضًا عَيْنَانَا<sup>(٤٨)</sup>

وبنية الجناس واضحة في منطقة القافية في السطرين الأول والثاني (بسن - مسن)، ولا تخفى علينا النغمية التي أحدثها الجناس متأزرا معه التكرار في هذين السطرين ٠ أما من الناحية الدلالية فقد أدى توظيف الشاعر النص التراثي إلى مشاركة المتلقي، وإثارة انتباهه، فمساحة السطر الأول لا تحتل كل الدوال الرامزة إلى العدل في الآية، ومن ثم اكتفى الشاعر بالعين والسن ٠ وفي السطر الثاني يضع الشاعر بين (طِفْلٍ ٠٠ وَشَيْخٍ مُسِنٍ) فراغا، فقد أسقط المرأة، لكنه أشار إليها في السطور التالية بقوله:

يَغْرِسُ خَنْجَرَهُ فِي بَطُونِ الْحَوَامِلِ

ومن هنا أضحت وظيفة المتلقي سد الفراغات، أو بعبارة أخرى عليه أن يذكر المسكوت عنه، فقد أضحى «المعنى في بطن القارئ» ٠

والمقطع الذي بين أيدينا عبّر عن حالة من حالات المفارقة، فالشاعر ينشد العدل يؤيده النص الديني، وواقع الشاعر عكس ذلك تماما، فالنار تشعل في المدن، والأطفال تُقتل، وبطون الحوامل تُبقر، والعدل لم يكن ٠

ومن كل ما سبق يتضح أن الشاعر أحدث مراوحة بين المتوقع وغير المتوقع، وهذا « تأكيد على جماليات الإيقاع بوصفها مراوحة بين إشباع التوقع وإحباطه»<sup>(٤٩)</sup>، وهذا الإيقاع الناتج عن المتوقع وإحباطه - بلا شك - يتساوق مع الجناس في إحداث أعلى درجة من النغمية في هذه السطور ٠ ويتداخل الحدث التراثي مع الحدث المعاصر ويندغمان في بنية النص في قصيدة «لا وقت

لبكاء» التي كتبها الشاعر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، حيث يقول:

وَهَذِهِ الْخَرَائِطُ الَّتِي صَارَتْ بِهَا سَيِّئًا

عَبْرِيَّةَ الْأَسْمَاءِ

كَيْفَ نَرَاهَا ٠٠ دُونَ أَنْ يُصِيبَنَا الْعَمَى ؟

وَالْعَارُ ٠٠ مِنْ أُمَّتِنَا الْمُجْرَأَةِ ؟

وَالطِّفْلَةُ الصَّغِيرَةُ الْعَدْبَةَ

تَطْلُقُ فَوْقَ الْبَيْتِ طَيَّارَتَهَا الْبَيْضَاءَ

كَيْفَ تَرَى تَكْتَبُ فِي كِرَاسَةِ الْإِنْشَاءِ

عَنْ بَيْتِهَا الْمَهْدُومِ فَوْقَ الْأَبِّ وَاللُّعْبَةِ ٩  
 وَأُمِّيَ الَّتِي تَظَلُّ فِي فَنَاءِ الْبَيْتِ مُنْكَبَةً  
 مَقْرُوحَةً الْعَيْنَيْنِ، مُسْتَرْسَلَةً الرَّثَاءِ  
 تَتَكْتَبُ بِالْعُودِ عَلَى التُّرْبَةِ  
 رَأَيْتُهَا: الْخَنْسَاءَ  
 تَرْتِي شَبَابَهَا الْمُسْتَشْهِدِينَ فِي الصَّحْرَاءِ  
 رَأَيْتُهَا: أَسْمَاءَ  
 تَبْكِي ابْنَهَا الْمَقْتُولَ فِي الْكَعْبَةِ (٥٠)

في هذا النص المعاصر نرى الأب الشهيد معادلاً لأبناء الخنساء، وعبدالله بن الزبير المقتول ويجانس الشاعر في هذا المقطع بين (اللعبة والكعبة) واللعبة إحدى دوال الحدث المعاصر، والكعبة إحدى دوال الحدث التراثي، وقد نجح الجناس/ القافية في الربط بين الحدثين. وقد يثير استخدام الشاعر «اللعبة» بجوار الأب الشهيد بعض الاعتراضات، لكن هذه الكلمة ليست مجلوبة للقافية، فاللعبة أساس في حياة الطفل، وقتل اللعبة قتل للبراءة، وقتل للطفولة التي فقدت أباهما. أما المسكوت عنه في النص فهم الجناة: إسرائيل - الفرس - الحجاج الثقفي قاتل ابن الزبير (٥١).

وفي القصيدة السابقة يوظف الشاعر العلم والمكان التراثيين في بنية الجناس في قوله:

لَقَدْ رَأَيْتُ لَيْلَةَ الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ  
 مِنْ سِبْتَمْبَرِ الْحَزِينِ  
 رَأَيْتُ هَتَافَ شَعْبِي الْجَرِيحِ  
 رَأَيْتُ خَلْفَ الصُّورَةِ  
 وَجَهَكَ يَا مَنْصُورَةَ  
 وَجَهَ لُؤَيْسَ التَّاسِعِ الْمَأْسُورِ فِي يَدَيِّ صُبَيْحِ  
 رَأَيْتُ صَبِيحَةَ الْأَوَّلِ مِنْ تَشْرِينِ  
 جُنْدِكَ ٠٠ يَا حَطِينِ  
 يَبْكُونَ  
 لَا يَدْرُونَ ،  
 أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَاشِينِ  
 فِيهِ ٠٠ صَلَاحُ الدِّينِ (٥٢)

وفي هذا المقطع يجانس الشاعر بين (الصورة - المنصورة) وبين (صبيح - صبيحة)، وعنوان القصيدة « لا وقت لبكاء» يشير إلى بكاء الجماهير الغفيرة من الشعب المصري لموت جمال عبد الناصر، والشاعر في قصيدة أخرى لا تحمل تاريخاً - ربما كتبها الشاعر في ذكرى وفاة عبد الناصر- وتحمل عنوان «خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين»<sup>(٥٣)</sup>، يوظف الشاعر فيها شخصية صلاح الدين توظيفا عكسياً «ويبدو واضحاً للقارئ ٠٠٠ أن الشخص المقصود في هذه القصيدة هو عبد الناصر، الذي يرى الشاعر أنه رفع راية استرداد المدن العربية المرتهنة، وقدم جواده المسكين «عبد الحكيم عامر» ضحية لهزيمة ٦٧، واحتلال سيناء، وظل يستثمر القضية في تحقيق زعامة شخصية شغلته عن الدفاع الفعلي عن الوطن، وجعلته يكتفي بالخطب التاريخية في ساحة مجلس الأمن»<sup>(٥٤)</sup>.

وإن كانت الشخصية التراثية في قصيدة «خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين» تحمل تناص التخالف، فإن شخصيتي صبيح وصلاح الدين تحملان تناص التآلف، فالشاعر يولد من موت عبد الناصر الأمل، فيلوح أمامه هزيمة الصليبيين في المنصورة، وأسر لويس التاسع في دار ابن لقمان تحت حراسة الطواشي صبيح<sup>(٥٥)</sup>.

وتتحول شخصية صلاح الدين الانهزامية هناك إلى شخصيته الحقيقية في هذا النص، حيث يرى الشاعر أن الجموع الباكية سوف تكنف دموعها، وتفيق من سباتها وتحمل راية الجهاد في حطين الجديدة، وكل واحد فيهم هو صلاح الدين، وقد كان انتصار ١٩٧٣.

إذن، فالعلم أدى دوره الصوتي في بنية الجناس، وكان له أيضاً وظيفته الدلالية، فتوظيف العلم « فنياً لا يعبر عن ذوات جامدة، بل يصبح شفرة حرة متفاعلة مع أجزاء السياق، ومتعددة الدلالة وفقاً لعدد السياقات وتنوعها»<sup>(٥٦)</sup>.

ويكون للقب حضوره الواضح في بنية الجناس القافوي في قصيدة « أيلول» وقد يكون اللقب مصاحباً للدور الذي يمكن للشاعر أن يشير إليه عن طريق استخدام منبه سردي دلالي، أو منبه نحوي تركيبياً.

وتتمثل الإشارة إلى الدور المصاحب للقب عن طريق المنبه السردي الدلالي<sup>(٥٧)</sup> في قول أمل دنقل:

جوقة خلفية  
الأمرأء الصم  
ماتوا على المداخل  
لم يبق إلا «الدخال»

صوت  
في سوريت  
كانت تنهاوي رايات أمية  
فرفعناها علماً علماً ٠٠ ووقعنا في أسر الروم

يَعْبُرُ نَهْرَ الدَّمِّ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا «الْمَدَاخِلُ»  
يَعْبُرُ نَهْرَ الدَّمِّ  
وَالْأَمْرَاءُ الصُّمَّ

مَاتُوا عَلَى الْمَدَاخِلِ

مَاتُوا عَلَى الْمَدَاخِلِ  
لَمْ يَبْقَ إِلَّا «الْمَدَاخِلُ»<sup>(٥٨)</sup>

لَكُنَّا فِي طَبُورِ الْأَسْرَى الْمَهْرُومِ

كُنَّا نَنْتَظِرُ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ  
لِيَعُودَ، فَيَنْقُذَنَا مِمَّا نَسْرَبِلُ فِيهِ  
كَمَا نُبْصِرُ وَرَدَّتْنَا الصَّابِحَةَ الْحَمْرَاءُ  
تَتَمُّو فِي شَرْفَةِ بَيْتٍ فِي حَلَبِ الشَّهْبَاءِ  
وَوَظَلَلْنَا نَنْتَظِرُ ٠٠ تَطُولُ الْأَطْفَارُ ٠٠ وَيَبْيِضُ

السَّالِفُ

٠٠ ذَاتَ صَبَاحٍ عَاصِفٍ

كُنَّا نَشْرَبُ حِينَ أَتَيْنَا الْأَنْبَاءَ

٠٠ فَتَعَكَّرَ لَوْنُ الْمَاءِ

لعلنا نلاحظ دالي الجناس (المداخل - الداخِل)، وتكرار كل منهما ثلاث مرات، يتآزر معهما تكرار عبارتي (الأمراء الصم) - (يعبر نهر الدم)، وكيف علت هذه التقنيات بالإيقاع والنغمية إلى أعلى معدل؟ وهذا يتناسب تناسباً شديداً مع الجوقة الخلفية ٠

ومع استخدام الشاعر هذه التقنيات البديعية لم تطغ على الدلالة، بل بقيت لها تميزها وحضورها، فالشاعر استخدم أحد ألقاب الخليفة الأموي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بالمداخل؛ لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك الأمويين<sup>(٥٩)</sup>.

«وعلى الرغم من شهرة هذا اللقب وذيوعه، فإن الشاعر قد ارتاب من التشاكل الصوتي القائم بين «المداخل» و «الداخل» وما ينتج في ذهن المتلقي من تشاكل دلالي، يتمثل في فعل الدخول الذي يربط بين اسم المكان واسم الفاعل، حيث خشي الشاعر من طغيان هذه الدلالة القاموسية، على صيغة اللقب التي أوردتها داخل النص، لتثير في ذهن المتلقي صورة الشخصية المستدعاة، مما دفعه إلى تأكيد الاستدعاء باللقب، من خلال آلية الدور المتمثلة في بعض عناصر الدور التاريخي، الذي لعبته الشخصية، مثل: «الإمارة» و «عبور نهر الدم»، بالإضافة إلى كلمة «الداخل» بين علامتي تنصيص، حتى يوحي للقارئ بوجود كيان شبه مستقل لهذه الكلمة داخل السياق»<sup>(٦٠)</sup>. ومنح الشاعر لهذا الكيان تلك الاستقلالية، لأنه هو المخلص، والمنقذ من الضياع وذل الانكسار.

وقد قام أمل دنقل باستدعاء شخصية خالد بن الوليد - رضي الله عنه - من خلال آلية القول في قصيدة «الموت في الفراش»، التي يتناص عنوانها مع عبارته الشهيرة «وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير»<sup>(٦١)</sup>.

وظهر قصد الشاعر إلى استدعاء شخصية خالد من خلال قوله واضحا جليا في الحركة الأخيرة من القصيدة<sup>(٦٢)</sup>، حيث يقول في المقطع الأخير:

أَمُوتُ فِي الْفِرَاشِ ٠٠ مِثْلَمَا تَمُوتُ الْعَيْرُ  
أَمُوتُ، وَالنَّفِيرُ ٠٠  
يَدُقُّ فِي دِمَشْقُ  
أَمُوتُ فِي الشَّارِعِ فِي الْعُطُورِ وَالْأَزْيَاءِ  
أَمُوتُ، وَالْأَعْدَاءُ  
تَدُوسُ وَجْهَهُ الْحَقَّ  
«وَمَا بِجِسْمِي مَوْضِعٌ إِلَّا وَفِيهِ طَعْنَةٌ بِرِمْحٍ  
٠٠ وَإِلَّا فِيهِ جُرْحٌ،  
إِذَنْ  
فَلَا نَامَتْ عَيُونَ الْجِبْنَاءِ»<sup>(٦٣)</sup>

في هذا المقطع تناص تراثي مع قول خالد بن الوليد عندما حضرته الوفاة «لقد لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح، وما أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء»<sup>(٦٤)</sup>.

الشاعر هنا يحول البنية التراثية لصالح البنية الشعرية فيقدم عبارة  
أَمُوتُ فِي الْفِرَاشِ ٠٠ مِثْلَمَا تَمُوتُ الْعَيْرُ

ليحدث التماثل الصوتي في منطقة القافية، ويستبدل بقول خالد « وفيه ضربة بسيف» بـ «٠٠ وَإِلَّا فِيهِ جُرْحٌ» ليحقق القافية، ويمائل بين (رمح - جرح) من خلال بنية الجناس الناقص. وتبقى دلالة الجناس رامزة لسرحان بشارة، المعادل لخالد بن الوليد في النص، ليضع سرحان في مصاف الشخصيات العالمية، فخالد رمز للجهاد الإسلامي، وسرحان رمز للنضال الفلسطيني، وقد ظل يتقلب في غياهب السجون الأمريكية بعد اغتياله السيناتور الأمريكي روبرت كينيدي<sup>(٦٥)</sup>، الذي أدلى بتصريحات معادية للفلسطينيين<sup>(٦٦)</sup>.

وإن كان النص التراثي وحد الشخصيتين عن طريق الجهاد والنضال، فقد أحدث النص المعاصر مفارقة بين الشخصيتين. مات ابن الوليد والحق منتصر، وسُجِن سرحان والأعداء تَدُوسُ وَجْهَهُ الْحَقَّ

خالد بن الوليد التفت حوله الجنود، لكن سرحان بقي وحده رمزا للصوص الفردي، ومن ثم ناداه أمل دنقل في القصيدة نفسها:

سَرَحَانُ يَا سَرَحَانَ  
وَالصَّمْتُ قَدْ هَدَكَ  
حَتَّى مَتَى وَحَدَكَ  
يَخْفِرُكَ السَّجَانُ<sup>(٦٧)</sup>

ويوظف أمل دنقل الأسطورة في إحدى دوال الجناس في قصيدة «خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين»، يقول:

فَوَدَا مَا  
يَا صِلَاحَ الدِّينِ  
يَا أَيُّهَا الطَّبْلُ الْبِدَائِي الَّذِي تَرَاقَصَ الْمَوْتَى  
عَلَى إِيقَاعِهِ الْمَجْنُونِ  
يَا قَارِبَ الْفَلِينِ  
لِلْعَرَبِ الْغَرَقِيِّ الَّذِينَ شَتَّتَهُمْ سَفْنُ الْقَرَاصِنَةِ  
وَأَدْرَكَتَهُمْ لَعْنَةُ الْفَرَاعِنَةِ<sup>(٦٨)</sup>

في هذا المقطع يجانس الشاعر بين (القراصنة - الفراعنة) من خلال الاتكاء على أسطورة «لعنة الفراعنة»<sup>(٦٩)</sup>، ويستخدم تقنية القناع، فصلاح الدين - كما اتضح من قبل - قناع لجمال عبد الناصر، لكن شخصية صلاح الدين تحولت في النص إلى قناع التخالف، أو تناص السلب، ومن ثم سلب الشاعر منه دوره الحقيقي، حتى يناسب القناع صلاح الدين الجديد / عبد الناصر، ولهذا غرق العرب، وشنتهم سفن القراصنة، وأدركتهم لعنة الفراعنة.

من كل ما سبق اتضح أن أمل دنقل عني بشعره عناية فائقة، وأخلص في شعره للقضية التي آمن بها، ولذا ظل شعره معطاء مع طول الزمن، ومعينا لا ينضب مع كثرة الأفلام التي تناولته، وكلما فتش الباحث في خباياه أعطاه جديدا، وهذه سمة العمل الجيد في كل العصور. وكان الجناس وسيلة أسلوبية مهمة شاركت الوسائل الأخرى في نقل تجربة الشاعر إلى المتلقي والتفاعل معها، بقدر عنايته بشعره، وإخلاصه له.

### أهم نتائج البحث

- ١- البديع لم يعد زينة وتحسينا، بل هو تصوير للشكل والمضمون معا.
- ٢- الجناس تعبير عن ذات أمل دنقل التي تحاول الالتئام، بينما هي في حقيقة الأمر ذات متشظية.
- ٣- تفوق الجناس في منطقة القافية على الجناس في الحشو بنسبة ٤: ١ تقريبا.
- ٤- كثرة الجناس في منطقة القافية دليل على عناية الشاعر بها.
- ٥- كثرة الجناس الناقص في شعر أمل دنقل وندرة الجناس التام.
- ٦- كان للتراث نصيب في بعض دوال التجانس في شعر أمل دنقل.



## الهوامش:

- ١- رمضان صادق: شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، ٢٠٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨.
- ٢- د رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، ٢٣٧، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣.
- ٣- د شوقي الزهرة: جذور الأسلوبية من الزوايا إلى الدوائر دراسة فيلولوجية، ٦٢، مكتبة الآداب، د ت.
- ٤- د مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث، ٣٠، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧.
- ٥- انظر: د سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري» دراسة في قصيدة جاهلية»، ١٥٨، مجلة فصول، مج ١٠، ع ١٤، القاهرة، ١٩٩١.
- ٦- جورج مولينييه، الأسلوبية، ترجمة: د بسام بركة، ١٠٠، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠ - ١٩٩٩.
- ٧- رمضان صادق: شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، ٨٥.
- ٨- د رجاء عيد: المذهب البديعي في النقد والشعر، ٤٢٣، ط ١، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٨.
- ٩- د شوقي الزهرة: جذور الأسلوبية، ٤٦.
- ١٠- أمل دنقل: الأعمال الكاملة، ٤٢٦، الهيئة العامة لتصور الثقافة، القاهرة، د ت.
- ١١- د مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية، ٢٢.
- ١٢- راجع: د كمال بشر: علم الأصوات، ٣٤٦، مكتبة غريب، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ١٣- أمل دنقل: الأعمال الكاملة، ٥٥، ٥٦، القصيدة مكتوبة في الديوان بنظام السطر الشعري.
- ١٤- السابق: ١٢٨، ١٢٩.
- ١٥- نفسه: ٤٠٥، ٤٠٦.
- ١٦- الهمزة عند د كمال بشر صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس. راجع: علم الأصوات: ٢٨٨.
- ١٧- أمل دنقل: الأعمال الكاملة، ٣٠٠، ٣٠١.
- ١٨- راجع: السابق، ٤٧٧.
- ١٩- نفسه: ٢٩٥.
- ٢٠- نفسه: ٢٨٢.
- ٢١- راجع: د مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية: ٣٦.
- ٢٢- د حسن ناظم: البنى الأسلوبية «دراسة في أنشودة المطر للسياح»، ٢٤، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٢٠.
- ٢٣- جورج مولينييه، الأسلوبية: ٢١١.
- ٢٤- د حسن ناظم: البنى الأسلوبية: ١٧٨.
- ٢٥- د عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ١١٤، دار الثقافة، بيروت، د ت.
- ٢٦- د رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث: ١٤٧.
- ٢٧- د سيد البحراوي: في البحث عن لؤلؤة المستحيل، ٩٠، ٩١، ط ٢، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦.
- ٢٨- د حسن ناظم: البنى الأسلوبية: ٩٩.
- ٢٩- أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ١٢٦، ١٢٧.
- ٣٠- السابق: ٢٦٦، ٢٦٧.
- ٣١- د كمال بشر: علم الأصوات، ٥٤٤.
- ٣٢- أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ٢٨٦، ٢٨٧.
- ٣٣- السابق: ٢١٤، ٢١٥.

- ٣٤- نفسه: ٢٠٣، ٢٠٤
- ٣٥- نفسه: ٢٠١
- ٣٦- نفسه: ٢٠٢
- ٣٧- د. مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية: ٢١٢
- ٣٨- أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ٢٤٥، ٢٤٦
- ٣٩- د. مدحت الجبار: الشاعر والتراث « دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث »، ١٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦
- ٤٠- راجع: د. علي عشري زايد: توظيف التراث، مجلة فصول، مج ١، ع ١٤، ٢٤٠، القاهرة، ١٩٨٠
- ٤١- السابق: ٢٠٨
- ٤٢- العصر: آية ١
- ٤٣- أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ٢٨٢
- ٤٤- السابق: ٢٨٧
- ٤٥- المائدة: آية ٤٥
- ٤٦- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٢/ ١٣٥٧، دار إحياء التراث، بيروت، دت
- ٤٧- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ٢ / ٢٠٠، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ - ١٩٨٧
- ٤٨- الإمام الشافعي: ديوانه، ضبطه وراجعاه: أبو عبدالرحمن المكي، ١٢٢، ط ١، مكتبة دار مصطفى الباز، السعودية، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦
- ٤٩- د. جابر عصفور: استعادة الماضي « دراسة في شعر النهضة »، ٤٢٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١
- ٥٠- أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ٢٧٤، ٢٧٥
- ٥١- راجع: الحافظ المزي: تهذيب الكمال، تحقيق: رشاد عواد معروف، ١٤ / ٥١١، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ - ١٩٨٠
- ٥٢- أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ٢٧٧
- ٥٣- راجع نص القصيدة في: السابق: ٤١١ - ٤١٣
- ٥٤- أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري « دراسة في توظيف الشخصيات التراثية »، ٣٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨
- ٥٥- راجع: د. جوزيف نسيم يوسف: العدو الصليبي على مصر « هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور »، ٢٠٨، ٢٠٩، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١
- ٥٦- أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري: ١٩١
- ٥٧- السابق: ٣٩
- ٥٨- أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ١٣٤، ١٣٥
- ٥٩- راجع: خير الدين الزركلي: الأعلام، ٣ / ٣٢٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠
- ٦٠- أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري: ٣٩
- ٦١- الحافظ المزي: تهذيب الكمال: ٨ / ١٨٩
- ٦٢- راجع أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري: ١٦٢
- ٦٣- أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ٢٧٠، ٢٧١

- ٦٤ - الحافظ المزي: تهذيب الكمال: ٨ / ١٨٩
- ٦٥ - روبرت كيندي (١٩٢٥ - ١٩٦٨) ، سيناتور أمريكي، شقيق الرئيس الأمريكي السابق جون كيندي، قتله سرحان بشارة، بسبب تصريحاته المعادية للفلسطينيين \*
- أحمد مجاهد: أشكال التناس الشعرية: ٩٢
- ٦٦ - راجع السابق: الصفحة نفسها \*
- ٦٧ - أمل دنقل: الأعمال الكاملة: ٢٦٨
- ٦٨ - السابق: ٤١١
- ٦٩ - لجنة الفراعنة نتجت بسبب المقابر الفرعونية المغلقة، التي توجد بها مومياء ومواد تتعرض للتلف، وهناك من أطلق على ما يصيب الإنسان من مصيبة بقوله حلت عليه اللعنة، ويقصدون ما يصيبه بسبب البكتريا، ما تسببه له من الموت \*
- ٧٠ زاهي حواس: حقيقة لعنة الفراعنة، الشرق الأوسط، العدد ١٠٦٨٢، ٢٨ / ٦ / ٢٠٠٧ \*
- والواضح أن هذه الكلمة اختراع أوربي صاحب الهجمة الأوربية الضخمة في نهب الآثار المصرية ٠٠٠ ومن الطبيعي أن تحدث في أثناء ذلك بعض الصعوبات والكوارث \* وقد فسروا ذلك بلعنة الفراعنة، أي غضب الفراعنة أصحاب تلك الآثار العجيبة التي تبعث على الرهبة، ومن الرهبة والانبهار تولد التأثر بالفراعنة والتصديق بأسطورة لعنة الفراعنة \*
- ٧١ - أحمد صبحي منصور: لعنة الفراعنة بين الفكر الغربي والموروث العربي، ص ٢، شفاف الشرق الأوسط، ١٢ / ٥ / ٢٠٠٧

## المراجع

- ١- د أحمد صبحي منصور: لعنة الفراعنة بين الفكر الغربي والموروث العربي، شفاف الشرق الأوسط، ١٢ / ٥ / ٢٠٠٧
- ٢- أحمد مجاهد: أشكال التناس الشعرية « دراسة في توظيف الشخصيات التراثية »، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨ \*
- ٣- أمل دنقل: الأعمال الكاملة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ت \*
- ٤- د جابر عصفور: استعادة الماضي « دراسة في شعر النهضة »، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١ \*
- ٥- جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة: د. بسام بركة، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ \*
- ٦- د جوزيف نسيم يوسف: العدو الصليبي على مصر « هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور »، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١ \*
- ٧- د حسن ناظم: البنى الأسلوبية « دراسة في أنشودة المطر للسياب »، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢
- ٨- خير الدين الزر كلبي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠ \*
- ٩- د رجاء عيد:
- البحث الأسلوبية معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣ \*
- المذهب البديعي في النقد والشعر، ط ١، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٨ \*
- ١٠- رمضان صادق: شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨ \*
- ١١- د زاهي حواس: حقيقة لعنة الفراعنة، الشرق الأوسط، العدد ١٠٦٨٢، ٢٨ / ٦ / ٢٠٠٧
- ١٢- د سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري « دراسة في قصيدة جاهلية »، مجلة فصول، مج ١٠، ١٤، القاهرة، ١٩٩١ \*

- ١٢- د سيد البحراوي: في البحث عن لؤلؤة المستحيل، ط٢، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦ .
- ١٤- د شوقي الزهرة: جذور الأسلوبية من الزوايا إلى الدوائر دراسة فيلولوجية، مكتبة الآداب، د ت .
- ١٥- د عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، بيروت، د ت .
- ١٦- د علي عشري زايد: توظيف التراث، مجلة فصول، مج١، ع١، القاهرة، ١٩٨٠ .
- ١٧- د كمال بشر: علم الأصوات، مكتبة غريب، القاهرة، ٢٠٠٠ .
- ١٨- محمد بن إدريس (الإمام الشافعي): ديوانه، ضبطه وراجعه: أبو عبدا لرحمن المكي، ١٢٢، ط ١، مكتبة دار مصطفى الباز، السعودية، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ .
- ١٩- محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير الجزري): الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ٢ / ٢٠٠، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .
- ٢٠- د مدحت الجيار: الشاعر والتراث « دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث »، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦ .
- ٢١- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، د ت .
- ٢٢- د مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧ .
- ٢٣- يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (الحافظ المزي): تهذيب الكمال، تحقيق: رشاد عواد معروف، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ .